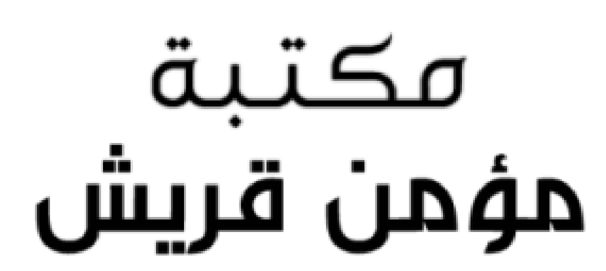
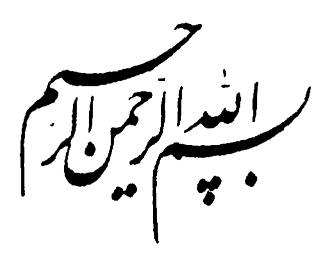

الحماسة والعرفان
للفقيه المتألّه
آية الله عبد الله الجوادي الطبري الآملي
دار الإسراء للنشر


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ


الحماسة والعرفان

الطبعة الاولى

(٣٠٠٠ نسخه)

رمضان المبارك١٤١٥هـ . ق

بهمن ١٣٧٣ هـ . ش

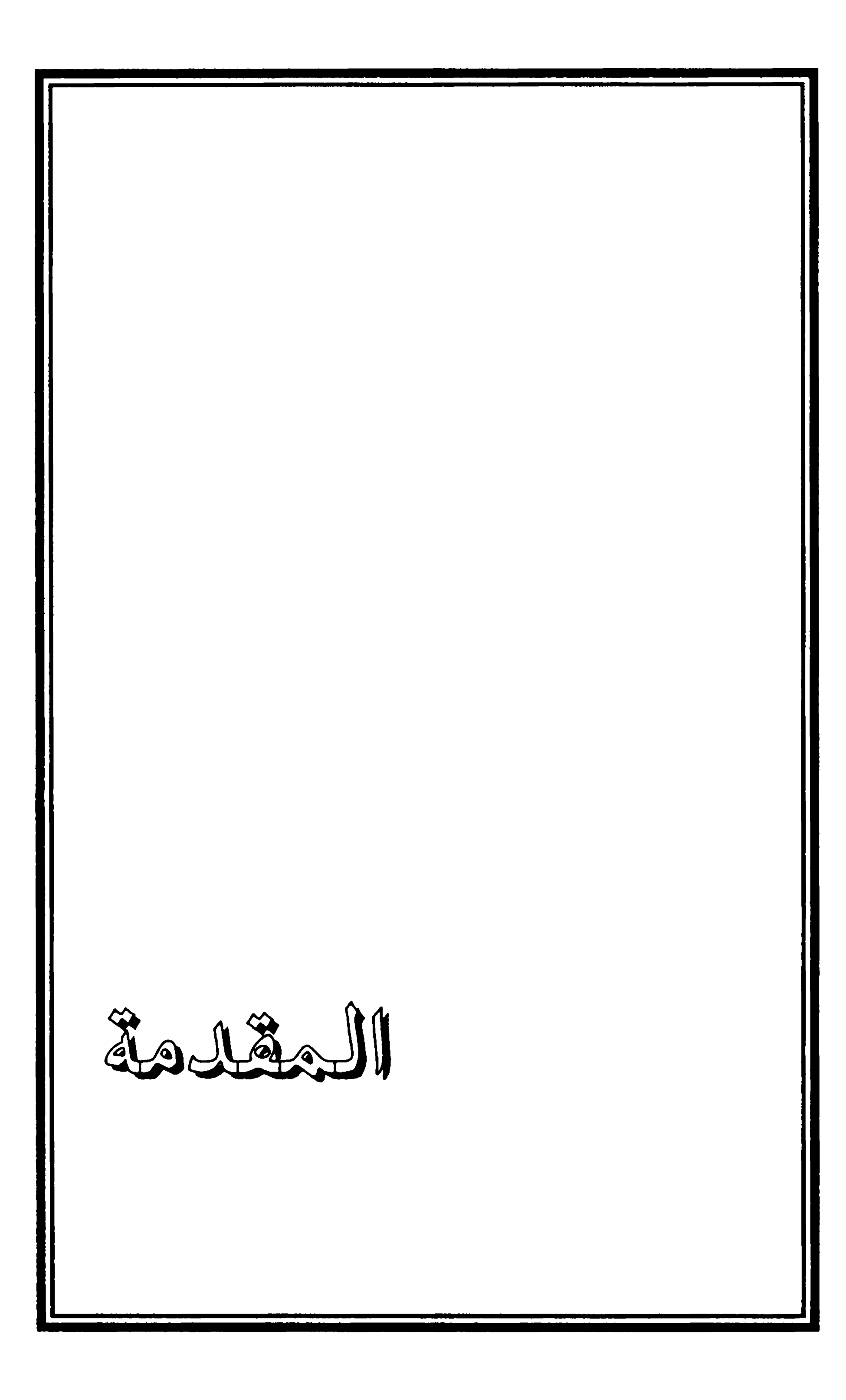
● دار الإسراء للنشر

ايران . قم المقدسة

الترجمة تحت إشراف

مركز الإسراء للبحوث

ص . ب ٣٨٥٩ ـ ٣٧١٨٥ تلفون ٧١٦١٦٧ ـ ٧١٦١٦٨ فاكس ٧١٦١٦٩



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

١ ـ إنّ الحربَ والسِّلمَ من حوادث ومظاهر عالم الطبيعة ، وأمّا عالمُ ما وراء الطبيعة فليسَ فيه سوىٰ السلام المطلق .

والحربُ التي تقعُ في عالم الطبيعة حربٌ نسبيّةٌ وليست حرباً مطلقةً ، أي انّنا لا نجدُ في عالم الطبيعة شيئاً يخوضُ حرباً متواصلةً مَع جميع الكائنات الأخرىٰ ، وذلكَ لأنَّ مبدأ العلّية الّذي يحكم عالم الطبيعة ويسود جميع أجزائه ومفرداته يؤيّد وجودَ السلام والتوافق والانسجام بين الشيء وعلّته ، وكذلكَ بين الشيء ومعلولاته وآثاره .

بناءً علىٰ هذا فإنَّ عالم الطبيعة المشتمل علىٰ الحركة والتنقّل يمثّلُ المجال الوحيد الذي يحتوي علىٰ الحرب والهجوم من ناحيةٍ ، والهرب أو الدّفاع من ناحية أُخرىٰ ، كما أنّ ظهورَ الشرّ وعروضَ الضرر منحصر في

هذا العالم فقط ، وأمّا عالم ماوراء الطبيعة الّذي هو عالم الثبات والتجرّد ، فلا يقعُ فيه أيُّ لونٍ من ألوان التنقّل والضرر ، كما هو الحال في دائرة تواجد الملائكة المحفوظةِ من الحوادث المؤلمة والرزايا المرّة .

٢ ـ إنَّ حالة الحرب والنزاع لا يمكن أن تنفكَّ عن الانسان في دار الدنيا ، باعتبار أنّه يحملُ بُعداً مادّياً ، ويعيشُ في عالم الطبيعة الّذي هو عالم الحركة والتنقّل .

وهذهِ الحربُ الملازمة لحياةِ الانسان في الدنيا تكون تارةً بعنوان الهجوم ، وأُخرىٰ بعنوان الدّفاع ، وعليه فلا يوجد فرق في أصل وقوع الحرب بين الأنبياء الالهيين الذينَ هم معلّمو البشريةِ وبينَ الحكّام والأُمراء المستبدّين ، كما أنّه لا فرقَ بينهم في الكثير من الأمور الطبيعيّة الأُخرىٰ ، فلا فرق ـ مثلاً ـ بين السعي والعمل من جهةٍ وبين الراحة والدعة من جهةٍ أُخرىٰ ، كما انه لا فرق بين الأشخاص المتقين والأفراد المجرمين في الأفعال الطبيعية الأخرىٰ كالسعي والعمل والراحة والاستقرار ، إذ إنَّ كلا الصنفين يشتركان في صورة العمل الظاهريّة ، ويكمنُ الفرقُ الوحيد بينهما في المحرّك الدافع لذلكَ العمل ، والهدفِ النهائي المقصودِ منه ، والّذي يمثّل روحَ العمل وجوهَره .

فالغايةُ التي يسعىٰ لتحقيقها الكاملونَ من الناس كالأنبياء هي عبارة عن عملية السير بالفرد والمجتمع في طريق الكمال ، وأمّا الغايةُ التي تقف خلفَ أعمال الملوك وأمراء الجور فهي عبارة عن إفساد الفرد

والمجتمع ، وإهلاك الحرثِ والنَسل ، وتخريب المدن والقرىٰ ، كما يقول الله تعالىٰ بشأن ذلك :

« وإذا تولّىٰ سعىٰ في الأرض ليفسدَ فيها ويُهلكَ الحرثَ والنَسل » [(١)] ،

ويقول تعالىٰ :

« انَّ الملوكَ إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّةَ أهلها أذلّة » [(٢)] .

وأمَّا منطقُ الأنبياء (ع) فهو :

« إنَّ صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمينَ » [(٣)] .

وهذه الغاياتُ التكامليّة السامية لا تختص ببعض الأنبياء دونَ البعض الآخر مطلقاً ، باعتبار أنَّ كلَّ نبي عندما يأتي يؤيّد سيرةَ وسنةَ الأنبياءِ المبعوثينَ من قبله ، ويتفق معهم في الخطوط الرئيسية العامّة للدين ، من قبيل العقائد والأخلاق والحقوق والفقه ، ويسيرُ الجميع باتجاه تحقيق هذهِ الغايات المشتركة ، غايةَ ما في الأمرِ أنّه قد يكون لبعض الأنبياء أحكام خاصة تتميّز عن أحكام الأنبياء الآخرين في بعض الموارد والأمور الجزئية.

ومن الطبيعي أنَّ ظاهرةَ السعي للسير بالانسان في طريق الكمال والجهاد والاجتهاد في سبيل تكامل الفرد والمجتمع كانت ولا زالت من

---

(١) البقرة : الآية ٢٠٥ .

(٢) النحل : الآية ٣٤.

(٣) الانعام : الآية ١٦٣ .

السّنن والمظاهر المشتركة بين جميع الأنبياء (ع).

ونجد أنَّ سورةَ الحديد التي تتكفَّلُ ببيان البرنامج العام للنبوّة تصرِّحُ بأنَّ جميعَ الأنبياء قد بُعثوا بالصلاح والسلاح معاً، فببركة الوحي وعن طريق تعاليم الكتاب السماوي يسقونَ الفطرةَ البشرية حتىٰ تتفتَّحَ وتزدهر، وببريق السيوف يدافعونَ عن حريم الوحي، ويذبّونَ عن المستضعفين ضدَّ المستكبرينَ في الأرض.

يقول اللهُ عزَّوجَلّ:

« لقد أرسلنا رسلنا بالبيِّنات وأنزلنا معهمُ الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »[1].

وقد تبيَّنَ من خلال هذا أنَّ الناس جميعاً يعيشونَ الحربَ والسّلم في حياتهم الطبيعيّة، ويتساوىٰ في هذا الأمر القائد والمقود، وكذلك مَن يسير في طريق الحق ومَن يسير في طريق الباطل، وأنَّ الفرق الجوهري والتفاوت الأساسي بينَ هذين الاتّجاهين يكمنُ في المبدأ الفاعلي والغائي لهما.

فالأفرادُ الكاملونَ والمتَّقون يسيرونَ وفقاً للتخطيط الإلهي المتقَن، والقوانينِ الهندسيّةِ المحكمة، التي تشكّلُ البناءَ المعماري المتناسق الذي رُسِمت خطوطُهُ الكليّة وأضلاعُه الجانبيّة علىٰ أساس الرّحمةِ واللّطف الالهي، وأمّا المجرمونَ والمنحرفونَ فإنَّهم يسعونَ الىٰ هدمِ هذا البناء وتخريبه، كما

---

(١) الحديد: الآية ٢٥.

سيتّضح هذا الأمرُ فيما بعد .

٣ ـ تتّصف الرحمةُ الالهيةُ بخصوصيتين :

الخصوصية الأولىٰ : إنّها رحمةٌ جامعة وشاملة ، فلا تقصُرُ عن شمولِ كلِّ شيء ،

والخصوصية الثانية : إنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد أوجبَ علىٰ نفسه العمل بهذهِ الرحمة الواسعة والشاملة ، علاوةً علىٰ أنّه سبحانه قد وَصَفَ نفسَه بها .

وقد أُشير الىٰ الخصوصية الأولىٰ في قوله تعالىٰ : « **ورحمتي وسعت كلَّ شيء** »[١] .

وقوله : « *ربَّنا وسعتَ كلَّ شيء رحمةً وعلماً* »[٢] ... وأمثال ذلكَ من الآيات الكريمة .

وأمَّا ما يشير إلىٰ الخصوصية الثانية فهو قوله تعالىٰ : « **كتبَ علىٰ نفسه** *الرحمةَ* »[٣] .

وقوله : « **كتبَ ربُّكم علىٰ نفسه** *الرحمةَ* »[٤] .

لذلكَ كانت هندسةُ الوجود مبتنيةً علىٰ أساس الرحمة الالهيّة ، وهذهِ

---

(١) الاعراف : الآية ١٥٦ .

(٢) غافر : الآية ٧ .

(٣) الانعام : الآية ١٢ .

(٤) الانعام : الآية ٥٤ .

الرحمةُ الالهية الشاملة التي هي من الأوصاف المطلقة لله سبحانه وتعالىٰ لا يقع في قبالها شيء ، فهي نظير الوحدة المطلقة والهداية المطلقة ... وغير ذلك من الأوصاف الالهية التي هي من الأسماء التكوينية المطلقة لله تعالىٰ ، فلا يوجد في قبال هذه الأوصاف المطلقة صفات باسم الغضب والكثرة والاضلال وغير ذلك .

هذا بالنسبة إلىٰ الرحمة المطلقة ، وأمّا تلكَ الرحمة التي لها ما يقابلها فهي الرحمةُ الخاصّة التي يقابلها الغضبُ الخاص .

وعلىٰ هذا الأساس يكون ذلك الغضب الخاص الّذي يقابل الرحمةَ الخاصة داخلاً تحتَ رحمة الله المطلقة ، كما هو الحال في الرحمة الخاصة ، فلكلٍّ منهما موقعه الخاص به .

فإذا لوحظ الغضبُ الخاص بالنسبة إلىٰ الرحمة الخاصة فهو يختصُّ بعنوان الغضب ، ولكنْ إذا لوحظ الغضب بالنسبة إلىٰ نفسه ، ولوحظ أيضاً من جهة وقوعه في زاوية من زوايا العالم الفسيح المترابط والمنظَّم ، فيُطلق عليه عنوان الرحمة قطعاً .

وعلىٰ هذا الأساس إذا ظهر الغضبُ الالهي في أحد الموارد علىٰ شكل حربٍ ضد الطواغيت والمستكبرين ، فستكون النتيجة في التحليل النهائي بالكيفيّة التالية :

وهي أنَّ جماعةً من الناس أرادت تخريبَ البناء الرفيع للرحمة الالهيّة،

وقد قامَ هذا البناءُ بالدفاع عن نفسه ، لشدّة صلابته واستحكامه ورسوخه ، وسدَّ الطريق أمامَ سبيل الظالمين .

ولذلك نجد أنَّ الله تبارك وتعالىٰ قد نسبَ دفاعَ المجاهدين إلىٰ نفسه وأعطاه صفة العذاب الالهي ، حيث قال :

« قاتلوهم يعذبهم اللهُ بأيديكم ويُخزِهم وينصركم عليهم ... »[(١)] .

٤ ـ إنَّ الحربَ في الإسلام ـ الّذي يمثّل الدين الالهي الوحيد ، ورسالة جميع الأنبياء (ع)[(٢)] ولا يُقبل من أي انسان دين سواه[(٣)] ـ تُقسم إلىٰ جهادٍ ابتدائي وجهادٍ دفاعي .

الّا انّ هذا التقسيم في الحقيقة هو تقسيم أوّلي ، وأمّا في النظرة الثانية فإنَّ الجهادَ الابتدائي يرجع في واقعه إلىٰ الجهاد الدفاعي ، وفي النظرة الثالثة يرجع الجهادُ الدفاعي أيضاً إلىٰ رفع الأشواك وإزالة العراقيل عن الطريق المستقيم بحيث لا يذهب هو ولا يترك احداً يتحرّك في هذا المسير ، وبما أنَّ رفع المانع وإزالته يطابق الحكمةَ ويتّسق والرحمةَ الالهيّة ، فقد نَسَبَ اللهُ تعالىٰ ذلك إلىٰ نفسه ، وألزم نفسَه به ، ووَعد عباده بتحقيقه .

وتقسيمُ الجهاد إلىٰ ابتدائي ودفاعي فان الكتب الفقهية هي التي

---

(١) التوبة : الآية ١٤ .

(٢) « ان الدين عند الله الاسلام ... » آل عمران : الآية ١٩ .

(٣) « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلا يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » آل عمران : الآية ٨٥.

تتولىٰ شرحه ، وقد بيّنت حكمه في عصر حضور الامام المعصوم (ع) وغيبته ، ولكنَّ الاحكام الفقهية المذكورة لهذا التقسيم إنّما هي بلحاظ هجوم الأعداء ، أي إذا شنَّ العدوُّ هجوماً عسكرياً علىٰ البلد الاسلامي ، فإنَّ الاحكام المذكورة للدفاع تردُ في هذهِ الصورة ، كما هو الحال في الدّفاع عن الحقوق الفردية فيما لو تعرَّضَ الانسان إلىٰ هجوم فردٍ أو جماعة .

ولكنْ في الحالة التي يزداد فيها الشرك وتنتشر فيها عبادةُ الأصنام بسبب الهجوم الثقافي ، والاعلام المعادي الخبيث ، ويتضرّر بذلك حقّ فطرة الانسان ، ـ والذي يتمثّل في التوحيد الأصيل الّذي هو شريان حياة الفرد والمجتمع كما قال أمير المؤمنين (ع) : *« التوحيدُ حياةُ النفسِ »*[١] ، وأصلُ هذا وارد في القرآن الكريم حيثُ يعتبر الله تعالىٰ الكافر انساناً ميّتاً ، ويذكره في مقابل الحيّ ، فيقول : *« لينذرَ مَنْ كانَ حيّاً ويحقّ القولُ علىٰ الكافرين »*[٢] ـ من أجل كلِّ هذا كان من اللازم الدفاعُ عن حقِّ الناس الفطري ، ومواجهة عامل الكفر والشرك ، فكما أنَّ الدفاع واجب فيما لو أراد شخص أو أشخاص أن يضرّوا بالحياة الظاهريّة للفرد أو المجتمع ، فكذلكَ يجب الدفاع فيما لو أراد فرد أو جماعة الاضرار بالحياة المعنوية للفرد أو المجتمع بأن يحملوهم علىٰ الكفر أو يحولوا دون اسلامهم ، وهذا نظير ما لو قصد شخص الانتحار ،

---

(١) غرر الحكم (آمدي) : ص ٨٦.
(٢) يس : الآية ٧٠.

فيجب منعُه من ذلك حفاظاً علىٰ حياته ، علىٰ أنَّ من الطبيعي أنَّ هناكَ فرقاً واختلافاً بين مصداق الدفاع في هذهِ الحالة ومصداق الدفاع في حالة الهجوم الثقافي ، بقصد إضلال الناس ، ونشر الشرك والكفر .

وطبقاً لما مرَّ في التمهيد السابق من رجوع الدفاع إلىٰ الدفع ، بمعنىٰ إزالة الموانع التي تعيق ماءَ نهر الحياة من الجريان ، بحيث إنَّ هذه الموانع لا تستفيد هي من الماء ، ولا تسمح للآخرين بالاستفادة منه ... فإنَّه يجب في هذهِ الحالة رفع هذهِ الموانع وإزالتها عقلاً وشرعاً .

ويبيِّن لنا القرآنُ الكريم ثلاثةَ مطالبَ حياتية من خلال ثلاثِ آيات كريمة :

المطلب الأول : إنّ القرآن الكريم يعرِّف لنا المنحرفين بأنَّهم لا ينتفعون من النور الالهي ولا يسمحونَ للآخرين بالاستضاءة به ، بل يسعونَ دائماً لإطفاء نور الدين حتّىٰ لا ينتفع به أحد من الناس .

« يريدونَ أن يطفئوا نورَ اللهِ بأفواههم ويأبىٰ الله إلَّا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون » (١) .

« وهم ينهونَ عنه وينأون عنه وإنْ يهلكون إلَّا أنفسهم وما يشعرون » (٢) .

ويمكن أن يُستفاد من هاتين الآيتين أمران :

---

(١) التوبة : الآية ٣٢ .

(٢) الانعام : الآية ٢٦ .

أحدهما : إنَّ الكفّار يسعون لإطفاء النور الالهي عبثاً ، رغم حتميّة فشلهم .

والآخر : إنَّ هؤلاء الكفّار بالاضافة إلىٰ أنَّهم يثبّطُون الناس عن اتّباع الدين الالهي ، فهُم ناؤونَ وبعيدون عنه ، والشخصُ الّذي يكون ناهياً ونائياً في نفس الوقت مَثَلُه كمثل الصخرة القابعة في فم النهر ، والتي لا تسمح بوصول الماء إلىٰ العطاشىٰ ، وهي لا تستفيد منه أيضاً .

المطلب الثاني : إنّ رفع مثل هذهِ الموانع والأشواك يُعتبر من مظاهر الرحمة الالهيّة في نظر القرآن الكريم ، وهو أمر متناسق ومنسجم معَ خطوط النظام الكلّي للعالم ، وقد ورد بيان هذا المطلب في آيتين كريمتين ، هما قوله تعالىٰ :

« ولو لا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهُمْ ببعضٍ لَفسدت الأرضُ » [١] ، وقوله : *« ولو لا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهُم ببعض لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وبِيَعٌ »* [٢] .

وبما أنَّ حفظ الأرض من الفساد ، وصيانة المراكز الدينيّة من الخراب يكون من الرحمة ، وهذا ما لا يتحقق إلّا بدفع المهاجم ، وطرد المزاحم ، إذن فإزالة هذهِ الموانع ورفعها يعتبرُ من أعمال الخير ، ويُعدُّ من المصاديق البارزة للرحمةِ الالهيّة .

المطلب الثالث : إنّه ما من شيء يصبُّ في مصلحة النظام الأحسن

---

(١) البقرة : الآية ٢٥١ .

(٢) الحج : الآية ٤٠ .

للعالم من مظاهر الرحمة ، إلّا وقد حقّقه اللهُ تعالىٰ والتزمَ بتحقيقه ، لأنّه بعد قوله في الآية الأولىٰ :

« *ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لفسدت الأرض* » ، يقول تعالىٰ في ذيلها : « *ولكنَّ اللهَ ذو فضلٍ علىٰ العالمين* »[1] .

وبعد قوله في الآية الثانية : « *لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبِيَعٌ* » ، يقول تعالىٰ في ذيلها : « *ولينصرنَّ اللهُ مَن ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيز* »[2] .

أي انَّ التفضّل الالهي ، والقدرة والعزّة الربانيّة ، تقتضي التوجّه لإزالة الطواغيت ، وإظهار الرحمة برفع الأشواك عن طريق التكامل ، كما يمكن استنباطُ هذا المعنىٰ من الآيات (٢٠٣ ـ ٢٠٧) من سورة البقرة ، فمعَ وجود الجماعة التي تسوق المجتمعَ نحو الفساد ، ووجود جماعة أُخرىٰ تقفُ في مقابلها للعمل بالتضحية والايثار في سبيل المجتمع ، إلّا أنَّ إقدام هـذهِ الجماعة المؤثرة والمضحية يتحقّق في ظل رأفة الله تعالىٰ ورحمته بعباده ، فبما أنَّ الله تعالىٰ يتصرّف وفق الرحمة ، فإنّه يخلق من أجل ذلك جماعةً من الناس ويربّيهم لكي يضحّوا بأنفسهم في سبيل رفع جميع الموانع .

---

(١) البقرة : الآية ٢٥١ .

(٢) الحج : الآية ٤٠ .

« ومن الناس مَن يشري نفسه ابتغاءَ مرضات الله والله رؤوف بالعباد »(١) .

وبما أنَّ هندسةَ جميع الأمور تُرسمُ بيد الرحمة الالهيّة ، فلذلكَ صحَّ أن تُنسب تلكَ الأعمال إلىٰ الله تعالى ، لذلكَ يقول تباركَ وتعالىٰ :

« فهزموهم بإذنَ اللهِ وقَتَل داودُ جالوتَ وآتاهُ اللهُ الملكَ »(٢) .

كما أنَّه تعالىٰ نسبَ أصل قتل المهاجمينَ الّذي هو أبرز مصاديق الرحمة الالهيّة اليه سبحانه ، حيث يقول : « فلم تقتلوهم ولكنَّ اللهَ قَتَلهم »(٣) .

وذلكَ لأنَّ أصلَ القتل ليس له حكم ذاتي كما هو الحال في عنوان الظلم ، بل يقع تارةً مصداقاً للظلم ، فيكون قبيحاً ، ويقع أُخرىٰ مصداقاً للقسط والعدل فيكون حسناً ، ولذلك استُثنيت من القتل بعنوان الذنب بعضُ الموارد كالقصاص والدفاع والجهاد ودفعِ المهاجمين التي تعتبر من موارد الحق ، نظير قوله تعالىٰ : « ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلّا بالحقّ »(٤) والتي تبيِّن هذا المعنىٰ .

ولكن إذا قُتل شخص ظلماً وعدواناً فإنَّ لأولياء المقتول حقَّ القصاص ، ولا يجوز لهم التعدّي إلىٰ ما هو أكثر وليس لهم حقٌّ في ذلك ، كما ورد في ذيل الآية المذكورة :

---

(١) البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٢) البقرة : الآية ٢٥١ .

(٣) الانفال : الآية ١٧ .

(٤) الاسراء : الآية ٣٣ .

« ومَن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً » ، إذ ليس لولي الدم حقٌّ التعدّي عن القصاص كما أشارت إلىٰ ذلكَ نفس هذهِ الآية : ***« فلا يُسرف في القتل إنَّه كانَ منصوراً »*** .

والمعيار في جميع الأمور المذكورة هو القسط والعدل الّذي رُتِّب ونُظِّم في ظل الرحمةِ الالهيّة المطلقة .

فاتّضح مما سبق أنَّ الدافعَ الأساسي لمواجهة أعداء الدين يتمثّل بإزالة الموانع ، ويعود في حقيقته إلىٰ دفع الخطر ، فإذا دخلَ تحتَ عنوان الدفاع فإنَّه يعود في التحليل النهائي إلىٰ الدفع . وقد قال الله تعالىٰ :

« وما لكم لا تقاتلونَ في سبيل الله والمستضعفينَ من الرجال والنساء والولدان الذينَ يقولونَ ربَّنا أخرجنا من هذهِ القريةِ الظالمِ أهلُها واجعل لنا من لدنكَ وليّاً واجعل لنا من لدنكَ نصيراً » [1] .

فالذي يظهر من هذهِ الآية المباركة هو لزوم الدفاع في سبيل الله ، وانقاذ المحرومين ، ولكنَّ هذا الدفاع والجهاد يرجعُ في حقيقته الىٰ إزالة المانع ، ورفعِ الأشواك عن الطريق .

٥ ـ بما أنَّ الحرب في الإسلام مظهر للغضب الالهي ، والغضب الالهي قد نُقش بيد الرحمة الالهية فلا يصح أن تأخذ جانب التشفّي ولا إرضاء غريزة الغضب في الانسان ، ولا أن تكون غضباً محضاً ، وبالتالي فإنّنا نجد أنَّ

---

(١) النساء : الآية ٧٥ .

رأفة الإسلام واضحة تماماً في جميع ميادين القتال والتي يجب أن تبقىٰ محتفظة بميّزاتها الخاصّة مـن لزوم المـوعظة والدعـوة إلىٰ الإسـلام بـالبرهان أو المناقشة بالتي هي أحسن قبل المواجهة بالأسلحة ، كما كان حال النبي (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) في سلوكهم الحربي ، فلا يكتفون بإلقاء الحجة قبل الاستعداد للقتال ، بل حتّىٰ في ميدان القتال أيضاً [كـانوا] يسـتخدمون سلاح التبليغ باللسان قبل اللجوء الى سلاح الحرب ، كما أنهم وقبل تشكيل غرفة العمليّات للحرب يستخدمون سلاح القلم وإرسال الكتب والرسائل [المليئة] بالمعارف المبرهنة والمواعظ البليغة إلىٰ الطرف المقابل لدعوته الى الإسلام .

وما وصلنا من واقعة كربلاء من خلال المواجهة بين جـيش سـيد الشهداء (ع) والجيش الأموي يعتبر سنداً ناطقاً لسنّة المعصومين (عليهم السلام) بأنَّ من الضروري الدعوة إلىٰ الحق وإتمام الحجة وتحليل مسـائل الإسلام الحقيقي قبل شروع الحرب .

ومن هذا القبيل سلوك أصحاب الامام الحسين (ع) قبل الجهاد في الاجتهاد البليغ لإرشاد الطرف المقابل ، تارةً بالشعر ، وتارةً بالنثر ، وأُخرىٰ بالموعظة والنصيحة والدعوة له إلىٰ قبول ولاية وقيادة سيّد الشهداء ، بل علىٰ الأقل التمكّن من تحييدهم ومنعهم من نصرة الحكومة الأمويّة الظالمة .

٦ ـ كما تقدّم في بيان أصل الفكرة فإنَّ نبوّة الرسول الكـريم (ص)

عندما كانت بعنوان الرحمة الشاملة للعالم أجمع *« وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين »*[١] فيجب أيضاً أن تكون جميع شؤون الرسالة المحمّديّة مظهر رحمة الله تعالىٰ، ولذلك فالرحمة يجب أن تصبح من مميّزات الحرب في الإسلام التي تُعتبر من أهمّ البرامج الدينية، ولذلك يبيّن القرآن الكريم المحاور الأصلية للجهاد، وكلّها قد رسمت متطابقة ومتجانسة مع الرحمة والمغفرة والحسنة، فمثلاً يتحدّث القرآن الكريم تارةً عن مصير المجاهدين الّذي هو معلوم لديهم بنحو الإجمال وإن كان مجهولاً علىٰ نحو التفصيل، فيقول:

« قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولٰنا وعلىٰ الله فليتوكّل المؤمنون. قل هل تربّصون بنا إلّا احدىٰ الحسنيين »[٢] (إمّا النصر وإمّا الشّهادة) وتوجد في هاتين الآيتين نكات مهمّة كثيرة نشير إلىٰ بعضها:

في الآية الأولىٰ هناك ادّعاءان ودليل واحد، فأمّا الدليل والبرهان والّذي فيه جنبة العلّية والسبب فقد ذكر في الوسط (هومولانا)، وأمّا مدّعىٰ المؤمنين المجاهدين فقد ذكر في طرفي الآية الشريفة، لأنَّ مولوية الله تعالىٰ وإنْ كانت شاملة لنظام الوجود بأجمعه، فإنَّ له مولوية خاصة بالنسبة إلىٰ عباده الصالحين، أمّا الأفراد المنحرفون الذين لم يجمعوا سوىٰ الضلال

---

(١) الانبياء: الآية ١٠٧.

(٢) التوبة: الآيات ٥١ ـ ٥٢.

والفساد فإنّهم تحت ولاية النار .

« *مأويٰكم النار هي مولٰيكم وبئس المصير* » [(١)] .

فعلىٰ هذا يكون توضيح البرهان المذكور في الوسط : بما أنَّ الله تعالىٰ هو العالم والعادل والقادر والولي فإنَّه دائماً يراعي منفعة المولّىٰ عليه ، فلذلك يثبت المدّعىٰ الأوّل الّذي ذكر قبل هذا الدليل ، وكذلك يثبت المدّعىٰ الثاني .

أمَّا المدّعىٰ الأوّل فإنَّ جميع ما يقع ويحدث لنا حتّىٰ لو كان علىٰ شكل مصيبة فهو من الأمور التي ساقها مولانا لمصلحتنا وليس فيه ضرر علينا ، أي انّه لنا لا علينا .

والمدّعىٰ الثاني هو انّ المؤمنين يجب أن يتوكّلوا علىٰ الله تعالىٰ لأنَّ المولىٰ العالم العادل الرحيم القادر هو نعم الوكيل للمتوكّل .

وفي الآية الثانية مدّعيان ودليلهما موجود في الآية الأولىٰ ، وكذلك في ذيل الآية الثانية هناك شواهد أُخرىٰ تؤيّد ذلك ، فالمدّعىٰ الأوّل هو أنّ المجاهدين في ميدان القتال ليس أمامهم سوىٰ طريقين لا ثالث لهما ؛ أحدهما الانتصار وقتل الأعداء ، والآخر الاستشهاد والتخلّص من نشأة الطبيعة ، ولا يوجد ـ مطلقاً ـ طريق ثالث باسم المصالحة أو التسليم أو الأسر وأمثال ذلك .

وإذا ما وقع مجاهد في الأسر فلا يعني هذا إنَّه انتخب طريق الأسر ،

---

(١) الحديد : الآية ١٥ .

بل من باب الاضطرار وانتهاء وسائل الدفاع أو البقاء وحيداً وأمثال ذلك فأخذه العدو أسيراً ، لا إنَّه انتخب هذا الطريق الثالث باختياره .

والدليل علىٰ أنَّ الجهاد ليس له سوىٰ طريقين ، قوله تعالىٰ :

« إنَّ اللهَ اشترىٰ مِنَ المُؤمِنِينَ أنْفُسَهمْ وَأمْوَالَهُم بِأنَّ لَهُمُ الجـنَّةَ فَـيَقْتُلُون وَيُقْتَلُون ... » [1] .

ولا يوجد طريق غير هذين الطريقين ، أحدهما أن يَقتُل والآخر أن يُقتَل .

وهذا معناه نفي طريق التسليم أو قبول الأسر وأمثال ذلك .

المدّعىٰ الثاني انّ كلّاً من هاتين الخصلتين المذكورتين يعتبر حسنة وخيراً ، سواء كان نصراً أو شهادة ، لأنّ كلاً منهما موجود في قائمة الغضب الالهي للمولىٰ الرحيم ، وبما أنّ حسنة النصر وظهور الدّين وإعلاء راية التوحيد وإسقاط الإلحاد من الأمور الواضحة تماماً ، وأنّ هذا المعنىٰ قد ذكرته بعض الآيات القرآنية فلا حاجة إلىٰ التفسير والتوضيح ، فإنَّنا نشير هنا إلىٰ كون الموت في سبيل الله حسنة سواءٌ كان علىٰ شكل قتل أو بصورة أُخرىٰ ، والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ :

« وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون » [2] .

---

(١) التوبة : الآية ١١١ .

(٢) آل عمران : الآية ١٥٧ .

وعلىٰ هذا الأساس تكون جميع الحوادث التي تقع في حدود الجهاد الاسلامي قد رُسمت بيد الرحمة الالهية ، سواء كانت قتل اعداء الدّين الّذي يعتبر رفع الموانع عن طريق السالكين ، أو كانت موت المجاهد أو قتله في سبيل هذا الهدف ومن أجل هذا المقصد .

٧ ـ كما انّ وجود الروح في البدن هو سبب الحياة في جميع الأعضاء والجوارح ، فكذلك دور الدين في المجتمع هو العامل علىٰ الحياة المعنوية له الشامل لجميع شؤونه وجهاته ومتعلّقاته المحكومة بأحكامها الخاصّة ، فتلبس كلّ منها لباس الدّين وتكون محكومة بالحكم الالهي ، فمثلاً البلد الّذي يقطنه شعب من الشعوب ، إذا كان هذا الشعب مؤمناً باالله تعالىٰ ومعتقداً بالوحي والرسالة ومقرّاً بالقيامة يكون ذلك البلد محكوماً بالحكم الاسلامي فيجب حفظه والدفاع عنه ، وتكون الحرب من أجل الدفاع عنه جهاداً في سبيل الله ، علىٰ خلاف بلد الكفار اذ الدفاع عنه لا يعدّ جهاداً في سبيل الله ، لأنّ حفظ بلد الشرك لا يكون ذا صبغة الٰهيّة فالدّفاع عنه لا يكون جهاداً دينيّاً .

والقرآن الكريم يتحدّث عن جماعة من بني اسرائيل أرادوا من نبيّهم أن يعيّن لهم قائداً للجيش حتّىٰ يتمكنوا من الجهاد في سبيل الله تحت إمرته فيقول :

« *قَالَ هَل عَسَيتُم ان كُتب عليكُمُ القِتَال ألّا تقاتلوا ...* » .

ولكنّهم أجابوه :

« *وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا* »[1] .

الملاحظة المهمّة هي انّ الدّفاع عن الوطن الإسلامي والأهل والأولاد إذا كان بقصد الوصول إلىٰ الوطن ولقاء العائلة ـ فيما لو أنَّ ذلك من شؤون الانسان المسلم ـ يكون ذلك الدفاع جهاداً في سبيل الله ، كما هو الحال في المجاهدين الفلسطينيين الّذين يجاهدون العدو الصهيوني من أجل صيانة الوطن الإسلامي ، فثورتهم هذه تعتبر جهاداً في سبيل الله .

٨ ـ بما أنّ القدسيّة في الأصل للإسلام ، وبالتالي ففي ضمنه تكون هناك قدسيّة لبعض الأزمنة المعيّنة مثل الأشهر الحرم ـ رجب . ذي القعدة . ذي الحجّة . محرّم ـ وكذلك بعض الأمكنة المحترمة ، فإذا لم يلتزم المهاجم بحرمة القانون الإسلامي وهجم علىٰ المسلمين في أحد الأزمنة الحرم ، أو في بعض الأماكن المحترمة وبدأهم بالقتال وجب الدّفاع عن الإسلام حتّىٰ لو استلزم نقض حرمة زمان معيّن أو مكان مشخّص ، لأنَّ احترامها يكون داخلاً ضمناً في احترام الإسلام ، لذلك يقول القرآن الكريم :

« *الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا ٱللهَ وَاعْلَمُوا إِنَّ ٱللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ* »[2] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٤٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

يعني إذا لم يحترم الأجنبي المهاجم حرمة الشهر الحرام ، فعليكم أن تدافعوا في الشهر الحرام أيضاً ، وجميع الحرمات أعمّ من الحرمة الزّمانية والمكانيّة و... تقع مورداً للقصاص كما ورد أيضاً في الآية (١٩١) من سورة البقرة المنع من القتال إلىٰ جانب المسجد الحرام إلَّا إذا بدأ العدوّ بالقتال في ذلك المكان فلا يلزم حينئذٍ رعاية حرمة تلك الأرض المقدّسة ، لأنَّ رعاية الإسلام أولىٰ من رعاية كلّ ما جعل مقدّساً ومحترماً في ظلّ الأحكام الاسلامية .

٩ ـ نيل شرف الشهادة في سبيل الله ليس معناه أنّ الشهداء بعد أن ينتقلوا من الدّنيا إلىٰ البرزخ يصبحون أحياء ، لأنّ الآخرين أيضاً أحياء في عالم البرزخ ، وكل انسان رهين بعمله ، فالصالحون في روضات الجنّة البرزخية منعّمون والفجّار في النّار معذّبون ، وكذلك لا تكون كرامة الشهداء عند الله تعالىٰ مجرّد أنّهم يأكلون من رزقه الخاص ، لأنَّ بعض الصلحاء من المؤمنين الذين لم يكن الحضور في ساحات القتال واجباً عليهم ، إمَّا لعدم وجود حرب أصلاً وإمَّا لأنّهم كانوا معذورين من المشاركة في الحرب ، يستفيدون أيضاً من هذه الكرامة .

وما يحتمل أن يكون من خصوصيّات الشهادة :

أوّلاً : التوفيق إلىٰ لقاء الله الوارد في الأحاديث الشريفة ، وهذا المعنىٰ لا يدركه إلَّا الأوحدي من الناس .

وثانياً : إنَّ الشهداء يردون البرزخ أحياءً لا أمواتاً ، وتوضيح هذا المطلب :

انّ الموت في الفقه الاسلامي بمعنى انّ الروح تترك البدن ، وعلىٰ رأي الخبراء والأطبّاء انّ البدن في هذه الحالة لا يكون تحت تدبير الروح ، ولذلك نجد انّ الإسلام وضع بعض الأحكام الشرعية ، التي بحسبها يُغسّل الميت ويكفّن ويحنّط ويدفن ، ومن هذه الناحية لا يوجد فرق بين الشهيد وغيره إلّا في بعض الأحكام كالغسل والكفن ، ولكنّ الموت له معنىٰ آخر في نظر علم الكلام والتفسير الذي يهتم بالروح نفسها ، لا البدن ، يعني انّ بعض الأرواح حين انتقالها من الدّنيا ودخولها إلىٰ عالم البرزخ تموت في الدّنيا وتحيىٰ في البرزخ ، بمعنى انّها تكون غافلة ومحجوبة عن نشأة الطبيعة وحوادث الدّنيا ، ومطّلعة علىٰ حوادث البرزخ فقط بمقدار سعة وجودها ، لذلك يرد هؤلاء الأشخاص إلىٰ البرزخ أمواتاً ، ويكونون أحياء في البرزخ فقط .

ولكن الشّهداء يدخلون إلىٰ البرزخ أحياء ، وهذا هو التفاوت بين الشّهيد وغيره ، وأمّا الأوحدون من الناس ، وهم معلّمو الشهداء الذين يعلّمونهم الشّهادة بقلمهم وبيانهم فهم في درجة الشهداء أو أرفع منهم ، والدّليل علىٰ أنّ الشّهداء يردون البرزخ أحياء ، ولا يصيبهم من حوادث الدّنيا شيء الآيات التي تذكر عدّة فضائل للشهداء ، من قبيل : « وَلَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »[١] .

ثم يقول :

« ... وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِنْ خَلْفِهِم » .

يعني انّ الشهداء يتلقّون البشارة والأخبار السّارّة من الله سبحانه وتعالىٰ ، وهي الإطّلاع علىٰ حال من يسير في خطّهم وطريقهم ، يعني انّ الشّهداء مطّلعون كاملاً علىٰ أوضاع الأشخاص الذين يسعونَ لمواصلة طريق الشهداء ، ولكنّهم لم يلحقوا بهم ، بحيث انّهم مُطّلعون علىٰ دوام الطريق من ناحية ، وعلىٰ خصوصيّات عمل السائرين ورسالتهم من ناحية أخرىٰ ، وبذلك يكون الشهداء أحياء حين ورودهم البرزخ وبذلك يجمعون بين حياة الدنيا والآخرة .

فالإلتفات إلىٰ هذه النكات الدقيقة يوضح التناسق الموجود بين العرفان والحماسة ، فيسوق العارف إلىٰ مستوىٰ الشهادة ويقود الشهداء إلىٰ أوج المعرفة ، طوبىٰ لهم وحسن مآب .

١٠ ـ الجهاد في سبيل الله لا يُقيّم من جهة الإخلاص فحسب ، بل يخضع لموازين أُخرىٰ أيضاً كضرورة المقطع الزماني وتأثيره المهم ، لأنّ الجهاد تارة يكون صعباً وأُخرىٰ سهلاً ، كما في الموارد المستعصية في تشخيص الحق من الباطل ، وعلىٰ فرض التمكّن من التمييز بينهما يكون

---

(١) آل عمران : الآيات ١٦٩ ـ ١٧٠ .

العمل بذلك صعباً أيضاً ، لأنّ البيئة الثقافية المناسبة لتشخيص الصواب من الخطأ غير موجودة ، وكذلك فقدان الجوّ السياسي المفتوح المساعد علىٰ الجهاد .

وفيما إذا استطاع أحد تمييز الحق من الباطل ، وبعد الإدراك الصحيح اعتقد بضرورة الدفاع عنه ، في هذه الصورة يستحق التقدير والاحترام كما كان هذا المعنىٰ أحد مفاخر الامام علي (ع) حيث أنَّه أسلم قبل الآخرين، ومعنىٰ ذلك أنَّ قدرته الفكرية كانت عظيمة بحيث استطاع تميز الحق من الباطل في حين أنَّ الآخرين كانوا يرزحون في حضيض الجهل ولا يميزون بين الغثّ والسمين ، وكذلك كانت لديه الشهامة العملية العالية بحيث استطاع أن يؤمن بالحق فقط ويعتبر ما عداه من الأمور باطلة أجمع .

إذن فالمقصود من السبق إلىٰ الإسلام بالنسبة إلىٰ الامام علي (ع) ليس هو السبق الزماني فحسب حتّىٰ يقال انه لا يعتبر المعيار هو المعيار للكمال الوجودي له ، بل هو التقدّم الثقافي والسياسي وأمثال ذلك ، وهذه الأوصاف بأجمعها تكمن في شعاع التقدّم الوجودي وسبق الدرجة في عالم الوجود .

فالمقصود أنَّ أحد الأُسس في تقييم عظمة الجهاد إدراك ضرورته في المقطع التاريخي الحسّاس ، وفي ظلّ هذه المعرفة يَتُم الاقدام العملي اللائق والمناسب ، أمَّا إذا كان الشخص قاصراً عن تشخيص الوظيفة في أشدّ

المراحل التاريخية حسّاسية ، أو أنّه بعد التمييز الصحيح لا يقدم علىٰ ذلك إقداماً مناسباً فهو وإنْ نال شيئاً من قيمة الجهاد إلَّا أنَّه لا ينال الدرجة السامية له ، كما ذكر ذلك القرآن الكريم :

« *لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* »(١) .

أي أنَّ مقام الأشخاص الذين أنفقوا وجاهدوا قبل فتح مكة وانتصار الإسلام علىٰ الشرك في الحجاز أعظم من مقام الأشخاص الذين أنفقوا وجاهدوا بعد فتح مكّة ، فمع أنّ الجميع لهم عاقبة الحسنىٰ ، إلّا أنّ التفاوت في الدرجة يبقىٰ محفوظاً .

ومن هذا البيان يمكن فهم أحد الأسرار في الحديث الآتي ، ففي غزوة الأحزاب وقف الإسلام كلّه مقابل الكفر كلّه ، فانتصار أحدهما علىٰ الآخر يوجب هزيمة الآخر الأبدية ، وبما أنَّ الامام عليّاً (ع) الّذي يمثل الإسلام وقف مقابل عمرو بن عبد ود الّذي يمثل الكفر بينما بقي الكثيرون عاجزين عن تشخيص الحق من الباطل ، أو مقصّرين في الاقدام علىٰ انجاز الواجب المشخّص لديهم ، فلذلك كان لموقف الامام علي (ع) في ذلك المقطع التاريخي الحسّاس أثر مهم جدّاً ، بحيث إنَّ جميع أعمال الخير التي قام بها الامام نفسه

---

(١) سورة الحديد : الآية ١٠ .

أو التي عملها الآخرون من سائر الناس تنضوي تحت شعاع ذلك العمل الجهادي في ذلك الوقت .

ولذلك قال رسول الله (ص) في قضية جهاد الامام (ع) في غزوة الأحزاب : « *ضَرْبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِن عِبَادَةِ الثَّقَلَين* » أو عبارات أُخرىٰ تحكي عن أهميّة هذه المبارزة .

ومع أنَّ إخلاص الامام علي (ع) في هذه الواقعة صار حديث الأدباء والشعراء ، إلَّا أنَّ إخلاصه هذا كان موجوداً في سائر أعماله ، نظير إطعام المسكين واليتيم والأسير و... ومع ذلك لا نجد لها هذا المقام السامي المذكور في هذا الحديث الشريف بالرغم من نزول الكثير من آيات سورة (هل أتىٰ) بخصوص قضية الاخلاص .

وعلىٰ أيَّة حال نجد أنَّ دور الحماسة وتأثير محاربة الظلم في تسامي الروح يهيّئان الأرضيّة المساعدة لاشتياق العرفاء الحقيقيين الى الشهادة ، وكذلك يوضّح العرفان الأصيل لمجاهدي طريق الحق ، وهذا هو معنىٰ الترابط الموجود بين الحماسة والعرفان .

١١ ـ هناك شروط وأصول للجهاد في سبيل الله ينبغي تحصيلها ، كما يجب الحذر من الموانع والعراقيل الموجودة في طريقه ، إلَّا أنَّ الركن الأهمّ والشرط الأساسي هو تجارة الدنيا والآخرة ، أي بيع الدنيا وشراء الآخرة ، والمقصود من الدّنيا التي هي رأس كلّ خطيئة هو التوجّه إلىٰ غير الله تعالىٰ ،

فكما أنَّ للآخرة درجات ، فكذلك للدنيا دركات متفاوتة فيما بينها فبعضها انزل وأحطّ من البعض الآخر ، والشرط الأساسي للجهاد في سبيل الله هو الاجتهاد في تشخيص الدّنيا بجميع دركاتها ، وتمييز الآخرة بجميع درجاتها ، والشروع بالمعاملة بترك الدّنيا والّذي هو في الحقيقة الخلاص من دركاتها ، وتحصيل الآخرة والّذي هو في الحقيقة نيل درجاتها والنجاة ، وقد ذكر هذا السرّ المكتوم في قوله تعالىٰ :

« فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤتِيهِ أَجْراً عَظِيماً »[1] .

يعني أنَّ الأشخاص الذين يقاتلون في سبيل الله هم الذين باعوا الدّنيا بالآخرة ، وكلّ من اختار هذه المعاملة والتجارة وجاهد في سبيل الله فأمامه واحد من طريقين لا ثالث لهما ، أحدهما الشهادة ، والآخر النصر . ولا وجود لطريق ثالث باسم المصالحة والتسليم وأمثال ذلك كما ذُكر سابقاً .

انّ ترك الدّنيا هو الشرط الوحيد للجهاد والثمن الوحيد للجنّة ؛ بمعنىٰ انّ الجهاد من دون بيع الدّنيا لا يتّصف بالصبغة الالهيّة ، ولا ينتهي بانتصار الحق ، وبدون ترك الدنيا لا يمكن الدخول إلىٰ الجنّة ، كما قال الامام علي (ع) الذي يجمع شروط الجهاد والمؤهل للجنّة : *« طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّة »*[2] .

---

(١) النساء : الآية ٧٤.

(٢) غرر الحكم (آمدي) : ص ١٤٧ ، ط قم .

ومن المعلوم أنَّ الحصول علىٰ الجنّة يكون بمقدار المهر ، لأنّ البعض يترك لذائذ الدنيا لكي يحصل علىٰ لذّات الجنّة الحسيّة أو الخياليّة أو العقليّة ، ولكن البعض الآخر يصرف النظر عن جميع اللذات لتحصيل اللذات الالهية، فلا يستوي الزّهاد والعباد والعرفاء في الجنّة ، كما أنَّ العرفاء لا يستوون فيما بينهم أيضاً ، ومن الواضح أنَّ جهاد الزّهاد يختلف عن جهاد العبّاد ، وجهاد هاتين الطائفتين يختلف عن جهاد العرفاء ، كما أنَّ جهاد العرفاء أنفسهم له درجات كثيرة بمقدار تفاوت مراتبهم العرفانية .

لقد فسّر ابن سينا (قدّس سرّه) الزّهد بمعنىٰ الإعـراض عـن لذّات الدّنيا ومسرّاتها ، فمن كانت فيه هذه الصفة فهو الزاهد ، وفسّر العبادة بأنها أداء الفرائض والنوافل والمواظبة علىٰ الأفعال العبادية سواء الواجب منها أو المستحب ، كالصلاة والصوم و... فمن كان واجداً لهذه الصفة الايجابية فهو العابد .

وقد عرّف العرفان بقوله : هو التوجّه الباطني المستمر ، والانصراف الفكري لجهة قدس الجبروت بمنظور اشراق نور الحق في قلب الانسان .

والشخص المتّصف بهذه الصفة النفسانيّة والموفّق لجمع الخـواطـر الفكريّة هو العارف ، فتارةً يجتمع الزّهد مع العبادة ، أو الزهد مع العرفان ، أو العبادة مع العرفان ، أو كلاهما مع العرفان ، ومن المعلوم أنَّ أصل العرفان من دون المقدار اللازم من الزّهد والعبادة لا يكون ميسّراً ، بالرغم من امكانيّة

الزهد بدون العرفان أو اجتماع الزّهد والعبادة بدون العرفان لأنّ حفظ المراتب السفلى بالنسبة إلىٰ ما فوقها في الدرجات الطولية لازم.

إنَّ زهد غير العارف تجارة لا أكثر ، فكأنّه يعطي بضاعة ويأخذ أُخرىٰ بدلها ، ولكنّ زهد العارف هو ترك جميع أنواع البضاعة والمتاع الّذي يمنعه من التوجّه الباطني إلىٰ جهة الحق ، وكذلك الاستعلاء علىٰ ما سوىٰ الله تعالىٰ ، وهكذا أيضاً عبادة غير العارف فإنّها بيع وشراء لا أكثر أو اجارة واستئجار لا غير ، فكأنّه يعمل في الدّنيا حتّىٰ يحصل علىٰ أجرة عمله في الآخرة ، ولكنّ عبادة العارف تكون في رياضة جميع القوىٰ الباطنيّة التي خرجت عن مدارها المادي وتحرّرت من الطبيعة ووصلت إلىٰ منطقة ماوراء الطبيعة وأوج عروج معراج الأولياء ، فلا يقطع شيء طريقه إلىٰ حريم حرم القلب الآمن حتّىٰ وقت تجلّي الحق ، ولا يلوثه شيء ، وهذا العمل ثابت له بصورة ملكة ، وكلّما أراد قلبه شهود وإشراق الحق فسوف يحصل له بدون مزاحمة الخواطر والإرادات النفسانيّة ، وهكذا تتبعه جميع القوىٰ الخيالية والوهميّة وجميع الدوافع النفسانيّة حتّىٰ يدخل بجميع وجوده في سلك القدس ومنزل القداسة[1].

فما ورد من كلام ابن سينا (رحمه الله) مأخوذ من النصوص الدينيّة

---

(١) الاشارات والتنبيهات ـ النمط التاسع ـ الفصل الثالث والرابع ، مع التفسير والتلخيص.

وخاصةً ما ورد في باب زهد العرفاء ، لأنّ جذور هذا القول نجده في كلام أمير البيان الامام علي (ع) والّذي ورد في وصف المتّقين حيث قال :

« *عَظُمَ الخالِقُ فِي أنفُسِهِم فَصَغُرَ مَا دونَهُ في أعيُنِهِم ...* »[(١)] .

الغرض هو أنَّ ترك الدّنيا له مراتب ، وكذا نيل الثواب له درجات ، وأهمّ مرتبة في ترك الدّنيا هو ترك ما سوىٰ الله تعالىٰ ، وأعلىٰ درجة من الثواب فيها هي لقاء الله ، والشهداء يوفّقون إلىٰ ترك ما سوىٰ الله ، ويذوقون لذّة لقائه ، وذلك هو الانسجام بين العرفان والفتوّة ، لأنّ العارف الّذي يريد الوصول إلىٰ الله يجب عليه أن يتحرّر من جميع ما سوىٰ الله ، فلو كان الانشداد إلىٰ الله يحتاج إلىٰ الايثار بالمال والنفس فيجب عليه نبذ جميع الأمور المتعلّق بها ، لأنّ العارف يرى بقاء اسم الله فقط ، فعليه التخلّي عن جميع الأمور التي يحبّها لكي يحيي في نفسه ذكر الحق واسم الله تعالىٰ ، وهذا هو الدّافع الأساسي للجهاد وهو : « *لتكون كلمة الله هي العليا* » .

وهذا المجاهد أفضل من جميع المجاهدين ، كما أنَّ مثل هذا العارف أفضل من جميع العرفاء .

يقول الامام السجاد (ع) في مناجاة العارفين بعد ذكر الكثير من صفات العرفان وشروطه الخاصة وآثاره :

« *قَرَّت بِالنَظَرِ إلىٰ مَحْبوبِهِم أعيُنُهم ... وَرَبِحت فِي بَيْعِ الدُّنيَا بِالآخِرَة*

---

(١) نهج البلاغة : خطبة ١٩٤ .

تِجَارَتهم »[١] .

فأفضل ثمرة ليقين العرفاء هو الزّهد وترك الدّنيا .

« *فثمرة اليقين هو الزّهد* »[٢] والمقصود من الزّهد هو ترك الدّنيا ، لا ترك التعليم وتزكية نفوس الخلق وترك خدمة المجتمع ، فيجب أن نفرّق بين الزّهد والإنزواء والاعتزال ، فالانسان العارف والموفّق لا يألو جهداً من أجل نشر التوحيد ولا يقصّر في خدمة الموحّدين ، لأنّ قيمة الانسان بقلبه ولسانه .

فلو كان شجاعاً بقلبه ، وداعياً بلسانه ، فسوف يكون منوّر القلب بمعرفة الله ومداوماً علىٰ ذكره وموفّقاً في نشر المعارف الدينيّة .

كما قال الامام علي (ع) : « *المرء بأصْغريه بِقَلبِهِ وَلِسَانِهِ ؛ إنْ قَاتَلَ قَاتَلَ بِجنَان ، وإن نَطَقَ نَطَقَ بِبَيَان* »[٣] .

والعارف لا يهدأ أبداً حتىٰ يصل إلىٰ محبوبه ، ولا يصل أبداً إلىٰ محبوبه إلّا ببذل جميع ما بيده وما تحت اختياره في سبيل المحبوب ، كما يستفاد ذلك من قوله تعالىٰ :

« *قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤكُمْ وَأَبْنَاؤكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوَالٌ*

---

(١) مفاتيح الجنان : مناجاة ١٥ (مناجاة العارفين) .

(٢) غرر الحكم : ص ٦٢ .

(٣) غرر الحكم : ص ٦٦ .

اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرضَونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » [1] .

وهكذا يقول سبحانه وتعالىٰ :

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم » [2] .

بمعنى انّ معرفة الله والشوق إلىٰ لقائه يهوّن كلّ العقبات والصعاب في طريق الوصول اليه لتسكين ذلك الشوق .

وشوق العارف لا يهدأ أبداً إلَّا بالوصال ، والوصال لا يتيسّر إلَّا بالقتال ، والقتال الحق لا يُنال إلَّا بالمعرفة الكاملة ، ومن هذه الجهة نجد التناسق الكامل بين الثوريّة في السياسة لرفع الظلم وبين العرفان الحقيقي .

والدليل علىٰ انّ الحُرقة لا تهدأ بغير الوصال هو ما قاله صاحب هذا المقام الجامع بين القتال الخالص والعرفان الأصيل الامام علي (ع) :

« لَم تَسكن حرقة الحِرمَان حتَّىٰ يتحقَّق الوِجدَان » [3] .

ولعلّ شوق شهود الحق هو الباعث والدافع للترتيب الذكري في

---

(١) التوبة : الآية ٢٤ .

(٢) المجادلة : الآية ٢٢ .

(٣) غرر الحكم (آمدي) : ص ٦٤ .

الآية الشريفة :

« *فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة* »(١) .

فقبل أن يذكر المجاهدين وقبل ذكر شرط الجهاد ذَكَر الهدف ، وهو إحياء طريق الله عزّوجلّ ، فذكر كلمة (في سبيل الله) قبل كلمة (الذين) التي تشير إلىٰ المجاهدين والفاعل للفعل ، وبما أنّ العارف ليس له هدف سوىٰ الاعتقاد بالتوحيد ونشره ، لذا فالقرآن الكريم يذكر الهدف من الحماسة والجهاد بأنّه إحياء التوحيد ورفض جميع أنواع الشرك والكفر فيقول :

« *وَقَاتِلُوهُم حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّين كُلُّهُ لله* »(٢) .

يعني قاتلوا الكفّار حتّىٰ تنتهي كل فتنة الشرك والطغيان وادّعاء الرّبوبيّة لغير الله تعالىٰ ، ويكون الدّين كلّه لله ، وبما أنّ الفتنة بمعنى الشرك والطغيان لذا تكون أقبح من القتل كما قال تعالىٰ :

« *والفِتْنَةُ أشَدُّ مِنَ القَتْل* »(٣) .

وبما أنّ العارف يفكّر دائماً بتحصيل رحمة الله الخاصّة لذلك فهو لا يعرض عن القتال في سبيل الدين أبداً ، لأنّ الجهاد في سبيل الله هو الرحمة الخاصة ، وهذا السرّ غير مكشوف لجميع الناس كما قال تعالىٰ :

---

(١) النساء : ٧٤.

(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩١ .

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»(١).

١٢ ـ الجهاد الحقيقي لا يتيسّر بدون العرفان الخالص، كما أنَّ العرفان الخالص لا يُستحصل بدون الإيثار بالمال والجاه والنفس .. إنَّ أوصاف العرفاء موجودة في وصف المجاهدين الحقيقيين، ولمعرفة العرفاء الحقيقيّين ننظر ما هي أوصاف المجاهدين.

وحيث إنّ النصوص الدينيّة في هذا المجال كثيرة، فسنكتفي بنقل بعض منها:

يقول الامام علي (ع) في وصف أصحابه الحقيقيين:

« ... أين القوم الذين دُعُوا إلىٰ الإسلام فقبلوه وقرؤوا القرآن فأحكموه وهيجوا إلىٰ الجهاد فولهوا وَله اللقاح إلىٰ أولادها، وسلبوا السّيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفّا صفّاً، بعضٌ هلك وبعض نجا. لا يبشّرون بالأحياء، ولا يعزّون عن الموتىٰ»(٢).

أي: لا يفرحون ببقاء من نجا من القتل حتّىٰ يُبشّروا بذلك، ولا يتألّمون بشهادة من قُتل في الحرب حتّىٰ يُعزّوا بذلك.

لقد ورد في هذه الخطبة انّ هؤلاء يتوجّهون نحو الجهاد بشوق بالغ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٢١.

ولا يتألّمون لفقد الشهداء ، كما انّهم لا يفرحون ببقاء الآخرين ، وهذا المقام والمنزلة لا يتحقّق بدون العرفان الخالص .

وقد روي عن رسول الله (ص) :

« إن الله وملائكته يصلّون علىٰ أصحاب الخيل من اتّخذها وعدّها لمارق في دينه أو مشرك »[١] .

وكذلك ورد عن النبي (ص) :

« للشهيد سبع خصال من الله أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب والثانية يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه تقولان مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما والثالثة يكسى من كسوة الجنّة والرابعة يبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيّبة ايّهم يأخذه معه والخامسة أن يرىٰ منزلته (منزله ـ خ) والسادسة يقال لروحه اسرح (اسرحي ـ خ) في الجنة حيث شئت والسابعة أن ينظر في وجه الله وانها لراحة لكلّ نبي وشهيد »[٢] .

وقد ورد عن الامام الصادق (ع) :

« بانفاق المهج يصل العبد إلىٰ برّ حبيبه وقربه »[٣] .

---

(١) جامع الأحاديث : ج ١٣ ، ص ٣٢ .
(٢) جامع أحاديث الشيعة : ج ١٣ ، ص ١٥ .
(٣) جامع الأحاديث : ج ١٣ ، ص ١٦ .

ومن المعلوم أنَّ الوصول إلىٰ مقام الأبرار ونيل منزلة القرب من الله تعالىٰ هي أعلىٰ وأسمىٰ أهداف العرفاء ، وقد نالها الشهداء العرفاء .

فقد ورد عن رسول الإسلام (ص) :

« ثلاثة يشفعون الى الله عزوجل فيشفّعون : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » [١] .

كما انّ العارف الحقيقي لا يرجو شيئاً غير لقاء الحق ، ولكن الاستمرار في طريق المعرفة سيوصله إلىٰ مرتبة الشفاعة ، فالشفاعة هي مُنية كلّ عارف وهي وسامٌ للشهداء ومن مختصّاتهم ، والجهاد من أجل هذه الأهداف لا يتحصّل بدون العرفان ، كما انّ العرفان مع هذه الدوافع المذكورة لا يتحقّق بدون ايثار النفس في سبيل الدين ، ومن الطبيعي انّ العرفان المصاحب للجهاد الأكبر لا يترك أبداً الجهاد الأصغر وإلّا فسيكون في جهاده الأكبر مهزوماً لا فاتحاً .

نعم، تارةً يستغنىٰ عن الحرب ، كما هو الحال في زمان الصلح والسّلم، ولكنّ هذه الحالة نادرة جدّاً ، لأنّ الآية الكريمة تقول :

« قَاتِلُوهُم حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله » [٢] .

---

(١) جامع الأحاديث : ج ١٣ ، ص ١٦ ـ بحار الأنوار : ج ٨، ص ٣٦ ـ كنز العمّال : ح ٢٩٠٧٢ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٣٩ .

فلا تكون هناك فرصة للصلح والسلم في هذا النظام الحالي أبـداً ، وأملنا هو تحصيل الحماسة في سبيل الدّين والعرفان الحقيقي .

ملاحظة : هذا الكتاب هو مجموعة من اثنتي عشرة محاضرة ، ألقيت إحدىٰ عشرة منها في مراسم عاشوراء عام (٦٨ ـ ٦٩) وألقيت الأخيرة في ذكرىٰ رحيل الامام الخميني (قدّس سرّه) ، ثم وباهتمام حجة الإسلام الشيخ حسين رضواني أيّده الله تمّ تدوين هذه المحاضرات و نسأل الله تعالىٰ أن يتقبّل من الجميع ، بل أن يـتقبّل الجميع بلقائه .

قم ـ جوادي الآملي



المحاضرة الأولىٰ :

انّ الذكرىٰ المؤلمة لثورة سيد الشهداء (ع) العالمية ، والموافقة للرحيل المؤلم لإمام الأمة رضوان الله عليه ، توجب علينا ذكر بعض الأقوال الواردة عن الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) حول جذور وأرضية المعرفة، وكذلك ما خلّفه لنا إمام الأمّة من أقوال في هذا المجال حتّىٰ نتمكّن أنْ نبيّن قسماً من الوصيّة الإلهيّة والسياسية لإمام الأمّة ، وكذلك نوضح أو يتّضح لنا الطريق الأصلي والأصيل لسيّد الشهداء (ع) ، وواجبنا أيضاً هو مواصلة وإدامة هذا الطريق .

انّ سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) أشرق علىٰ الكون بأشعةٍ ساطعةٍ متعددة ، فقد أشرق علىٰ العرفاء بنور دعاء عرفة ، وظهر للحكّام

المدافعين عن العدل والقسط والمحامين عن المستضعفين والمحرومين في نور ثورته علىٰ الأمويّين الطواغيت، وأشرق علىٰ المتّقين والزّهاد بأنوار أُخرىٰ.

الامام الحسين بن علي (سلام الله عليه) هو الّذي استطاع أن يجمع بين مضمون دعاء عرفة السامي وبين ثورته في كربلاء، وفي هذا الزمان ومن بين نوّاب الامام يتراءَىٰ لنا ذلك الشخص الّذي استطاع أن يجمع بين العرفان الحي والثورة ضد ظلم الشّرق والغرب وهو امام الأمّة (رضوان الله عليه) وكما انّ معرفة الناس لسيد الشهداء كانت علىٰ مدىٰ التاريخ الطويل، فكذلك التعرّف علىٰ الشخصيّة الحقيقية لإمام الأمّة تكون علىٰ عاتق التاريخ الطويل.

نحن نرىٰ أنَّ الامام الراحل يتحدّث في كثير من الموارد عن المسائل السياسيّة في ضمن المسائل العرفانية، فله في كلّ عام عدّة لقاءات رسميّة يتحدّث فيها عن المسائل العالمية بصورة كاملة، وكذلك له في كل عام رسائل يخاطب بها العالم، فاللقاءات الرسميّة السنويّة له هي عبارة عن عيدي الفطر والأضحىٰ، والرسالة الرسميّة العالمية له هي رسالته إلىٰ حجّاج بيت الله الحرام.

ان محتوىٰ كل من هذه اللقاءات أو الرسائل ينقسم إلىٰ عدّة أقسام، والقسم المهمّ منها هي المسائل العرفانيّة ومعرفة الله ومعرفة النفس وجهاد النفس.. إنَّ القرآن الكريم يدعونا جميعاً إلىٰ الإلتفات لأصل الميثاق، ويقول

لنا تذكّروا هذه الواقعة ، وهي موجودة فعلاً ، فلو لم تنسوها فلن تودع في زاوية النسيان ، وان لم تتركوها فهي أيضاً لا تترككم ، وتلك الواقعة تجسيد لالتزام الانسان بالميثاق في محضر الذات الالهية المقدّسة ، فيقول :

« *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ* »[(١)]

فهذه الآية تخاطب جميع المسلمين والموحّدين في العالم ، بل هي خطاب لجميع الناس ، بمعنىٰ : واذكر إذ أخذ .... ويعني تذكّر هذه الواقعة . إذ أخَذَ ، فهو ظرف منصوب بفعل محذوف . تارةً يذكر القرآن الكريم القصص التاريخية فيقول للنبي (ص) :

تذكّر هذه القصة التاريخية ، فجميع القصص التاريخية التي حدثت للأنبياء السّابقين (ع) لها وجهان :

أولاً : **الجانب الزماني** : وهي الحادثة التي وقعت في ظرف من الزمان وجزء من التاريخ .

ثانياً : **الجانب الملكوتي** : وهو لا يُحدّد بزمان ، ولا يتّسع له زمان ، بل له موقع في خارج نطاق الزمان ولذا لا يتزامن مع أي زمان كذلك ، فمثلاً يقول مخاطباً النبي الأكرم :

---

(١) الأعراف : الآية ١٧٢ .

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً »[١] .

إنّ قصة ابراهيم الخليل (ع) لها جانبان ، أحدهما هو المدوّن ضمن التاريخ ، والآخر هو الرابطة الملكوتية بين ابراهيم (ع) مع الذات الالهيّة المقدّسة والتي لا يحتويها أيّ زمان ، بل هي فوق الزّمان ، وكذلك قصّة مريم (سلام الله عليها) : *« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً »*[٢] وأمثال ذلك .

انّ جميع قصص الأولياء الماضين الواردة في القرآن الكريم هي من هذا القبيل غالباً ، وهو أنَّ وجهاً منها وقع في مقطع من الزمان ، أمَّا الوجه الآخر فهو فوق الزمان ولا يستطيع التاريخ أن يضمّه مطلقاً ، فهو ثابت دائماً ، فبالرغم من أن المؤرخين ذكروا قصص ابراهيم وموسى وعيسى وأمثالهم من الأنبياء (عليهم السلام) في كتبهم ولكن التاريخ يتّسع فقط للأمور المتعلّقة بالزمان ، وأمَّا الأمور الحيّة علىٰ طول الدّهر ، فلا يتّسع لها التاريخ والزمان ، فمثلاً :

إنَّ حادثة أخذ الميثاق لم تكن في التاريخ والزمان ولم تحدّد في يوم من الأيام ، بل هي مطلب يتعلّق بالدهر مائة بالمائة من أوّله إلىٰ آخره وليس زمانياً أو مكانياً أصلاً :

---

(١) سورة مريم : الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم : الآية ١٦ .

« إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتهم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ... »[١] .

في هذه الآية الكريمة يقول الله عزّوجلّ مخاطباً جميعَ الناس أنْ تذكّروا هذا المعنىٰ انكّم أعطيتم عهداً .

هذه المسألة ليست من المسائل التي أثبتها المؤرخون في كتبهم ولا انّ هذه الحادثة قد وقعت في الحقبة الفلانية من التاريخ وان الله تعالى أخذ فيها الميثاق من البشر ، وقد تعهّد بذلك الانسان ، ولا توجد في الأساطير أيضاً ، ولا في التاريخ المدوّن ولا في غير المدوّن ، لأنّها ليست شيئاً مكانياً أو زمانياً كي يتّسع له التاريخ .

وبما أنَّ هذا الأمر أعلىٰ من المكان والزمان فسيكون حيّاً دائماً ، وعندها سيكون جميع الناس مدعوّين في أيّ وقت لأن يلتفتوا إليه ، ومتىٰ التفتوا سيدركون هذا المعنىٰ .

والآن لو عرّجنا علىٰ مَوطِن الميثاق سوف نجد أنَّ الله عزّوجلّ في حال أخذ العهد ونحن الآن أيضاً في حالة اعطاء العهد .

أنت قلت لنا تذكّروا هذه اللحظة التي تعهّدتم فيها ، يعني الآن أيضاً تتعهّدون ، إذن بما أنَّ موطن أخذ الميثاق ليس له تاريخ ، ولا يحكم عليه الماضي أو المستقبل ، ولا يصيبه القِدم الزماني فهو جديد دائماً ، ويمكن

---

(١) الأعراف : ١٧٢ .

تذكره في كل زمان والتوجّه اليه لأنّه حيٌّ دائماً .

فهو عزّوجلّ يقول : تذكّر عندما أعطيت العهد وقد سألك الله عزّوجلّ مَنْ ربّك ؟ فقلت : الله ، فليس مفاد هذه الآية أنَّ الميثاق أخذ من خصوص ذريّة آدم ، بمعنىٰ انها كانت ذرّات صغيرة ، لأنَّ هذا المطلب خلاف ظاهر القرآن الكريم من جهة ، ومخالف للعقل من جهة أخرىٰ ، فالحديث ليس عن ذرّات صغيرة في صلب آدم ، بل الحديث عن ذريّة بني آدم ومن ظهر كل شخص اُخرجت ذريته ووصلت إلىٰ مقام تعرفُ نفسها ، ولكن ليست هي معرفة النفس من باب : « *عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود ونقض الهِمَم* »[1] والتي هي علمٌ حصولي أيضاً .

فهذه هي الطريقة التي تحدث بها أمير المؤمنين (ع) في أوساط الناس فلو أراد شخص أن يعرف نفسه بالاستدلال فهو بالحقيقة قد عرف غيره لا نفسه ، فما دام الحديث عن اللفظ والتصوّر والتصديق فهو الغير لا أنا ، والانسان ما دام يفكّر ، فهو يفكّر بالأجنبي لا بالصديق ، وما دام يفكّر فتفكيره منفصل عنه ، فمادام هناك تصوّر فهو لغير النفس ، وما دامت هناك قضية وتصديق ولفظ ومفهوم فهو الغير لا أنا ، وما دام الفكر موجوداً فإنَّه هو لا أنا ، فإذا لم يكن الفكر والعلم الحصولي والتصوّر والتصديق والاستدلال ولم يكن الحديث من باب *عرفت الله بفسخ العزائم وحلّ العقود*

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٥٠ .

ونقض *الهمم* ، بل كان أعمق من ذلك ، فهناك يكون الكلام عن الشهود والحضور والمشاهدة الباطنية لا التصوّر الفكري للانسان ، وفي هذه اللحظة إذا نظر الانسان إلىٰ نفسه فسوف يرى ربوبيّة الله عزّوجلّ أيضاً ، وهذا الأمر موجودٌ حالياً أيضاً والله عزّوجلّ يذكّرنا بهذا الأمر ويقول : تذكّر هذه الواقعة والتي أنت مستمر في اعطاء العهد ، فتارة يمنع حجاب الغفلة من الوفاء بعهدك ، ولكنك أعطيت عهداً فيجب عليك أن توفي بهذا العهد ..

« أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » [(١)] .

أنت الذي قلت : بلىٰ أنت ربّي .

وموقف الشهود هذا جميل وعذب إلىٰ درجة انَّ الحديث لا يكون فيه عن : *« أنت الخالق وأنا المخلوق »* ولا : *« أنت الرّب وأنا المربوب »* ولا : *« أنت الغني وأنا الفقير »* ولا : *« أنت الحيّ وأنا الميّت »* بل هو أعلىٰ من ذلك .

وأدعية الائمة (عليهم السلام) ليست متساوية دائماً ، بل لها صعود ونزول .

فأهل البيت (عليهم السلام) يتحدّثون مع ضعفاء تلامذتهم بنوع معيّن من الكلام ، ومع المتوسّطين بنوع آخر ، ومع الأوحدين من تلامذتهم بصورة أُخرىٰ ، فعبد الله بن سنان [مثلاً] كان من تلامذة الامام الصادق المعروفين ، وعندما ذكر الامام الصادق (ع) مطلباً خاصاً لذريح المحاربي لم

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٠ .

يذكره لابن سنان ، فلمّا حضر ابن سنان عند الامام قال : لقد سمعت منكم معنىٰ هذه الآية بشكل آخر ، فقال (ع) : « *ومن يحتمل مثل ما يحتمل المحاربي* »[1] يعني إننا إذا وجدنا طالباً له القدرة علىٰ تحمّل هذه العلوم لتحدّثنا معه بعميق الكلام .

أساساً ، عندما يتشرّف الانسان بزيارة الائمة (ع) ، فإن أفضل زيارات العتبات المقدّسة هي زيارة الجامعة الكبيرة ، ومع أن القسم الكبير من هذه الزيارة هو اظهار الأدب والتجليل والتعظيم للائمة المعصومين (عليهم السلام) ، فهناك قسم من العبارات العالية النورانيّة فيها ، وهو مسألة الدعاء والمناجاة ، وكل هذه العبارات بصيغة الانشاء لا الإخبار .. نحن نقول للائمة المعصومين : « *محتمل لعلمكم ، محتجبٌ بذمّتكم* » يعني قدمت اليكم والتجأت بكم ، وقد أعطيتموني الأمان ، وبما انكم أعطيتموني الأمان وأنا الآن ملتجيء إلىٰ حصن ولايتكم فقد جئتكم لكي أحمل من علومكم ، ولم أقدم إلىٰ السياحة والنزهة .

فأنتم قلتم لدينا علوم يتحمّلها الأنبياء ، ويتحمّلها الأولياء ، ويتحمّلها الخواصّ من المؤمنين لا غير .

« *إنَّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلَّا عبد مؤمن امتحن الله قلبه*

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٧ ، ص ٣٣٨ .

للإيمان »[١].

قال رسول الله (ص) : *« إنَّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلَّا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان »*[٢].

فقد أتيتكم حتّىٰ أحمل من علومكم ، وأتيتكم حتّىٰ أنال منكم انشراح الصدر .

فأوّلاً أنال القابلية واللياقة ، وثانياً أنال العلوم الالهية ، ولا ينبغي أن يقال : إنَّ الآخرين كانت لهم قدرة الذهن ففهموا ، ونحن ليس لنا هذه القدرة ، فمن أعطىٰ للآخرين تلك القدرة علىٰ الفهم فسوف يعطينا أيضاً كل ذلك بالدعاء والمناجاة .

وهكذا ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي أنَّ الامام السجاد (ع) يعلّمنا أن نقول ونخاطب الله عزّوجلّ :

« ... من أين لي الخير يا ربّ ولا يوجد الَّا من عندك ... » .

فلو قال شخص إنَّ الآخرين حصلوا علىٰ العطاء لأنّ لهم الصلاحية والقابلية ، فنحن أيضاً نتضرّع ونرجوا منك ونقول : من أعطىٰ ذلك للآخرين ؟

تارةً يسمحون للانسان أن يدعو ويناجي ربّه علىٰ شكل علاقة

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٨٩ .

(٢) أصول الكافي : ج ١ ، ص ٤٠١ .

صميمة أي كدخول الصديق إلىٰ بيت صديقه والحديث معه بصورة عادية وبدون حجاب .

وفي بعض عبارات دعاء أبي حمزة الثّمالي يعلّمنا أهل البيت (عليهم السلام) بأن ندعو الله عزّوجلّ :

« *إلهي إن أخذتَني بجرمي أخذتُك بعفوك* » فلو عاتبتنا لطالبناك بعفوك ...

ما هذا المقام وهذه المنزلة ؟ من أَذِن لنا بمخاطبة الله تعالىٰ بهذا الكلام المكشوف ؟ لقد سمحوا لنا بهذا المقدار من الدنو ، بعد تطهير الانسان لفمه ونفسه :

« *طهّروا أفوَاهكم فإنّها طرق القُرآن* »(١) .

وليس هذا الدعاء لجميع الناس ، وقد ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي : إلهي من أين لي الخير ولا يوجد إلّا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلّا بك ، لا الّذي أحسن استغنىٰ عن عونك ورحمتك ، ولا الّذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك .

بمعنى انّك يا إلهي أمرتني أن أكون من أهل الخير والصلاح ومن أهل النجاة ، ولكن الخير لا يوجد إلّا منك ، فأنت المنجي والمنقذ أيضاً ، فلو كان هناك من هو من أهل الخير وأهل النجاة ، فأنت الذي أعطيته هذا الفيض

---

(١) بحار الأنوار : ج ٧٦ ، ص ١٣٠ .

والعطاء ، واذا كان هناك أشخاص مثلي قد حُرموا فمن أين يجدون الخير ؟

هذه الصورة وهذا الأسلوب من الحديث والكلام هو أسلوب حوار الأصدقاء ، فلا يستطيع كل انسان أن يجيز لنفسه أن يتحدّث بهذه الصورة وهذا الأسلوب مع ربّه .

وإذا اتّضحت هذه المسائل فسيكون واضحاً سبب اشتراك الملايين في تشييع الجثمان الطاهر للامام الخميني (قدّس سرّه)[١] بتلك الصورة من الجزع والأسىٰ والحزن وإلىٰ هذا الوقت لم تبرد حرارة هذا الحزن ولن تبرد ، فهو (رحمه الله) كان طاهراً ومطهراً بذلك المقدار الّذي كان أعداؤه يفتعلون الاشاعات في اعلامهم المضادّ ، فلا يستطيع أحد أن يحكم عليه بشيء ما لم يعرفه من قبل وتكون له القدرة على التّحليل ، فإنه كان مصداقاً بارزاً لقوله :

« *لا يَخَاف في الله لَومَةَ لائم* » .

فهذا المعنى لا يستطيع كل انسان القيام به ، فبالرغم من أنَّ جميع المنحرفين كانوا يسيئون إليه ، وكان بعض الأصدقاء أيضاً ـ الذين لم تكن لديهم قدرة علىٰ استيعاب المسائل السياسية للثورة ـ يقدّمون النصائح في الظاهر ، ولكنّهم من المعارضين له في الواقع ، ومع ذلك لم يعتزل طريق الثورة

---

(١) الأخبار الخارجيّة والداخليّة قالت انّ عدد المشيّعين بلغ حوالي (١٠) ملايين فرد .

المليء بالأخطار بل استمرّ عليه لكي يوصل الإسلام إلىٰ مكانته وعزّه في العالم .

كان العديد من المفكّرين قبل الثورة يبحثون حول الإسلام ، فكانوا يجدون أنَّ المعارف الاسلامية العميقة والأحكام والحقوق والقوانين الاسلامية المحرّرة للشعوب من قيود الجهل والعبودية كانت موجودة في بطون الكتب فقط .

وكان الشخص الّذي سعىٰ أن ينقل هذه العلوم والمعارف من صفحات هذه الكتب إلىٰ مجال السياسة والواقع هو الامام (ره) ، فلو لم يتأمّل الانسان في العبارات السامية للأدعية نظير دعاء عرفة والمناجاة الشعبانية ودعاء أبي حمزة الثمالي ، وما لم يعمل الانسان بهذه الآية الشريفة :

« *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين* » [(١)]

فلن يصل إلىٰ هذا المقام .

ولا يكتفي من تلك الأدعية بألفاظها فقط ، بل يتسامىٰ إلىٰ حقيقتها فالله عزّوجلّ قال لنا تذكّروا هذه الواقعة ، فلو رجعتم إلىٰ أنفسكم سوف ترون انّكم الآن في حالة التعهّد أو إعطاء العهد ، وفي كل لحظة تقولون : بلىٰ بلىٰ ، هذه الـ (بلىٰ) تنبعث من فطرتكم وروحكم ، اذن فلماذا تظهر من

---

(١) الأعراف : الآية ١٧٢ .

أيديكم وأرجلكم كلمة (لا) ؟ هذه الواقعة ليست حادثة تاريخية ليصيبها النسيان ، بل هي موجودة الآن في ذواتنا ، وكلٌ في أعماق نفسه يتعهّد أمام الله تعالىٰ .

لماذا لا نلتزم بهذه المعاهدة ؟ ولماذا لا نتأمّل بأي قلم كُتبت ؟ هل هي حادثة وقعت في ما مضىٰ وانتهت ؟ حتّىٰ تستطيع أن تقول : قلت بلىٰ في ما مضىٰ واليوم أقول : لا . هل هذا صحيح ؟وهل هذه الحادثة لها مـاضٍ وحاضر أو لا ؟ بل انّك قلت بالأمس بلىٰ وغداً أيضاً تقول في أعماق الروح بلىٰ[1] .

فحتى لو كان قالبك المادي نائماً اليوم في فراش لا . ولكن هل أنَّ لهذه النشأة نهاية ؟

إذا غار الانسان إلىٰ أعماق نفسه فسوف يسمع عدّة أمور :

الأول : سوف يسمع تسبيح جميع الأشياء بلسانها الخاص .

الثاني : سوف يسمع كلمة بلىٰ من نفسه ردّاً على السؤال السابق .

الانسان الّذي لا يسمع كلمة بلىٰ في جوابه هو في الحقيقة أكمه الروح وأعمىٰ البصيرة :

« لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور »[2] أمّا اولئك

---

(١) كليات الشيخ البهائي : القصيدة الأولىٰ من كتاب (شير وشكر ، ص ٢٧) .
(٢) سورة الحج : الآية ٤٦ .

الذين يسمعون فهم سميعون بصيرون .

يجب علىٰ الانسان أن يسمع في البداية كلامه أو كلام نفسه ماذا تقول ثم بعد ذلك يسمع كلام الآخرين . أمَّا من لا يسمع كلام نفسه ولا يعلم ماذا قال وماذا يقول ، لا ينبغي أن يتوقّع أن يسمع كلام الآخرين أو يفهمه ، وفي حالة فهم الانسان لكلام نفسه حينئذٍ سوف يفهم منطق الآخرين ، وسوف لا يقتصر فهمه علىٰ كلام الطيور فحسب « *علّمنا منطق الطير* »[١] بل سوف يفهم منطق السماوات والأرض وهذا المعنى مقدور للجميع ، اذن فيجب أن لا نبيع أنفسنا بثمنٍ بخس . وقد توصّل بعض الأعزّاء في مدّة الثماني سنوات من الحرب إلىٰ هذا المقام ، وقد لا يكون انساناً من أهل الدرس والبحث ولم يُبتلَ بحجب المدرسة والكتاب ، ولهذا فهو ليس لديه ما يجذبه نحو ذاته ، بل هو انسانٌ حر . مثل هذ الانسان لا يكون حرّاً من التعلّق فحسب بل حرّ من التعيّن أيضاً ، وفي النتيجة : « *لا يخاف في الله لومة لائم* » .

فالانسان يخاف علىٰ سمعته وشرفه ، ويحافظ عليه من أي سوء .

فهل شعرنا طيلة حياتنا بمثل هذه الحالة من الخوف من الله تعالىٰ بأنْ يُذهب عزّنا وسمعتنا يوم القيامة ؟ « *ربّنا إنّك من تدخل النار فقد أخزيته* »[٢] .

---

(١) سورة النمل : الآية ١٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٢ .

لقد فتح الامام الراحل (رضوان الله تعالىٰ عليه) هذا الطريق أمام الناس، فتح طريق العرفان علماً وعملاً، وقال: انكم تستطيعون الآن النفوذ إلىٰ باطنكم وسماع نداء قلوبكم، هذا الطريق مفتوح الآن، لماذا لم نذهب ولماذا لا نذهب؟

نحن نرىٰ في تضاعيف دعاء الامام الحسين (ع) أنَّ الحديث ليس هو عن العلوم الحصوليّة، بل كثير من عبارات دعاء عرفة صريحة في العلم الحضوري.

يقول (ع): « ***إلهي من كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي*** ».

فهو (ع) يقول مخاطباً ربّه في هذا الدعاء، إلهي نحن لدينا حقيقة واحدة ولدينا ادّعاء واحد أيضاً وهناك ادّعاءات كثيرة لدىٰ الانسان، وبعض الناس لديهم شيءٌ من الكمال أيضاً، فمن لم يكن من أهل السير والسلوك يتصوّر الدعاوي حقائق. ومن كان من أهل السير يرىٰ الحقائق أيضاً دعاوي، فما كان عندي هو في الحقيقة لك ومن ملكك، أمّا الآخرون فيدّعون ما ليس لديهم وليس بملكهم، ولكن في الحقيقة ليس لي شيء إلَّا الإدّعاء، فلا يبقىٰ لي شيء.

وفي الآية الشريفة: « ***أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ*** »[1] هنا السؤال كلمة

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

واحدة والجواب كذلك أيضاً ، فليس الكلام عن الرّب والعبد ، ليس السؤال أنّه أنت العبد وأنا الله ، بل السؤال : ألست أنا ربك ؟ فضمير المخاطب في جملة : ألست بربّكم ، ليس بمعنىٰ (العبد) بل بمعنىٰ (المربوب) الّذي ليس لديه شيء ، كما هو الحال في الصورة المنعكسة في المرآة .

إذا تعرّف الانسان علىٰ حادثة الميثاق سوف تتّضح العلاقة بين الرّب والمربوب ، لأنَّ الانسان لا يملك شيئاً إذ ليس له شيء اطلاقاً ، فعندما نرىٰ أنَّ أحد أفراد التعبئة الأعزاء أو ذلك المعوق أو الأسير العزيز يكتب لإمام الأمّة رسالة يطلب فيها النصيحة من الامام ، فيجيبه الامام (قدّس سرّه) بأنَّ كل شيء لدينا من الله ، فمن الأفضل أن نهب كل شيء في سبيل الله ، وهذا المعنىٰ مستند إلىٰ هذه المعارف التوحيدية ، فلو انعكست صورة جميلة بالمرآة ، فهل للمرآة حق أن تقول أنا جميلة ؟ كلّا ، بل يجب أن تقول إنَّ صاحب الصورة جميل .

إذ انعكست صورة شجرة مثمرة بالمرآة ، فهل للمرآة الحق أن تقول : إنَّ هذه الثمار لي أو أنا مثمرة ، أو يجب أن تقول إنَّ صاحب الصورة مثمر ، وكذلك الانسان فهو لا يملك شيئاً من ذاته ، بل يعكس فيض الله عزّوجلّ : *« إلهي من كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي »* فلو استطعنا إدراك معاني دعاء عرفة لسيد الشهداء ، فسوف نفهم أسرار الشهادة ، ولماذا كان هذا الامام بتك الدرجة من الاشتياق الىٰ الشهادة .

كلٌّ واحد من الائمة (عليهم السلام) هو مظهر لإسم من الأسماء الحسنىٰ لله عزّوجلّ ، فلو فرضنا أنَّ غير الامام الحسين (ع) من الائمة في عصر سيد الشهداء فسوف يتكلّم بهذا الكلام أيضاً .

كما أنَّ الامام الحسين (ع) لو كان في عصر الصادقين (عليهما السلام) فسوف يكون مروّجاً للمذهب ومؤسساً لمدرسة أهل البيت العلميّة ، فكل واحد منهم له ظهور خاص ودولة خاصة ، فيجب أن نبقي اسم سيد الشهداء حيّاً دائماً ، لأنّ هدفه باقٍ دائماً ، ودعاء عرفة هو القرين لثورة كربلاء ، والشخص الّذي يقول في حالة السلامة والأمن :

« ***إلهي من كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي*** » هو أيضاً الّذي يقول عندما سقط من علىٰ ظهر جواده الى الأرض : « ***رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك لا معبود سواك يا غياث المستغيثين*** »[١] .

لأنَّه يرى دائماً أنَّه في حالة إعطاء العهد والميثاق لله تعالىٰ .

إذا رأى الانسان امضاءهُ في كتاب الميثاق ، فسوف يعرف منزلة نفسه واحترامه قائم بامضائه ، وسيرىٰ أنَّه يخاطب الله عزّوجلّ : « *بلىٰ أنت ربي* » .

يقول المرحوم السيد حيدر الآملي (قده) في شرح الأسفار الملكوتية ـ وقد كتبه وسنه لا يتجاوز الثلاثين ـ إنَّه في كثير من حالاته كانت تجري

---

(١) اسرار الشهادة : ص ٤٢٣ ـ رياض المصائب : ص ٣٣ .

علىٰ لسانه الآية الشريفة :

« وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَحِيماً » (١)

اذكر هذا البيت من الشعر لأحد العرفاء المشتاقين :

تركت الخلق طرّاً في هواكا | وأيتمت العيال لكـي أراكـا
فــلو قــطّعتني ارباً فـإرباً | لما حنّ الفـؤاد إلىٰ سـواكـا

أنشده الشاعر بعد سيد الشهداء بزمن طويل ، أنشده عن لسان سيد الشهداء ، وقال إن الشاعر أدرك بعض الأسرار فتمكّن أن يبيّن هذا السر ، فليس الحديث هنا أنّه قد تركت أولادي للأسر لكي أنال الجـنة ، بـل أنَّ الحديث هو أن نقول ضحّيت بعيالي لأراك ولكي أصل إلىٰ لقائك ، كما هو الوارد في الشعر الغزلي للامام الخميني (قدّس سرّه) ويَذكره بعنوان (حسن الختام) :

خذْ [يا] إلهي ذا العدمْ تحت العدمْ | وأعطني [يا خالق]حسن الختام

يقول : خذ المنصب والمقام والاسم والرسم ، وأعطني ذاتك بدلها ، هذه أمنيته ، وهذا الشعر الغزلي (حسن الختام) كان قد أنشده الامام اثناء قصف الطائرات والصواريخ للمدن والمناطق السكنيّة ، وقد كانت جميع هذه

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٠ .

المصائب علىٰ عاتق امام الأمة[1] .

فلو بحث شخص جميع مصائب الحرب المفروضة لوجد أنَّ العبْءَ الأكبر منها كان يتحمّله الامام ، وفي ذلك الحال أنشد الامام هذه الأبيات الغزليّة وهو يخاطب ربّه :

إلهي امحُ اسمي وعنواني فإنّهما حجاب ، وخذ هذا العدم تحت العدم وأعطني حسن الختام ... لقد سار الامام في طريق سار فيه مولاه الحسين بن علي (ع) ، فيجب علينا جميعاً أن نحيي عاشوراء بهذه الصورة والكيفية الموجودة ...

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) شهر دي ١٣٦٧ هـ ش .



المحاضرة الثانية :

« القادة الإلهيّون مظاهر الأسماء الحسنىٰ للحق »

هل يمكن الجمع بين العرفان والحماسة أم لا ؟ هل يمكن أن تكون للشخص روح لطيفة ومتسامحة من جهة ، وفي نفس الوقت لا تقبل المساومة من جهة أُخرىٰ ؟ هل يمكن أن تكون الروح التي تتمتّع بخاصيّة الجهاد والايثار روح نجوىٰ مع الحق أو لا ؟

إنَّ العلماء عموماً ، وقادة الثورات خصوصاً ، قد ورثوا هاتين الصفتين الرفيعتين من القادة الربانيّين المعصومين ، فانّ للقادة الالهيين ـ وهم مظاهر الأسماء الحسنىٰ للحق وبدورهم جمعوا أغلب الأسماء ـ روحاً شفافة ومحبّة وعشقاً ، وفي نفس الوقت نجد روح الدفاع والمقاومة والوقوف أمام

طغيان الطواغيت حيّة فيهم أيضاً .

ولبحث هذه المسألة يجب النظر في مناجاة الائمة (عليهم السلام) .

وكذلك يجب جمع كلامهم في ساحات الحرب ، لأنَّ هذه الأحاديث خرجت كلّها من روح واحدة ، فقد يكون الانسان معروفاً طوال تاريخ حياته بالعرفان ، وهناك انسان آخر معروف بالحماسة والشجاعة في الحرب، وهذا الأمر ليس مهماً جداً ، المهم أن يملك في ظرف واحد وعصر واحد وحال واحد ، حالة الملحمة وروح العرفان كذلك .

ان المناجاة التي كانت لدىٰ الائمة (عليهم السلام) ، والخطب التي ذكروها في ميادين الحرب ، ليست لعصرين مختلفين .

ان كلام الامام علي (ع) قبل فترة الخلافة والحرب ، هو نفس كلامه في فترة الخلافة والحرب ، وإلىٰ جانب الأوامر التي كان يوجهها في زمان الحرب ، كانت تسمع منه همسات المناجاة مع الحق .

يمكن للانسان الكامل أنْ يكون مظهراً للحق في التسامح واللين ، وكذلك يمكن أن يكون مظهراً للغضب المقدّس ، بحيث يكون مصداقاً لـ« **لا *يخاف في الله لومة لائم*** » ولو جمعت مناجاة الائمة (عليهم السلام) عموماً ، وأمير المؤمنين (ع) خصوصاً مع أوامره في جبهة الحرب ، لتبيّن أنَّ العرفان الالهي يجتمع مع الحماسة والثورة ، أي أنّه من الممكن أن يكون الانسان من أهل التضرّع والمناجاة وكذلك من أهل القتال والحرب .

وقد شاهدنا هذه الحالة وهي انّ انساناً يقلّ نظيره في التاريخ من حيث الأبهة والشهامة، وقد تحمّل النفي والهجرة من جهة، كانت لديه روح المناجاة مع الحق من جهة أُخرىٰ.

إذا كان التسليم بهذه الحالة صعباً أحياناً، يمكننا العثور عليها لدىٰ سيّد الشهداء (ع)، الّذي تستند اليه جميع الثورات فنرىٰ له صورتين في صفحة التاريخ.

١ ـ صورة الرفض المطلق للمساومة والاستسلام.

٢ ـ لم يترك في الأذهان سوىٰ روح المناجاة والرّقة والعاطفة.

ان دعاء عرفة للامام الحسين (ع) كلّه عرفان وعشق وشوق وخضوع في محضر الله، وخطبه في كربلاء كلّها ملحمة وحماسة واعلان البراءة من الأجنبي، وأمر بالثورة والمواجهة. وقد بيّن منشؤها في نفس دعاء عرفة.

ومع أنَّ دعاء عرفة يعلّمنا كيفية المناجاة، إلَّا أنَّه يبيّن السّر والرمز في بداية هذا الدعاء ... إنَّ أفضل النعم التي يعدها الامام الحسين (ع) في هذا الدعاء، ويحمد الله ازاءَها هي مخاطبة ربّه: إلهي أنت الّذي خلقت نظام السماوات، أنت الذي تقضي علىٰ الجبابرة، انت الّذي تلطّفت وأحسنت اليّ، وذلك اللطف والاحسان يتمثّل في انك تربّيْت في خلقي حتّىٰ انتهت فترة الظلم والجاهلية وانطوت فترة الكفر، وأقيم النظام الاسلامي، فخلقتني في نظام ودولة اسلامية.

« لم تُخرجني لِرأفتك بي ولُطفكَ لي واحسانكَ اليَّ في دولةِ أئمةِ الكفرِ الذين نَقَضوا عَهدكَ وكذّبوا رُسُلكَ ، لكنّك أخرجتني للذي سَبَقَ لي من الهُدىٰ الذي لَه يَسَّرتَني وفيه أنشأتَني ... » [١] .

وبناء علىٰ هذا فهو (ع) يحمد الله أنَّه لم يولد في زمان الجاهلية .

أحياناً يقول الانسان اننا كنّا نعيش في زمان الجاهلية ولم نعلم وكنّا معذورين ، إلَّا أنَّ الروح الرفيعة للانسان الكامل لا تقتنع بهذا العذر ، بل تسعىٰ أن تكون بدون عذر ، تسعى أن تكون عالِمة وتعيش بدون عذر ، فالامام أبو عبد الله (ع) يشكر الله تعالىٰ على أنَّه لم يولد في دولة ائمة الكفر . فيقول : لو انني ولدت في ذلك الوقت لحرمت من نعمة الإسلام ومعارفه العميقة ، لكنّك مننت عليّ حيث انتهت دولة الكفر وحانت دولة الإسلام وولدت ، وهذا الكلام هو تشجيع للمجتمع علىٰ تشكيل الحكومة والنظام الاسلامي . لأنّ الوصول إلىٰ المعارف الالهيّة والأخلاق الانسانية غير ممكن مع وجود حكومة الكافرين ، وإذا حصل شخص علىٰ توفيق المناجاة مع الله ، فهو ببركة تشكيل الحكومة الاسلامية .

ثم إذا ضممنا هذه الجملة إلىٰ سائر كلام الامام الحسين (ع) التاريخي المنقول في قضيّة كربلاء ، نرىٰ أنَّ هذه الروح لا تخضع امام أية سلطة ، وليس لديها خوف أساساً ، والقرآن الكريم يعتبر أنَّ هناك شيئين من خصائص

---

(١) مفاتيح الجنان ، دعاء الحسين يوم عرفة .

العلماء الربّانيين ويذكرهما بصفة الحصر :

١ ـ أحدهما : إنَّ من بين الناس ، علماء الدين فقط هم الذين يخافون من الله[(١)]

٢ ـ والآخر : إنَّ العلماء الحقيقيين يخافون من الله فقط « **ولا يخشون أحداً إلَّا الله** »[(٢)] .

هاتان الآيتان كلّهما توحيد ، حيث يقول في الحصر الأول : « *إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ* »[(٣)] ، المقصود من هؤلاء العلماء ليس الذين ذهبوا إلىٰ المدرسة فقط ، بل المقصود أعم من هؤلاء ، فهناك أشخاص لم يذهبوا إلىٰ المدرسة ولكنّهم يعلّمون الآخرين بإشارة واحدة منهم ، فالعالم هو الّذي يصدق فعلهُ كلامَه[(٤)] .

أحياناً يعرف الانسان نفسه بلسان شخص آخر وينظر اليها بمنظار الغير ، مثل هذا الشخص غافل عن شهود باطنه ، أنَّه لم يعرف حقيقة نفسه ، وعندما لا يعرف نفسه لا يعرف العالم ولا يعرف ربّه ، وأحياناً يعرف نفسه بلا ستار وبدون منظار وواسطة ، ولأنه عرف نفسه ، فهو يعرف العالم ثم يعرف الله ، فمن يستدل ويقول لم أكن ثم كنت ، ويجب أن يكون هناك أحد قد خلقني ، فهو يعرف نفسه من خلف ستار الاستدلال . والّذي يقول انـي

---

(١) « انما يخشىٰ الله من عباده العلماء انّ الله عزيز غفور » سورة فاطر : الآية ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .

(٣) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٤) راجع أصول الكافي : ج ١ ، باب ٥ .

حادث ومحتاج فلابد من وجود مبدأ قديم أوجدني ، أو يقول انني منظّم ولذا فانّي بحاجة إلىٰ ناظم منظِّم ، والّذي يقول انني في حركة ومحتاج إلىٰ محرّك ، والّذي يقول انني ممكن ومحتاج إلىٰ واجب ، فمن يعرف نفسه بالامكان الفقري فقد عرفها عن طريق العلم الحصولي ، فهو يعرف نفسه عن لسان آخر ، ولأنَّه لديه فهم وتصوّر وتصديق وفكر ، ويعرف نفسه من باب العلم الحصولي ومفهوم الذهن ، يتمكّن أن يقول هكذا : بما أنَّ الأفكار والصور الذهنيّة ليست حقيقتي بل هي صورة في ذهني اذا أردت أن أشير إليها أقول (هو) ، وليس أنا .

إذا عرف شخص نفسه من نافذة الاستدلال والفكر ، فانه في الواقع يتكلّم عن نفسه بلسان آخر ويرى نفسه بمنظار سواه ، لذا قد ينسى نفسه في الوقت الّذي عرف نفسه ، إنَّ الّذي يعرف نفسه بالمفهوم والاستدلال لم يعرف حقيقته ، لذا قد يضيّع نفسه ، ويجعل ذاته الكاذبة مكان ذاته الحقيقية ويهتمّ بتلك الذات الكاذبة ، والقرآن [الكريم] يقول :

« *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُم* »(١) .

ويقول بشأن هذه الطائفة انها تفكّر بنفسها دائماً ، فعندما يطرح الكلام عن الحرب والجبهة وإرسال القوّات الىٰ ساحة الحرب يفكّر هؤلاء بأنفسهم فقط من الخوف .

---

(١) سورة الحشر : الآية ١٩ .

« أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ »[(١)] .

أيّ نفس هذه التي نسيَها هذا الانسان ؟ وأيّ نفس تلك التي يفكر بها هذا الانسان الّذي يعيش حالة الخوف ؟ إذا أراد شخص أن يعرف نفسه عن طريق الاستدلال والفكر والمفهوم فقد ينسىٰ أحياناً تلك النفس الحقيقية ، لذا قال القرآن في أحد الحصرين : « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »[(٢)] .

وفي الحصر الثاني قال : « وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا الله »[(٣)] . فهؤلاء لهم ميزتان : ١ ـ إنَّ الّذي يخاف الله حقيقة هم هؤلاء لا غير . ٢ ـ انهم يخافون من الله فقط وليس من غيره .

« الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا الله »[(٤)] .

هكذا يكون الأنبياء والمرسلون ، والعلماء ـ هم تلاميذ المرسلين ـ هكذا أيضاً ، وهذا الخوف من الله نعمة يمكن أن تجمع بين العرفان والحماسة .

ان الّذي يخاف الله وسواه أيضاً لديه مناجاة عرفانية ، إلَّا أنَّه يفتقد حماسة الجهاد وشجاعة المجاهدين ، والّذي لا يخاف من أي أحد يقاتل في ميدان الحرب بتهوّر ، حيث كان مثل هؤلاء الأشخاص في الجبهة المقابلة لأبي عبد الله الحسين (ع) . هؤلاء لديهم اندفاع مذموم ، أمَّا الّذي يخاف

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .

الله ولا يخاف سواه فهو يجمع بين العرفان والحماسة .

أولاً : بما انّه يخاف من الله فهو يقول :

« إلهي الويل لي ثم الويل لي إن كان الجحيم موئلي » [١] .

وثانياً : بما انّه لا يخشىٰ سوىٰ الله فهو يستجوب المستكبرين .

كان العنق المبارك للامام السجّاد (سلام الله عليه) مقيّداً بسلسلة [٢] وقد حملوه إلىٰ عدّة أماكن وعندما نطق لسانه المطهّر في الشام استجوب الأمويين ـ وقد وردت مناجاة كثيرة عن الامام السجاد ـ وفي نفس الوقت لم تكن شجاعته أقل من شجاعة الائمة الآخرين أبداً ، ولو كان مأموراً بالقتال لكان مثلهم .

هذان الحصران جمعا فضيلتين معاً ، أي المناجاة والمجابهة . المناجاة إثر الخوف من الله تعالىٰ ، والمواجهة إثر عدم الخوف من غير الله ، وهذه ملازمة للتوحيد ، لأنَّ الانسان الموحّد موحّد في الخوف أيضاً ، كما أنَّه موحّد في الأمل والاعتقاد ، ولا يقول إنَّ الله موجود «لكن» بعده ، انّه لا يقول : (لكن) و (أما) ، وهكذا كان الأنبياء (عليهم السلام) ومناجاة الانبياء التي ذكرها القرآن الكريم بصفة مناجاة هي كذلك ، فاحياناً يصل الانسان ـ كما

---

(١) عن الامام زين العابدين (ع) .

(٢) مثير الأحزان (ابن نما) : ص ٩٦ ، ط قم ـ البحار : ج ٤٥ ، ص ١٢٤ ـ عن اللهوف : ص ٧١ .

ورد في المحاضرة السابقة ـ إلىٰ درجة أنَّه يسير في حرم الأمن ويأنس مع الله إلىٰ حدّ يكون له مناجاة معه ويقول لله :

« إلهي إن أخذتَني بجرمي أخذتُك بعفوك »[(١)] .

أي إن قلت لماذا أذنبت ؟ فسوف أقول : لماذا لم تعفُ عني ؟

الدلال لا يسمع من لسان أي شخص ، وما قيل (مدلًّا عليك) هو لبعض أهل النجوىٰ ، أمّا الآخرون الذين يدعون الله تعالىٰ فيخافون أن يصلوا إلىٰ هذا المقام .

أحياناً يصل الانسان إلىٰ درجة بحيث يناجيه الله ، في البداية مناجاة الانسان لله ، ثم مناجاة الله تعالىٰ للانسان ، في البداية محبّة الانسان لله ثم محبّة الله للانسان ، قال الامام علي (ع) :

« عبادٌ ناجاهم في فكرهم وكلّمهم في ذات عقولهم »[(٢)] .

هؤلاء يصلون إلىٰ درجة بحيث أنَّ الله يناجيهم ويتكلّم معهم في أعماق أسرارهم ، أحياناً يكون القلب مسجداً وحرماً ويناجي الله هناك ، وأحياناً يكون القلب ميداناً للشهوات ومسرحاً للأهواء .

قال الامام علي (ع) : بأنَّ البعض وصلوا من سوء الحظ والعاقبة إلىٰ

---

(١) المناجاة الشعبانيّة (مفاتيح الجنان) .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٢ .

درجة أنّ الأهواء «*لهنّ رقص علىٰ سويداء قلبه*»[(١)].

أي أنَّ البعض في قلوبهم حالة لرقص الشهوات وحلبة لتنازع الميول، لكن المسكين صاحب هذا القلب لا يعلم تلك الذكريات والخيالات الباطلة والطمع والأمنيات البعيدة واعداد المال وتولّي المناصب ، كلّها لها حالة رقص في سويداء قلبه وهو لا يدري .

ومن جهة أُخرىٰ يتمكن هذا القلب أن يصل إلىٰ درجة بحيث أنَّ الله يناجي ذلك القلب ، وهذه علامة التوحيد في الخوف والتوحيد في الأمل . ان المؤحّد يرتكز أمله علىٰ الله فقط ويعتبر الآخرين مجاري الفيض ، ففي الحديث الشريف : «*من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق*»[(٢)] تعليق الحكم علىٰ الوصف وهو مشعر بالعلّية، لم يقل اشكروا زيداً أو عمرواً الذين أحسنا لكم بصفة الاستقلالية، بل قال اشكروا المخلوق إذا قام بعمل خير لكم واعلموا انها يد الخالق، اشكروا في الحقيقة يد الخالق الّتي خرجت من رداء المخلوق، انظروا إلىٰ المخلوق بوصفه مخلوقاً لا أن تعتبروه بوصفه الشخص الفلاني، لكي تدركوا أنَّ الخالق هو الّذي أوصل اليكم الخير، و [حينئذٍ] تشكرون الله في الحقيقة و تعتبرون المخلوق بوصفه رسولاً الهياً لا بوصفه أنَّه بذاته أحسن اليكم ، وإذا عرف شخص المخلوق بصورة مخلوق فانَّه في الحقيقة

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٦٧ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٧١، ص ٤٤ ـ تفسير نور الثقلين : ج ٤ ، ص ٢٠١ .

عرف الخالق .

إذن هاتان الخاصيّتان علامة التوحيد في الخوف ، وهاتان الخاصيّتان تجلبان العرفان والمناجاة وكذلك الشجاعة والمواجهة . إنَّ اولئك الذين « *يَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللهَ* » [1] يجاهدون ويقاتلون والذين يخافون الله وسواه ليسوا من أهل الحرب ، فالشخص يتمكّن من القتال فيما إذا خاف من الله فقط ، ويتمكّن من المواجهة إذا عقد الأمل بالله فقط .

إذن أساس هاتين الصفتين يوجد في القرآن الكريم وبعده في كلام الائمة (عليهم السلام) خاصة الحسين بن علي (ع) .

في الجملة التي وردت في المحاضرة السابقة يقول الامام : « ***إلهي من كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي ، إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي*** » [2] .

أي أنا لست المدّعي فيما أدّعيه لنفسي فحسب ، بل حتّىٰ لو كنت واجداً لبعض الحقائق والصفات الحسنة فأنا أعلم أنَّ هذه الحقائق ليست لي، إلهي لست أملك من المحاسن شيئاً ، وما أملكه فهو نقص لأنَّه محدود جدّاً ولا يليق بشأنك .

هذه هي روحية مناجاته ومرونته ، وقال في جملة أُخرىٰ :

---

(١) الأحزاب : الآية ٣٩ .

(٢) دعاء عرفة ـ مفاتيح الجنان .

«لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعت يزيد بن معاوية»[١] .

لنقارن بين هاتين الجملتين وهاتين الروحيتين ، قال له البعض إنَّ العراق مضطرب حاليّاً والحجاز علىٰ وشك الخطر ، فاختر مكاناً آمناً ، قال : لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعت يزيد بن معاوية .

انّ صاحب هذا الكلام الّذي له روح لا تقبل التنازل أمام الباطل ، هو [نفسه] صاحب تلك المناجاة الرائعة .

في هذه المسائل نتمكّن من العثور علىٰ طريق يقودنا إلىٰ الهدف بنفس الدرجة التي نمتلك فيها معرفة توحيديّة ، ونعرف الائمة المعصومين ، لأنّ هذه المسائل لم تكن خاصة بالحسين بن علي ، بل هي أمر عام أعطوه لنا لأنّهم لم يقولوا إنَّ هذه هي من خصائصنا ، في الحالات التي تكون خاصة بهم كانوا يذكرون لنا انها خاصة بهم وانكم لا تتمكّنون من القيام بذلك العمل . ونفس أمير المؤمنين ذكر أنَّ نمط معيشته لا نقدر عليه ، كان يضع الخبز في المحل الّذي لا تصل اليه أيدي ذويه من أجل أن لا يمزجوه مع بعض الدهن . وكان يقول : إنَّ هذا العمل والطريقة ليست لكم ، ولذا فنحن لا نتمكّن أن نكون هكذا[٢] .

ينقل صاحب (الغارات) عن بعض مشايخه ، يقول انني كنت صغيراً

---

(١) مقتل العوالم : ص ٥٤ ـ مقتل الخوارزمي : ج ١ ، ص ١٨٨ .
(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٤٥ .

فأخذني والدي إلىٰ المسجد الجامع في الكوفة وأجلسني على رقبته وكان المسجد مكتظاً بالحاضرين ، فرأيت علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) يتكلّم وهو يحرّك رداءه المبارك .

قلت لوالدي : إنَّ علي بن أبي طالب يشعر بالحرارة لكثرة الناس وحرارة الجو فهو يبرّد نفسه ، قال : كلّا ، إنَّ علياً لا يشعر بالبرودة ولا بالحرارة ؛ بل أنَّ علياً لديه هذا القميص فقط ، فغسله ولبسه قبل أن يجف وهو يحرّكه حتّىٰ يجف لباسه[(١)] .

انا نخجل من نقل هذه القصة لأننا لا نعمل بها .

في مثل هذه المجالات ذكر الامام (ع) أنَّ الطريق الّذي سار فيه لا نقدر نحن عليه .

ليس هناك شخص في الدّنيا اسقط اعتبار الدنيا بقدر علي بن أبي طالب ، ولو كانت الدنيا شيئاً ذا شعور وتتكلّم لكان أول اعتراضها ضدّ الامام علي (ع) لأنّه لم يترك لها أي اعتبار ، تارةً يشبّهها بصورة عراق خنزير في يد مجذوم[(٢)] ، وتارةً بصورة عفطة عنز[(٣)] ، وتارة بأشياء أُخرىٰ .
يقول بأنَّ زخارف الدنيا هذه هي مثل عظم خنزير في يد انسان مبتلى

---

(١) الغارات : ج ١ ، ص ٩٨ .
(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٣٦ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٣ .

بالجذام ، حيث لا يرغب فيه أي شخص . ويخاطب الدنيا : « *والله لو كنتِ شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله* »(١) ، وفي نفس الوقت يقول لنا بأنَّ طريقته الخاصّة لا نقدر عليها ، ولكن هذا الطريق يمكن السير فيه مع حفظ النسبة(٢)

ان الحسين بن علي (ع) حين يتحدّث لا يقول انني لا أبايع يزيد ، بل يقول في الظروف الحسّاسة : إنَّ مثله لا يبايع مثل يزيد ، أي ان هذه القضايا ليست قضايا خاصة ، بل أنَّ هذه المواجهات موجودة مادام التاريخ موجوداً، وكل شخص يفكّر مثله لا يبايع الّذي يفكّر مثل يزيد ، ويقول أيضاً : وعلىٰ الإسلام السلام إذ قد ابتليت الأمة براع مثل يزيد(٣)

الكلام ليس عن قضايا خاصة ، بل الكلام هو عن قاعدة عامة مستمرة ، ففي اليوم الّذي تبتلي الأمة الاسلامية براعٍ مثل يزيد ، يزول الدين وفروعه ، وكان الامام يشعر بكل هذه الأخطار عن قرب .

ليس فقط عن طريق علم الغيب ، بل علم الشهادة ، تلك الحالات المناميّة خلال الطريق كانت مشهودة للامام (ع) . ولم يكن الكلام عن رؤية في المنام ، بل رأى القضية في اليقظة في حالة منامية سواء خلال الطريق أو في

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٤٥ .

(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٤٥ .

(٣) مقتل العوالم : ج ١ ، ص ٥٣ .

كربلاء ، ولكن مع ذلك لم يتخلَّ عن الهدف ، وهذه هي خاصّية التوحيد في الخوف . لماذا طلب المهلة ليلة عاشوراء حتّىٰ يناجي ويدعو الله ويودّع ؟ من أجل أنَّ هذا العرفان التوحيدي يجتمع مع تلك الحماسة ؟

انّ الله حين يريد أن يناجي أحداً فانَّه يوجد فيه الرغبة والشوق إليه، وكما أنَّ توبة المسيئين محفوفة بتوبتين من الله ، فإنَّ رغبة ومناجاة الصالحين محفوفة بعملين من الله أيضاً . إنَّ الّذي يتوب وتقبل توبته ، يشمله في البداية لطف الله وهذه هي التوبة الأولىٰ ، فالله هو التوّاب . (تاب أي رجع ، تائب يعني راجع) وعندما يتوجّه لطف الله نحو الانسان ، يوقظه . وهذه هي المرتبة الأولىٰ ، حيث يتوب الله على الانسان ، والمرتبة الثانية هي توبة العبد ، والمرتبة الثالثة توبة الله ، أي قبول توبة العبد : « *ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده* »[1] ، وتوضيح ذلك هو أنَّه عندما يجري لطف الله نحو الانسان ، يستيقظ الانسان .

من هنا قيل بأنَّ المنزل الأول للسالكين ، هو منزل اليقظة ، حيث يستيقظ الانسان النائم والغافل ، فيقول أين أنا ؟ ماذا كنت أعمل ؟ ماذا يجب أن أعمل ؟ أين أذهب ؟ لماذا نسيت نفسي ؟ وحين يستيقظ ويعود إلىٰ الله ، تكون توبة العبد . وحين يعود هذا العبد إلىٰ المولىٰ يشمله لطف الله مرّة أُخرىٰ ويدعوه نحوه ، وهذه تكون التوبة الثالثة ، فتوبة العبد محفوفة دائماً

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٤

بتوبتين من الله . أي أنَّ الانسان الموفق يقع دائماً بين لطفين من الله ، ومناجاة عباد الله الصالحين كذلك ، في البداية يتكلّم الله مع قلوب البعض ويُلقي في قلوبهم لذّة المناجاة معه ، فيجدون شوق المناجاة مع الله ، وحين يناجون يكون الله مستمعاً ، وهو سميع الدعاء وكونه سميع الدعاء يختلف عن أنَّه لكل شيء سميع ، فتارةً نقول أنَّ الله يسمع كل شيء سواء السيّيء أو الحسن ، والله يسمع أيضاً غيبة المغتابين ، ويسمع سبّ السبّابين ، ويسمع الكلام الطيّب للصالحين ، وهذا هو معنى أنَّ الله بكل شيء سميع ، وهو أمر عام ، أمَّا كونه سميع الدعاء فيعني أنَّ الله يستمع ، لا بمعنىٰ أنَّ الله يسمع ، وجملة انك سميع الدعاء الواردة في آخر الأدعية ، هي نفسها دعاء ، لا تعني انك يا رب تسمع ، بل أنت يا رب تستمع الى طلباتي وترتب الأثر على ذلك ، أمَّا كونه سميعاً فهو يشمل سماعه لجميع أنواع الكلام .

ان العبد الصالح السالك حين يناجي الله ، يسمع الله كلامه في ذلك الوقت وما بعده ، اذن مناجاة الانسان السالك محفوفة أيضاً بلطفين من الله ، وهكذا انسان لا يخاف إلَّا من الله ويعتبر نفسه مسؤولاً أمام الذات الالهية المقدّسة ، وإذ أراد أن يشكر الله تعالىٰ لأنَّه لم يخلقه في دولة الكفر ، فشكره هذا يدفعه إلىٰ اسقاط كل دولة كافرة وهدمها، ولذا ثار سيدالشهداء من أجل تطبيق تلك الجملة التي ذكرها في بداءة دعاء عرفة عملياً ، إنَّه لايرى نفسه فقط مشمولاً بدولة الحق من ناحية أنَّه يعيش في دولة الحق ، بل يسعىٰ إلىٰ

إحياء الآخرين أيضاً في دولة الإسلام. لذا قال: «*وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدّي محمد (ص)*»[١].

وهكذا يكون حال أولياء الله السالكين طريق الولاية، ولذا نرى في الوصية السياسية الالهية للامام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) انه جمع بين هذين البُعدين: (المناجاة) و (روح المواجهة ضد سلطة الشرق والغرب). ومدرسة سيد الشهداء تعلّمنا هاتين المسألتين؛ إنَّ الذين يبكون بكاء محضاً يفكّرون بالحسين المظلوم، ولأنَّ الحسين بن علي (سلام الله عليه) ليس بينهم فانّهم يبكون، لا علىٰ الحسين العارف والمكافح والمجاهد.

مثل جماعة خاصة في هذا الزمان ليسوا أهل جهاد ودفاع، يحترمون الامام ولي العصر (سلام الله عليه) لأنَّه غائب، وتتعلّق قلوبهم به لغيبته لا علىٰ قيامه وثورته، ولو أنَّه ظهر وقام فانّ أول من يعارضه هم هؤلاء.

لذا يجب أنَّ نحب سيد الشهداء (ع) من جهة عرفانه وثورته، ولو اننا أحيينا هاتين الخاصّيتين (العرفان والحماسة) في نفوسنا، فعند ذلك نعرف بأنّنا حسينيون.

لو رأيتم في قراءة الأدعية انكم ترغبون قراءة ذلك القسم من الأدعية الّذي يتحدّث عن المغفرة وأمثالها، فاعلموا انكم تخافون من الله

---

(١) مقتل العوالم: ص ٥٤.

ومن غير الله، أمّا إذا كانت رغبتكم أنْ تقرؤوا كلا القسمين من الدعاء، مثلاً تقرؤون: «*اللهم انّا نرغب اليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله*»[١]، إذا كانت هذه الروحية فيكم فكونوا شاكرين انكم عرفتم ائمتكم بكلا الوجهين، أي تقول إلهي أنا أرغب في أنْ تقام حكومة اسلامية وأن يكون الإسلام عزيزاً، وأن يُصبح المنافقون في ذلة، وأمثال ذلك. وهذا الأمر فيه مشقّة وكلفة.

إنَّ منتظري امام الزمان (سلام الله عليه) هم الذين يهيّئون أنفسهم ولو بسهم واحد. قال الامام الصادق (ع): «*ليعدّ أحدكم لخروج القائم (ع) ولو سهماً فانّ الله إذا علم ذلك في نيّته رجوت لأنْ يُنسىء في عمره حتّىٰ يدركه ويكون من أعوانه وأنصاره*»[٢].

فيتضح أنَّ الانسان المؤمن والملتزم والمسلّح الهادف ينتظر امام الزمان، وأنَّ الّذي ليس لديه شأنٌ بالرمي والحرب، لا يرتبط بإمامه، انه يحب غيبة الامام ولا يحبّ قيامه، لأنّ الامام حين يظهر يكون أول عمله الحرب وارتداء الملابس الخشنة والحياة البسيطة وأمثال ذلك.

يتّضح أنَّ الّذي ينتظر امام الزمان يكون مسلحاً ومحارباً ولا يخاف من غير الله والّذي يخاف من الله فقط هو الّذي يكون من أهل المناجاة، وقد

---

(١) مفاتيح الجنان ـ دعاء الافتتاح.
(٢) سفينة البحار: ج ٢، ص ٧٠٥.

جعلت الذات الالهية المقدّسة ، هاتين الخاصّيتين من نصيب العلماء الحقيقيين :

١ ـ هؤلاء فقط هم الذين يخافون من الله لا غيرهم « *إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ* »[(١)] .

٢ ـ وهم يخافون من الله فقط « *ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا ٱللَّهَ* »[(٢)] .

قبل حادثة كربلاء بحوالي عشرين سنة ، مرّ أمير المؤمنين (سلام الله عليه) علىٰ أرض كربلاء في واقعة صفّين فنزل عن الفرس وأخذ مقداراً من التراب وشمّه وصلّى ركعتين ، ثم قال : هاهنا ... فقيل له : ماذا سيحدث هنا ؟ قال : ههنا مصارع العشّاق[(٣)] .

لقد علّمنا الائمة كلمة العشق المقدّسة هذه وقبل أنَّ نحسن الاستفادة من هذه الكلمة أساء الاجنبي استغلالها ، ففي الروايات نجد الحث علىٰ العشق الصحيح وهو ذلك (العشق العرفاني) من العشق للذات الالهية المقدّسة ، والعبادة الالهية ، وما ورد في حديث أمير المؤمنين (ع) من العشق هو (العشق الحماسي) ، وهذان العشقان نجدهما في الروايات .

---

(١) سورة فاطر : الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٩ .

(٣) أمالي الصدوق : المجلس ٢٨ ـ البحار : ج ٤١ ، ص ٣٣٧ .

نقل المرحوم الكليني أنَّ «*أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها*»[١]، وأمير المؤمنين علي (ع) قال في وقعة صفّين عندما مرّ علىٰ ارض كربلاء : هٰهنا مصارع العشّاق ، وبعد عشرين سنة حين ورد الحسين بن علي (سلام الله عليه) هذه الأرض وسمع اسم كربلاء قال :

هٰهنا مناخ ركابنا ، هٰهنا مقتل رجالنا ، هٰهنا مسفك دمائنا ، هٰهنا مذبح أطفالنا[٢] .

فأمر بنزول الجميع ، فنصبت خيم أهل البيت في الوسط وخيم بنو هاشم حولها وخيم الأصحاب حول خيم بني هاشم .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) أصول الكافي : ج ٢ ، باب ٤٢ ، ح ٣ .
(٢) البحار : ج ٤١ ، ص ٢٩٥ .



المحاضرة الثالثة :

تدعونا الوصيّة السياسية الالهية للامام الراحل (رضوان الله تعالىٰ عليه) إلىٰ مواصلة المواجهة مع القوىٰ الكبرىٰ ، وفي نفس الوقت تدعونا إلىٰ دعاء عرفة والصحيفة السجادية ، وكذلك روحه المطهّرة ، كانت روح غزل وعرفان وفي نفس الوقت كانت ثورة ضد كل طغيان .

كيف يمكن أن يكون العارف ثورياً ، والثوري من أهل المعرفة ؟ كيف يمكن أن تكون الروح اللطيفة والهادئة ثائرة ، والروح المحاربة للظلم من أهل النجوىٰ ؟ ولأنّه يدعونا في كثير من فقرات هذه الوصية إلىٰ المعارف ، وكذلك إلىٰ رفض المساومة مع القوىٰ الكبرىٰ ، فيجب أن نرىٰ كيف تكون هاتان الخصلتان منسجمتين أيضاً ، وما هي العقيدة التي تجمع بين لطـافة

الروح والثورة ضدّ الطاغي ؟

وبالاضافة إلىٰ أنَّ هذا التناسق والانسجام بين هاتين الصفتين مشهود في آيات القرآن الكريم ، ومطروح في السيرة العلمية والعملية للائمة عموماً وأمير المؤمنين (سلام الله عليه) خصوصاً ، فانّنا نبحث عن طريق تنسيق هاتين الظاهرتين الروحيتين في بيان سيرة سيد الشهداء .

لا شك في أنَّ الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) كانت له روح تأبىٰ الخضوع والاستسلام أمام أي ظالم ، وهذه الحقيقة لا خلاف عليها ، فمع أنَّ جميع القوىٰ في ذلك الوقت تحشّدت ضد القافلة الحسينية ، لكنّه واجه كافة الأخطار ولم يستسلم ، والخطر لم يكن ينتهي بالشهادة ، بل شعر أنَّ أهله الكرام يجب أن يؤسروا أيضاً ، وحتّىٰ بنت أمير المؤمنين (سلام الله عليه) تذوق طعم الأسر المر وتقيّد رقبة حجة الله الامام السجاد بالسلاسل والأغلال ويؤسر ، ورغم علمه بهذه الأخطار ، فانه لم يكن وحده غير راض ، بل لم يقبل أحد من أهل بيته بتأييد الحكومة الأموية الجائرة .

هذه هي روح ملحمة سيد الشهداء التي لا تخفىٰ علىٰ أحد ، والمهم أنَّ روح الحسين بن علي (سلام الله عليه) لم تكن فقط روح ملحمة وثورة ضد الظلم ، بل كانت أيضاً روح مناجاة ومعرفة وبكاء . لقد سمعنا الكلام الحماسي للامام كثيراً ، ولكن قلّما توجهنا إلىٰ مناجاته العاطفية ، لأن دعاء عرفة ـ وللأسف ـ قليلاً ما يطرح في أوساطنا .

يقول الامام (ع) في أحد أقسام دعاء عرفة : « ***واجعلني أخشاك كأنّي أراك*** » .

قلنا إنَّ خاصية التوحيد هي أن يخاف الانسان من الله فقط ولا يخاف من غيره ، وكان الأنبياء هكذا ، حيث كانوا يخافون من الله ولا يخافون من سواه ، وورثة الأنبياء هكذا أيضاً . أمَّا الذين يخافون من الله ويفكّرون أيضاً بكرامتهم وسمعتهم ، فانّهم ليسوا من السائرين في طريق النبوة والرسالة ، إذا كان هناك ماء وجه فالأفضل أن يراق في طريق الدين ، وإذا كان هناك دم فالأفضل أن يراق لسقي شجرة المذهب ، وإذا كان لدى شخص متاع نفيس فالأفضل أن يؤثر به لدينه . إنَّ الّذي يقول انّي أخاف علىٰ كرامتي وسمعتي ، أي انّي لا أضحّي بهذه الاعتبارات في سبيل الدين ، فهو يخاف من الله ومن خلق الله أيضاً ، أنَّه ثَنَوي في الخوف وليس موحداً ، لأنّ الصنم على قسمين :

١ ـ صنم غليظ .　　　　٢ ـ صنم رقيق .

يقول العارف المشهور الّذي ذكره الامام الخميني (قدّس سرّه) بكل اجلال وهو (ابن عربي) في كتابه الكبير المسمّىٰ بـ(الفتوحات المكيّة) : ان أغلظ الأصنام هي الأحجار والأخشاب المنحوتة ، وألطف الأصنام هي الأهواء الباطنية : « ***ألطف الأوثان الهوىٰ وأكثفها الحجارة*** »[١] ، ان صنم معبد القلب ظريف ولطيف إلىٰ درجة بحيث إنَّ صانع الصنم وبائع الصنم وعابد

---

(١) الفتوحات المكية : ج ٢ ، ص ٥٩٠ .

الصنم لا يعرفه ، والصنم الخارجي يراه الجميع لأنّه تمثال حجري ، أمّا الصنم الباطني وهو حبّ الجاه والهوىٰ فلا يراه عابد الصنم ولا صانع الصنم ولا بائع الصنم .

في كثير من الموارد عندما تتعسّر علينا الأمور نحسب الهوىٰ هو الحق تعالىٰ ونتصوّر الميول والرغبات النفسية أحكاماً شرعية ، ونضع أنفسنا محل الله ، وبذلك تنطبق علينا هذه الآية : « *أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاه* »[1] . إنَّ الانسان سواء في ما يتعلّق بالصنم الخارجي أو الداخلي مشمول بلعنة ابراهيم الخليل ، الّذي قال : « *أُفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله* »[2] . إنَّ كلام خليل الله (سلام الله عليه) لم يكن بشأن الأصنام الخارجية والمصنوعة من الحجر والخشب فقط ، يقول : « *أُفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله* » ، وكلام ابراهيم هذا هو كلام جميع الأنبياء الابراهيميين وهو لا يزال حياً ، وإذا كان الشخص من أهل التوحيد في الخوف والرجاء ، فمن المؤكد أنّه موحّد من ناحية الاعتقاد الباطني ورؤية القلب أيضاً . أنّه في البداية يعرف العالم وخالق العالم بصورة توحيدية ، ثم يخاف بصورة توحيدية من شيء أو يحبّه كذلك .

ان الخشية هي وصف الموحّدين ، ولكن الانسان يخاف تارة من الله

---

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٦٧ .

الغائب ، وتارة من الله الشاهد الحاضر ، فالخوف ليس متساوياً دائماً وخاصية ذلك تكمن في الرؤية الباطنية التي هي عامل خاصية الخوف ، فنحن إذا تصوّرنا أنَّ الله غائب وقلنا إنَّ الله الّذي نخاف منه سوف نراه في ما بعد ونحضر في محكمته ، هذا الخوف هو من الغائب ، والخوف من الغائب غير مؤثر كثيراً ، ولكن إذا اعتبرنا الله حاضراً وشاهداً وناظراً ، وعلمنا اننا في محضره ، وعلمنا أنّه هو الحكم غداً والشاهد اليوم وعلمنا أنَّ اليد والقدم والملائكة شاهدة في محكمة عدله ، وهو نفسه شاهد أيضاً ، فالأفضل أن نطيعه ، وإذا خفنا منه في هذا الحال فهذا الخوف هو من الشاهد .

قال الامام علي (ع) :

« *اتقوا المعاصي في الخلوات ، فانّ الشاهد هو الحاكم* »[1] .

فليس القاضي شخصاً والشاهد آخر ، وليست هناك حاجة لشهادة اليد والقدم والملائكة ، فالله نفسه هو الشاهد وكذلك هو القاضي .

بل الأهم من ذلك فهو لا يحتاج إلىٰ شهادة الآخرين ، فنفس الانسان يشهد علىٰ نفسه أيضاً .

ان القول بأنَّ يد وقدم الانسان تشهد يوم القيامة يكون علىٰ عدّة أشكال : فتارة يحشر الانسان بالشكل العادي ، لديه يد وقدم انسانيّة ، وهذه اليد والقدم تتكلّمان وتشهدان علىٰ جرم وفساد الانسان ، وتارة

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٢٤ .

يحشر الانسان الّذي له طبع وحشي علىٰ شكل حيوان وحشي ـ معاذ الله ـ وكل وجود هذا الحيوان الوحشي يشهد علىٰ وحشيّته ، وهكذا يقول القرآن بأنَّ اليد والقدم تشهدان والفم مُطبق ، فلو أن شخصاً أصبح بصورة كلب ، أفلا تشهد يد الكلب علىٰ وحشيّته ، وتشهد قدمه كذلك ؟ ومع أنَّه لا يتكلّم وفمه مسدود فانّ لسانه يشهد ! كم هو لطيف هذا الكتاب ، يقول : « *الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون* »[1] فالكلب له لسان ولكنه لا يتكلّم ، ورغم ان لسانه لا يتكلّم ، لكنّه يعبّر عن وحشيّته ... وبشأن وحشية الكلب ، يقول القرآن : « *إنْ تحملْ عَلَيه يَلهثْ أو تتركْه يَلهث* »[2] ، أي إذا تتركه يهجم وينبح ، وإذا تهجم عليه يهجم أيضاً وينبح ، أي أنَّه وحشي في كل الأحوال .

إذن في هذه الحالة يشهد بلسانه علىٰ وحشيّته .

وإذا حشر شخص علىٰ شكل وحشي ـ معاذ الله ـ فانّ جميع أجزاء وجوده تشهد علىٰ طبعه الوحشي ، بل يشهد المتهم على نفسه ، لذا ورد أحياناً في التعابير القرآنية : « *شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ* »[3] ، أي أنّهم لا يعترفون فقط بل يشهدون علىٰ أنفسهم ... تارة يقبل المتّهم الجريمة وفي هذه الحالة

---

(١) سورة يس : الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٣٧ .

يقال أنَّه اعترف ، لا أنَّه شهد ، وهذا هو قوله : **« فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ »**[1] غير انّه ورد في القرآن الكريم أنَّ المتّهمين يشهدون علىٰ أنفسهم : **« وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ »** ولكن متى يمكن أن يشهد الانسان علىٰ نفسه ؟ لأنَّه إذا تتكلّم اليد يمكن القول **« تَشْهَد أَيْدِيهِم »** ، وإذا تتكلّم الرجل يمكن القول **« وَتَشْهَد أَرْجُلُهُم »** ، وإذا يتكلّم اللسان يمكن القول **« وتشهد ألسنتهم »** في جميع هذه الموارد يصح أن نقول ان اعضاء الانسان تشهد عليه، لأنّ المذنب هو روحه ، والأعضاء والجوارح هي غير الروح ، وإذا تكلّم الغير بشأن المتّهم فهي شهادة ، ولكن نريد أن نعلم كيف تُصوَّر وتُرسم شهادة الشخص الفاسد علىٰ نفسه في حالة عدم ترجمتنا للشهادة بمعنى الاقرار .

أحد طرق تصوير شهادة الشخص علىٰ نفسه هي أنَّه إذا أصبح الشخص علىٰ صورة وحش ـ والعياذ بالله حيث سيحشر البعض هكذا ـ في هذه الحالة سيشهد هذا الشخص علىٰ نفسه ، فحينما يصبح الانسان الطمّاع علىٰ شكل نملة ـ مثلاً ـ يمكن لهذا الشكل أن يشهد عليه **« شهدوا علىٰ أنفسهم »** . ومثل هذا النوع من الشهادات موجود ، اضافة إلىٰ شهادة الذات الالهية المقدّسة ، وإذا صدّقنا انّنا في مشهد الله فلابد أن نسعىٰ لأن لا نذنب أو أن لا نرتكب ذنباً كبيراً علىٰ الأقل رجاءَ أن تُغفر ذنوبُنا الصغيرة بترك

---

(١) سورة الملك : الآية ١١ .

الذنوب الكبيرة : *« إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنهونَ عنه نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُم »*[(١)] .

ومن أُمنيات السالكين إلىٰ الله أنّهم يقولون إلهنا وفّقنا أن نعبدك وكأننا نراك ، وهذا هو أرقىٰ من مقام (الايمان) ويسمىٰ اصطلاحاً بمقام الاحسان رغم أنَّ الّذي يصل إلىٰ مقام (الاحسان) لا يزال في أثناء الطريق ، ولا يزال أمامه مقام (الايقان) . إنَّ مقام الاحسان هو أن يعبد الانسان الله وكأنّه يراه . روي عن رسول الله (ص) : *« أعبد الله كأنّك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك »*[(٢)] ، و (كأنّ) هذه هي للشخص الّذي لا يزال في الطريق ، وحينما يترك حرف التشبيه ويكون الكلام عن حرف التحقيق ، (انّ وانّ) يصل الانسان إلىٰ مقام الذروة في الشهود ، حيث قال أمير المؤمنين (سلام الله عليه) : *« ماكنت أعبد ربّاً لم أره »*[(٣)] .

في بداية دعاء عرفة يطلب سيد الشهداء مقام الاحسان من الله فيقول : *« واجعلني أخشاك كأنّي أراك »* وهذه الروح الشفّافة واللطيفة هي التي خلقت تلك الملحمة الخالدة في كربلاء حيث يقول : لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعت يزيد بن معاوية .

إذن يمكن أن يكون الانسان عارفاً وكذلك مقاتلاً . إنَّ الّذي لا يوقّع

---

(١) سورة النساء : الآية ٣١ .

(٢) نهج الفصاحة : حديث ٣٣٠ .

(٣) أمالي الصدوق : المجلس ٥٥ ـ أصول الكافي ج ١ ، باب ٩٠، ح ٢٢ .

علىٰ أي ظلم ، لديه روح صامدة وصُلبة وهو نفسه لديه روح عاطفية وذليلة ومناجاة مع ربّه ... إنَّ أولياء الله يصلون إلىٰ درجة بحيث يشعرون بالذلة في داخلهم ، وحينذاك يصبحون (اعزاء) .

يقول المرحوم الكليني (رضوان الله تعالىٰ عليه) إنَّه سئل بعض الائمة (عليهم السلام) عن الوقت الّذي يفهمون فيه انهم وصلوا إلىٰ مقام الامامة ، فكان جوابهم بأنّه حين يشعرون بالذلة في أنفسهم ، ويرون أنفسهم أذلاء في محضر الله المقدّس ، بحيث لا يشعرون بأية قدرة في أنفسهم ، ففي هذا الوقت يفهمون انهم قد شملتهم رعاية الله تعالى[1] .

ان مقام الاحسان هو منزلة يمكن أن يصلها غير الائمة المعصومين أيضاً ، فالطريق للوصول إلىٰ ذلك مفتوح ، كما أنَّ البعض وصلوه .

ومن أجل أن نعلم اننا في أوائل الطريق ولا نظن أبداً أنَّ مقام الاحسان هو نهاية الطريق ، يجب أن نلتفت إلىٰ أنَّه رغم أنَّ استحصال العدالة واجب علينا ، لكن كلّما تقدّمنا ازداد التكليف ، فكل انسان يجب أن يكون عادلاً ، ولكن حين تكون رؤيته محدودة فانّه يحصل علىٰ العدالة الصغرىٰ ، وإذا كانت لديه رؤية وهمّة متوسطة فانه يصل إلىٰ العدالة الوسطىٰ ، وإذا كانت رؤيته وهمّته عالية فانّه يحصل على العدالة الكبرىٰ ... وبمقدار تقدّمنا يكون أمامنا تكليف أهم ، لأنّنا لم نقطع كافة مراحل التكليف

---

(١) أصول الكافي : ج ١ ، كتاب الحجة ، حديث ٥ .

ولم ندرك جميع الكمالات ، وتكليفنا علىٰ الأقل هو أن نكون عادلين ، أي أنْ نؤدي كل ما هو واجب علينا ونترك كل حرام ، هذا هو الحد الأدنىٰ لتكليفنا .

وبعد أن نعبر هذه المرحلة نحصل علىٰ العدالة الوسطىٰ ، أي توازن الخواطر والغرائز والميول وقوىٰ الادراك والعمل . فإذا أدّىٰ شخص الأعمال الواجبة ولم يكن رؤوفاً وليست لديه روح سخاء فانّ لديه العدالة الصغرىٰ والمرحلة الأولىٰ ولم يصل إلىٰ العدالة المتوسطة ، وإذا لم تكن لديه روح القناعة فانّه لم يصل إلىٰ العدالة الوسطى حتّىٰ لو لم يكن يطلب الحرام بل كان يطلب المزيد من المال الحلال .

وطبعاً ، انَّ الانسان الّذي ينتج لكي يحل المشكلة الاقتصادية في المجتمع هو في حالة عبادة ، ولكن إذا أراد زيادة ثروته عن طريق الحلال فحتّىٰ لو أدّىٰ جميع الحقوق الواجبة عليه فسوف يبقىٰ في العدالة الصغرىٰ ولا يحصل علىٰ العدالة الوسطىٰ ، فمثلاً الشخص الّذي لا يتمكّن الزام نفسه في الحدّ الأدنىٰ من الحلال من ناحية ممارسة الغرائز ، ويسعى إلىٰ الافراط في الحلال لا يصل إلىٰ مستوىٰ العدالة الوسطىٰ ، وكذلك الانسان الجبان فهو ليس عادلاً في المرحلة الوسطىٰ ، وإنْ كان عادلاً في العدالة الصغرىٰ .

ولكن أحياناً يقطع الانسان جميع هذه المراحل ، أي أنَّ قوّة ادراكه معتدلة وفهمه جيّد ، وقوى جذبه ودفعه معتدلة أيضاً ، أي أنّه من أهل

السخاء والقناعة والعفّة والجود ولديه جميع المَلَكات ؛ هذا الشخص عادل في الحدّ المتوسط ، ووصل إلىٰ مقام العدالة في الحكمة العالية ، أي أنَّ الفيلسوف يعتبره عادلاً ، في حين أنّه لا يعتبر الأول عادلاً ، أي أنَّ الجبان يعتبر عادلاً عند الفقهاء ، ولكنه يعتبر غير عادل عند الفلاسفة ؛ وقد يعتبر الفقيه الشخص البخيل عادلاً ، ولكنّ الفيلسوف لا يعتبره عادلاً ، لانّ العدالة المطروحة في الحكمة ليست فقط أن يؤدي الانسان الواجب ويتجنّب الحرام ، بل فوق ذلك ، وهو أنْ يتمكّن من تعديل نوازعه الباطنية كلّها ، فإذا كان الشخص شجاعاً ومن أهل الجود والسخاء وكان عفيفاً وحسن الادراك فانّ الفيلسوف يعتبره عادلاً ، ومع ذلك فإنّ العارف لا يعتبره عادلاً ، لأن رؤية العارف أوسع بكثير من رؤية الفيلسوف .

ان الفيلسوف يفهم العالم بوسائله الخاصّة ، والعارف يرى العالم برؤية أوسع ، مثلاً في باب حاجة البشر إلىٰ الأنبياء وان المجتمع الانساني لا يمكن أن يعيش بدون الوحي ، هذه المسألة يطرحها كل من العارف والمتكلّم والفيلسوف ، فالفيلسوف يقول نحن نريد الأنبياء ليصلحوا المجتمع ، إلّا أنَّ العارف يقول : نحن لا نريد نبياً فحسب ، بل نريد خليفة الله ليصلح العالم ويدبّر المَلَك والسماوات ... نحن نريد شخصاً يتحمّل مسؤولية تعديل الأسماء الالهيّة ، لأنّ كل اسم له دولة وقد تتزاحم فيما بينها ، ومن اللازم وجود انسان كامل يكون مظهراً للاسم الأعظم حتّىٰ يعدّل وينظّم

هذه الأسماء ويراقب الملائكة الذين لكل منهم عمل خاص ويعدّهم أيضاً .

لذلك فالعارف يعرف الانسان الكامل بوصفه خليفة الله ، والفيلسوف يطرحه بوصفه نبياً ورسولاً ، والمتكلّم يطرحه بوصفه شخصاً يأتي بشريعة حتّىٰ يصلح المجتمع الانساني ، فيطرحه بشكل أقل وأدنىٰ من رؤية الفيلسوف ، لأنَّ المسؤولية التي يراها العارف للانسان الكامل اكثر بكثير من المسؤولية التي يراها له الفيلسوف أو المتكلّم .

والشروط والأوصاف التي يراها العارف للانسان الكامل اكثر بكثير من الشروط والأوصاف التي يراها الفيلسوف والمتكلّم ، فالفيلسوف يقول إنَّ الشخص الّذي يكون عادلاً وتكون قوىٰ ادراكه وعمله في النواة المركزية للعدل يمكن أن يكون نبياً ، لأنَّه يرى العصمة في إطار العدالة الكبرىٰ ، ويعتبرها من هذا السنخ لكنّها أكمل ، أمَّا العارف فيقول إنّ الّذي تعرّف علىٰ جميع الأسماء الالهيّة واستطاع أن يسخّر الملائكة في أعمالهم المقدّسة والخاصة بهم ، فهو الّذي يقع في النواة المركزية للعدل ويمكنه أن يكون خليفة الله .

فالعارف يتكلّم عن الخلافة وليس فقط عن اصلاح المجتمع البشري ، وإذا كانت رؤية العارف رفيعة إلىٰ هذا الحد فإنّه يرى شروط وأوصاف النبي أهم كثيراً مما يطرح في الفلسفة ، فضلاً عن الفقه .

انّ الخلافة هي للانسان الكامل ، والانسان يتمكّن بما لديه من

قدرات أن يكون خليفة الله ، وأفضل مظاهرها هي مسألة القيادة ... فقيادة وزعامة المجتمع هي عملة ذات وجهين : يجب أن نرى كيف رسم الائمـة المعصومون (سلام الله عليهم أجمعين) ـ بالاصالة ـ والامام الخميني (قدّه) ـ بالتبع ـ هذين الوجهين : أحد وجوه العملة هي القيادة النورانيّة وخلافة الله، والوجه الآخر لها ظلمانية وعفطة عنز وعراق وعظم خنزير في يد مجذوم ، فاذا كان الحاكم طاغية فان حكمه هو عظم خنزير وقع في يد مجذوم ، وإذا كانت هذه الحكومة تقوم علىٰ الميزان العادل والثورة علىٰ الطغيان والخضوع في محضر الله ، فسوف تكون خلافة للحق تعالىٰ .. و هو تفاوت كبير بينهما .

ومن أجل ذلك ورد انّ الصراط المستقيم أدق من الشعرة وأحدّ من السيف ، ويقال بشأن من كان دقيق الملاحظة (شقّق الشـعر) فـهو بـذلك الشعور الدقيق والحساس يستطيع أنَّ يميز بين المطالب الدقيقة جداً مـثل الشعرة ، اذن فادراك الصراط المستقيم يتطلّب شعوراً قوياً ، وبعد الادراك لابدّ من السير في هذا الصراط وهو صعب للغاية كـالحركة فـوق حـافة السيف ، أي أنَّ فهم الصراط المستقيم صعب لأنّه أدق من الشعر ، والسير عليه صعب لأنَّه أحدّ من السيف .

والائمة المعصومون لم يسيروا في هذا الطريق فحسب ، بل أصبحوا نفس الطريق ، والكلام هنا ليس عن اتحاد العاقل والمعقول فقط ، بل الكلام عن اتحاد السالك والمسلك، والكلام ليس عن سير الانسان في هذا الطريق ،

بل عن أنَّه يصبح نفس الطريق ! الكلام ليس في أنَّه يطبق عمله على ميزان ، بل عن أنَّه يكون نفس الميزان !

وما نقوله بشأن أمير المؤمنين(ع) : *«السلام عليك يا ميزان الأعمال»*[1] ، هو هذا . فهو (ع) قد وَزَن عمله مع الميزان الالهي إلى درجة انه أصبح نفس الميزان ، ومشى في الطريق المستقيم إلى درجة أنَّه أصبح نفس الطريق المستقيم ، لذا فانّ تحديد منزلة علي (ع) هو عمل صعب .. إنَّ البعض قد فسد وانحرف بشأن تحديد منزلة علي(ع) إلى درجة انهم قالوا بكفره ـ معاذ الله ـ والبعض سقط في الجانب الآخر فذهب إلى الغلو وقال إنَّ علياً إله . إنَّ تحديد منزلة علي (ع) بأنّه خليفة الله وأنّه انسان كامل لا هو بإله ولا هو عابد وثن عمل صعب جداً .. إنّ تشخيص المنصب الذي لدى الانسان ، هل هو ذلك الوجه من العملة وهو خلافة الله ، أم هو هذا الوجه وهو عظم خنزير في يد مجذوم ، ليس عمل أي شخص .

ان المقام السامي لهذه الخلافة والقيادة كان لدى الائمة ، وبعدهم الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) ومراحلها النازلة التي هي لدى كل منّا ولدى المسؤولين في دائرة أعمالنا ، حيث إنَّه *«كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته»*[2] فكل منّا لديه مسؤولية ، إذا عرفناها بشكل صحيح وأدّيناها فانّ

---

(١) مفاتيح الجنان ـ زيارة أمير المؤمنين .

(٢) نهج الفصاحة : رقم ٢١٦٣ .

ذلك الوجه النوراني للعملة يصبح من نصيبنا ، أمّا إذا لم نعرف مسؤوليّتنا ولم نعمل بواجبنا ، فإنّ ذلك الوجه المزيّف يوقعنا في الفخ .. إنَّه عمل صعب جداً، ولأنَّه كذلك فقد تلزمه شروط مهمة أيضاً .

فالامام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) عندما يذكر شروط المرجعية يقول : يلزم في المرجع عدالة تتلو العصمة ، عدالة تحتكّ بالمستوى الأسفل لعدالة المعصومين وليس الحدّ الأعلىٰ لعدالتهم [١] .

وبما أنَّه عمل صعب جداً ، فلابد أن تكون له شروط صعبة كذلك ، لأنّ أحد جانبيه الدخول إلىٰ الجنّة ، والجانب الآخر الدخول إلىٰ النار .

في دعاء عرفة يقول سيد الشهداء الّذي كان بطلاً في هذا المضمار والعامل علىٰ انسجام العرفان والملحمة ، ما معناه : إلهي اجعلني أخافك أولاً وثانياً أن لا أخاف من غيرك ، وأن أخافك في مستوىٰ الاحسان « *واجعلني أخشاك كأنّي أراك* » . فالانسان إذا رأىٰ الله فانّه يخافه خوفاً شهودياً ، ولأنّنا لم نرَ الله فإنّنا نخافه خوفاً غيبيّاً ، ونخاف من الله من جهة ناره فقط وليس منه ، وإذا لم يُدخلنا الله إلىٰ جهنّم فيحتمل أنَّ نترك عبادته ، وهذا هو الخوف من الله في غيابه .

انّ سرّ قول الحكيم الالهي الكبير المرحوم ابن سينا : « إنَّ الّذي يجعل الله واسطة أضاع الطريق وإنْ حظي بالرحمة والرعاية » وهو انه يعرف لذّة

---

(١) تحرير الوسيلة : ج ١ .

ناقصة وليس لذّة كاملة ، لذلك فانّه لا يبغي لقاء الله بل أنّه يريد من الله غير الله[١] ، نحن نعبد الله حتىٰ لا نذهب الى جهنّم ، ولو أنّ الله تعالىٰ لم يدخلنا الىٰ جهنّم ، فقد لا نعبده ، أو أن نعبد الله ليدخلنا الجنّة ولو لم يدخلنا الجنَّة فيحتمل ألّا نعبده ، وهذا ما ليس فيه فائدة ، هذا خوف من الغائب ، ولكن لو رأينا الله وهو كلّه جمال وكلّه لطف ، عندئذٍ نطلبه ، وبالتأكيد فهو ينقذنا من جهنم ويدخلنا الجنّة إذ من المستحيل أن يعبد أحد الله تعالىٰ ولا يجعله من أهل الجنَّة ، ولكن الأفضل أنْ نطلبه هو وليس الجنة ، والأفضل أنْ نخاف منه خوفاً عقلياً لا من جهنّم الذي يُعدّ خوفاً نفسياً .

ان الله حين يتكلّم مع المتوسّطين من الناس يقول : « *فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين* »[٢] ، وعندما يتكلّم مع أهل القلوب الرقيقة يقول : « *وَإِيَّايَ فَارْهَبُون* »[٣] أي خافوا منّي ، لماذا تخافون من ناري ، لتتعلّق رهبتكم بي لا بناري ، لتكن رهبتكم منّي لا من جهنّم ... وتقديم (اياي) يفيد الحصر ، أي من الحسن أن تكونوا راهبين وتكون لديكم رهبانية ، ولكن لابدّ أن تكون رهبانية في متن الملحمة والحرب .

وهذا الكلام قاله سيد الشهداء في ميدان الحرب ، فقد قال (ع) في

---

(١) اشارات : نمط ٩ ، فصل ٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٤٠ .

دعاء عرفة : « *اللهم اجعلني أخشاك كأنّي أراك* »[1] و (كأنّ) هذه استمرت إلىٰ أن وقع الامام من ظهر الفرس وهنا أصبح الكلام عن (انّ) وليس (كأنّ) قال: « *إلهي رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك لا معبود سواك* »[2] ، في هذا المقام أخذ (كأنّ) وأسقطها ووضع (انّ) محلّها يقول : « إلهي رضاً بقضائك تسليماً لأمرك لا معبود سواك » وفي مراسم وداع الأهل قال : أستودعكم الله ، ولم يقل : ـ كأني ـ استودعكم الله .

عندما كانت هاجر وهي أم تحمل طفلاً رضيعاً في تلك الصحراء القاحلة ، قالت لإبراهيم (عليه السلام) : يا ابراهيم لِمَ تَدعُنا في موضع ليس به أنيس ولا ماء ولا زرع[3] .

قال ابراهيم : الله الّذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان مطّلع عليكم ، ولم يقل كأنّي استودعكم ربّ هذه الأرض . إنَّ الأشخاص الذين تشرّفوا بالتواجد في جبهات الحق ضد الباطل كانوا يشعرون جيداً بهذا المعنىٰ خاصة في الخط الأمامي للجبهة ، فهناك كان الكلام عن الملحمة الممزوجة بالعرفان .

والآن اتّضح لماذا أصرّ الامام الخميني (قدّه) في وصيّته السياسيّة

---

(١) مفاتيح الجنان ـ دعاء عرفة .

(٢) أسرار الشهادة : ص ٤٢٣ .

(٣) تفسير نور الثقلين : ج ٢ ، ص ٥٤٩ .

الالهية ـ التي يدعونا فيها للثورة علىٰ القوىٰ الكبرىٰ في الشرق والغرب ـ علىٰ أن لا ننسىٰ دعاء عرفة ؟ لماذا يبدأ صدر تلك الوصية بالمناجاة ويستمر وسطها بالمناجاة ويختتم آخرها بالمناجاة ؟ وأخيراً يذهب إلىٰ الله بـقلب هادئ مطمئن ، والسرّ في ذلك أنَّ القلب ما لم يطمئن بذكر الله فانّه لا يثور ضدّ الطواغيت ، وكان الامام الراحل (ره) يصرخ دائماً ضدّ الظلم .

الله (عزّوجلّ) يصرخ في القرآن الكريم ضدّ المجرمين ، وعـباد الله المخلصين كذلك يصرخون بوجه الأجانب في الدين ، لأنهم يرجونه لا غير ويخافونه لا غير ، فلذلك يواجهون الأعداء ويحاربونهم .

وطبعاً إذا أراد الله أن يأخذ شخصاً لا يقول أخذته وضربته وقيّدته، يقول فقط : « *إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُون* »[1] الأمر من الله ، والأخذ والتقييد من الملائكة ، جاء في سورة يس : « *إِنْ كَـانَتْ إِلَّا صَـيْحَة وَاحِدَة فَإِذَا هُمْ خَـامِدُون* » إنَّ صيحة الله تغيّر العالم ، بصيحة واحدة يطوي بساط العالم ، والله ليس لديه أخذ وتغيير مثل الناس ـ معاذ الله ـ انما هو أمر واحد مدمّر يصاحبه خمود العالم ـ النفخ الأول ـ وبأمر آخر واحد يحيي كل العالم ـ النفخ الثاني ـ .

وهذه الخصائص موجودة في خلفاء الله ، والانسان يمكن أن يصبح خليفة الله في هذا المجال ، وكلّما تقدّم ازدادت دائرة خلافته ، طبعاً ان النبوّة

---

(١) سورة يس : الآية ٢٩ .

التشريعية والرسالة قد انتهت ولا يصبح أحد بعد ذلك رسولاً أو نبياً ، ولكن الخلافة والولاية باقية ... إنَّ الانسان يتمكّن من أنْ يصل إلىٰ درجة بحيث أنَّ الله يسند عمله إلىٰ ذاته المقدّسة ، كما قال لمقاتلي ميدان الحرب ، بأنَّ عملهم هو عمله ، فلم يقل : « *وما قتلتم إذ قتلتم ولكن الله قتلهم* » بل قال : « *فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ* »[١] .

هذه هي روح الملحمة والعرفان ،ومن أجل أن نحيي تلك الروح الحماسية دائماً يجب علينا أن نستعين بدعاء عرفة والصحيفة السجادية ، كيف يتمكّن انسان أن يحمل ذلك العبء الثقيل والقيود عدّة فراسخ ولكنّه حين يتكلّم في الشام ، يتكلّم مثل جدّه علي (ع) في الكوفة ولا يخاف من أي عامل ؟ كيف يحمل عبء الأسر من كربلاء حتىٰ دار الامارة ، ولكن حين هدّدوه بالقتل نهض وقال : أبالقتل تهدّدنا ؟ إنَّ كرامتنا الشهادة[٢] . لقد قال الامام السجاد (ع) في دار الامارة بالكوفة نفس الكلام الحسيني في ميدان كربلاء ، مع أنّه كان أسيراً ، فيتّضح أنَّ هذا الانسان المقيّد بالسلاسل هو آسرُ المُقيد بالسلاسل .

ان الغربان لا توضع لها اقفاص ، بل البغاء والبلبل والكناري تستحق أن توضع لها أقفاص، أمّا الغربان فهي طليقة، قال الامام السجاد(ع)

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٧ .

(٢) نفس المهموم (الشيخ القمي) : ص ٤٠٨ .

في دار الامارة بالكوفة :

إنّ كرامتنا الشهادة ، فيتّضح أنَّ التقييد والأسر هما للبدن ، وروح العارف هي روح حيّة ثوريّة ، فعندما يأتي دور زينب الكبرىٰ (عليها السلام) تنهض وتقول كلاماً طافحاً بالثورة والعرفان ، فيتّضح أنَّ النساء والرجال من أهل المعرفة ، هم أهل الثورة والحماسة .

حين جاءوا بأمير المؤمنين (ع) إلىٰ المسجد في قضية السقيفة ورأسه مكشوف وهو علىٰ ذلك الحال ، نهضت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بدورها الثوري واستوضحت الحكومة آنذاك ، فقال أمير المؤمنين لسلمان : اذهب وقل لابنة مَنْ كان رحمة للعالمين (ص) : « *أرىٰ جنبتي المدينة تكفئان* »[1] ، لم يكن الكلام عن اهتزاز جدران المسجد ، بل قال بأنَّ كل هذه المنطقة تهتز، أي انك إذا نفذتي تصميمك ولعنتي هؤلاء ، فانّ الخطر يهدد المدينة ، وهذه الظاهرة هي نتيجة مناجاة صاحبة الصحيفة الفاطميّة ، وقد أشير إلىٰ الصحيفة الفاطميّة في الوصيّة السياسيّة الالهيّة للامام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) .

انّ صاحبة ذلك المقام الشامخ حين تثور روحها الحماسية تعمل عملاً بحيث أنَّ علياً (ع) يقول : أرى جنبتي المدينة تكفئان .

---

(١) بيت الأحزان (الشيخ القمي) : ص ٨٦ .

ويقول ابنه سيد الشهداء : *« اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك »*[١] .

ومن جهة أُخرىٰ يقول : *« لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوىً لما بايعت يزيد بن معاوية »*[٢] .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) مفاتيح الجنان : دعاء عرفة .

(٢) مقتل الخوارزمي : ص ١٨٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الرابعة :

« الفضائل منسجمة في ما بينها »

إنّ الفضيلة لا تزيح فضيلة أُخرىٰ ، بينما نجد ان الرذيلة لا تنسجم مع الرذائل الأُخرىٰ ، كما هو الحال في الأراذل من الناس ، فهم لا ينسجمون فيما بينهم . ولكنّ الحسنات والفضائل تجتمع فيما بينها ، كما هو الحال في انسجام الأخيار والمحسنين .

والعرفان من الفضائل السامية في الانسان ، وروح الثورة والصمود ضد الظلم من الفضائل السامية الانسانية أيضاً ، فلا يمكن ومن المحال أن يكون العارف الحقيقي جباناً ، ومن المحال أيضاً أن يكون الشجاع الحقيقي غير عارف ... وإذا رأينا أحياناً أنّ عارفاً رضي بحكومة الطاغوت وأمضاها، فعرفانه كاذب . وإذا رأينا شجاعاً ليس من أهل المعرفة ، فإنّ شجاعته تهوّر

وليست شجاعة ، لأنّ العرفان ينسجم مع الثوريّة ، ولهذا نجد انّ امام الأمّة (قدس سره) يدعو الناس في أقسام مهمّة من وصيّته إلىٰ العرفان وإلىٰ دعاء عرفة والمناجاة الشعبانيّة والصحيفة السجاديّة والفاطميّة ، ويدعوهم من جانب آخر في وصيّته الالهيّة السياسيّة إلىٰ الثورة ضد الظالمين والسّر في ذلك انّ نتيجة العرفان هي ترك الدنيا والاعتزال عنها لا عن الناس ، والعارف هو الّذي اعتزل الدنيا لا خدمة الناس ، والشجاع هو الّذي استخدم شجاعته وقدرته في طريق احياء هذا الهدف السامي . فعندما يعرّف المرحوم ابن سينا العرفان والعارف ، يقول : « *العارف شجاع ، وكيف لا وهو بمعزل عن تقيّة الموت* »[1] . فالعرفان ينسجم مع الشجاعة والحماسة ، فلا يكون العارف جباناً اطلاقاً ، لأنّ العارف لا يخاف الموت ، وعندما لا يخاف الموت فهو شجاع حتماً ، والّذي يخاف الموت ليس بعارف .

فالانسان الّذي يكون من أهل المعرفة هو الّذي يهجر الدنيا لا خلق الله تعالىٰ ، واعتزال الدنيا عمل صعب وفيه فضيلة عظيمة لا اعتزال المجتمع والإنزواء .

يقول الامام علي (ع) من جهة : « *يا دنيا غرّي غيري لقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك* »[2] .

---

(١) الاشارات : ج ٣ ، النمط ٩ ، الفصل ٢٤ ، ص ٣٩١ .
(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٧٧ .

فقد طرد الدنيا بحيث انّها ليس لها طريق اطلاقاً إلىٰ الحرم العلوي الآمن، وهو من جهة أُخرىٰ يسعىٰ إلىٰ الوصول إلىٰ مقام الرئاسة والحكومة ! وهذا المعنى نجده في الخطبة الشقشقية العالية ، فتلك الاحتجاجات المذكورة في هذه الخطبة تصب في هذه المقولة ، وتلك المناظرات أيضاً تدور حول هذا المحور . فهو يقول للآخرين انّ الحكومة من حقّه هو ، وانه قطب الرحىٰ للسياسة... فيتّضح ان حكومة الأمة الاسلامية ليست من الدنيا بل من الآخرة ، لأنَّه (ع) الذّي طلّق الدنيا يسعى ويعمل لنيل الخلافة ، وعندما أصبح في معترك السياسة والبيعة للناس وفي حضورهم اعتبر نفسه مسؤولاً عنهم .

كيف لا يشعر العارف بالمسؤولية ؟ في حين انّ الله عزوجل قد أخذ العهد علىٰ العلماء الحقيقيين أن لا يسكتوا علىٰ سغب مظلوم ، ولا علىٰ كظّة ظالم ، فبالرغم من أنّ كل انسان مسؤول ، ولكن الحكّام في المجتمع عليهم مسؤوليّة أكبر ، والله عزوجل أخذ علىٰ العلماء العهد علىٰ هذين الجانبين ، فالجميع مسؤولون أن لا يسكتوا أمام جوع الجياع ، وأن لا يقرّوا أمام تكاثر الأثرياء ، ولكن المسؤولية الأساسيّة علىٰ عاتق العلماء :

« أما والّذي فلق الحبّة ، وبرء النسمة ، لو لا حضور الحاضر ، وقيام الحجّة بوجود الناصر ، وما أخذ الله علىٰ العلماء أن لا يقارّوا علىٰ كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها علىٰ غاربها ، ولسقيت آخرها

بكأس أوّلها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز »[(١)] .

يقول (ع) بما انّي عالم ، وقد تعهّد العلماء أمام الله تعالىٰ ، فلذلك أقبل هذه المسؤولية .

من هنا تتوضّح مسؤولية الحكماء وزعماء المذهب .

الامام علي (ع) يقول : بما انّ الله تعالىٰ أخذ العهد علىٰ العلماء أن لا يسكتوا أمام الفقر ، ولا يبرّروا الفوارق الطبقيّة في المجتمع ، فلذلك قبلت هذا المنصب ، ليتّضح من ذلك انّ العرفان هو عبارة عن اعتزال الدنيا لا خدمة الناس ، وعندما يكون العرفان عبارة عن اعتزال الدنيا لا الناس ، سيشعر العارف بالمسؤولية ، ومن أجل أداء مسؤوليّته يضطر إلىٰ التضحية والايثار والانفاق وأحياناً القتل في سبيل الله ، لأنّ الأثرياء والطواغيت يمتلكون القدرة المادية ، فاذا أراد شخص أن يجرّدهم منها ، فعليه تحمّل تبعات ذلك وتقديم التضحيات وأول تضحية يقدّمها هي دمه الطاهر ، وبذلك لابدّ ان يكو ن العارف ثورياً أيضاً .

ولذا نجد لدىٰ سيّد الشّهداء دعاء عرفة في جانب ، يقول في جانب آخر : انّي « *خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي* » ... الحكومات قبلي كثيرة ، أمّا أنا فسوف أسير بسيرة جدّي وأبي .

ورغم انّ الناس قد أنِسوا بسيرة الآخرين طوال ربع قرن ، ولكنّي

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة الشقشقية رقم ٣ .

سوف أعمل بسيرة النبي والامام المعصوم (ع) فقط، ومناجاة وأدعية هذا الامام حماسيّة أيضاً.

هذان الأمران ـ العرفان والحماسة ـ في سيرة سيّد الشّهداء، نجدهما أيضاً في أقوال وكتابات أمير المؤمنين (ع)، فالدعاء من أفضل مظاهر المناجاة والعرفان، وعندما يكون العبد بين يدي ربّه يناجيه ويدعوه فهو مظهر العرفان، لأنَّه لا فاصل ولا حجاب حينئذٍ بين العبد وربّه.

والله عزوجل يقول عن نفسه بأنّه أقرب من كلّ الموجودات إلينا، ويعلم بسرائرنا قبل جريها على ألسنتنا ويعلم بدعائنا قبل التفوّه به، لأنَّه عليم بذات الصدور.

الغرض من الدعاء تحكيم العلاقة بين العبد والمولىٰ ولا تأثير لأحد علىٰ هذه العلاقة، فالانسان العارف يدعو وغير العارف يدعو أيضاً.

دعاء العارف هو: إلهي، خذ منّي ما هو غيرك. ودعاء غير العارف هو: إلهي، أعطني! العارف يقول: إلهي خذ روحي فداءً لدينك، خذ سمعتي في سبيل دينك، خذ أموالي في سبيل دينك، إلهي اشترِ منّي هذه.

« إِنَّ ٱللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِى التُّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهَ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمْ »[(١)] .

فجميع مضامين الدعاء الأصيل للعرفاء هي :

إلهي قدَّمتُ لك فاقبل منّي . ودعاء غير العارف هو : إلهي أعطني المال والأولاد والجنّة والسمعة والعزّة والجاه والجلال ... فالّذي يريد الأخذ له سمة المتسوّلين وليس عارفاً ، ومن الطبيعي أن لا يكون من أهل الحماسة ، أمّا من يعطي فهو العارف . نرىٰ في دعاء أمير المؤمنين (ع) : *« اللهم إنّا نسألك منازل الشهداء »*[(٢)] .

يعني قد أعطيتك روحي فاجعلني شهيداً ، وقد أعطيتك سمعتي وكرامتي فاجعلني شهيد العِرض والشّرف ، وقد أعطيتك أموالي ...

عندما قالوا لنا بأن ندعو : *« وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا »*[(٣)] فهذا درس المعرفة ، يعني إلهي خذ منّي روحي ولا تجعلني أموت مريضاً أصفر الوجه في فراشي ، فهذا الموت لا فخر فيه . إلهي وفّقني لأن أبذل روحي بوجهٍ مرمّل بالدماء في ساحة الحرب . انّ دعاء الصائم اكثر استجابة ، ولذلك قالوا لنا : صوموا أيّام شهر رمضان المبارك ، وادعوا الله في لياليه أن يقبلكم ، فلا تطلبوا من الله شيئاً لأنّه سوف يعطيه ذلك بنفسه . بل ادعوا : إلهي وفّقني

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١١ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ .

(٣) مفاتيح الجنان : دعاء الافتتاح .

لنصرة دينك بمالي وقوّتي « *وتجعلني ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري* »[1] إلهي ! إذا كان دينك يتوقّف علىٰ بذل كرامتي وسمعتي ، فإنّ كرامتي فداءٌ لدينك .

عندما اتحمّل كل تهمة واهانة ، فمن أجل انّني أعطي من كرامتي ومن سمعتي وهي أهم من بذل الدم . فتارةً يبذل الانسان دمه في سبيل الله ويرتاح ، ولكنّه عندما يبذل شرفه وسمعته فسوف يتحمّل الآلام مادام حيّاً .

فعندما يقول أمير المؤمنين : إلهي أعطني منزلة الشهداء . فبالرغم من أنّ هذا الدعاء ورد بصيغة الطلب والأخذ الّا انّ مضمونه العطاء لا الأخذ ، والهبة لا الطلب .

دعاء العرفاء يختلف كثيراً عن دعاء الآخرين ، فالعرفاء يدعون ويقرؤون الأدعية ، ولكنّ طلبهم قليل جدّاً وبمقدار ما يسمح لهم بذلك .

لقد تحمّل [النبي] أيوب (ع) جميع المشكلات الصعبة ولم يطلب شيئاً ، وعندما أُعطي اجازة الطلب ، اقتصر على القول : « *انّي مسّني الضّر وأنت أرحم الراحمين* »[2] .

فما لم يُعطَ لأولياء الله الإذن لا يطلبون شيئاً ، وحتّىٰ أدعيتهم

---

(١) مفاتيح الجنان : دعاء الافتتاح .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٨٣.

وطلباتهم تكون غالباً لتعليمنا كيفية عرض حاجاتنا علىٰ الله تعالىٰ .

إنّ دعاء العارف هو الدعوة للعطاء . يعني : إلهي اقبل منّي روحي وخذها ، فزينب الكبرىٰ (ع) عندما تدعو تقول : ربّنا تقبّل منّا هذا القربان .

وعندما توجّه الشهداء إلىٰ ميادين الحرب كان دعاؤهم هو : الهنا تقبّل منّا هذا القربان ، ولكنّ دعاء العابد الزاهد هو : إلهي أعطني .

العارف يسعىٰ الىٰ أن يكون مظهر السخي والباسط والواهب ، وأمّا الزاهد والعابد فهو مظهر الآخذ والقابض وأمثال ذلك ، وبما انّ العرفان له مناجاة خاصة محورها العطاء ، فلا يتعارض هذا مع الحماسة أبداً ، بل منسجم معها .

ومع أنّ الزهد بدون عرفان فضيلة ، وكذلك العبادة بدون عرفان ، ولكنّها تعتبر رذيلة لوجود هذا النقص ، وهذه الرذيلة لا تنسجم مع الشجاعة ، وإلّا فإنّ كل فضيلة لا تتنافىٰ ولا تتعارض مع الفضائل الأخرىٰ بل هي منسجمة معها ، والانسان الكامل هو مجمع كل الفضائل . فعندما نراجع أدعية النبي الأكرم (ص) نجدها علىٰ هذا النسق ، فإنّه (ص) يطلب من الله تعالىٰ أن يقبل منه عطاءه لا أخذه . ويقول : إلهي اقبلني واقبل منّي ما أبذله في سبيلك . فليس الكلام عن أعطني الجنّة ، بل الكلام أنّه خذ منّي ما ينفع المجتمع الانساني ، فلو اعتزل شخص خلق الله وانفصل عنهم وتصوّر أنّه اعتزل الدنيا فهو غير عارف ، لأنّ العارف هو الّذي يسعى أن لا يتدنّس

رداؤه بغبار الدنيا ، في نفس الوقت الذي يعيش فيه مع الناس ويسعىٰ أن يتحمّل المسؤولية في المجتمع ويحل مشكلاته .

يقول الامام علي (ع) : انّ هدف رسالة الأنبياء (عليهم السلام) أمران ؛ **الأول** : علمي ، ومن شؤون العقل النظري : « ***فبعث فيهم رسله وواتر اليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكّروهم منسيَّ نعمته ويحتجّوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول*** »[(١)] .

والثاني : عملي ، ومن شؤون العقل العملي من قبيل الادارة واخلاص النيّة والعبادة وأمثال ذلك ، فالأنبياء بُعثوا ليخلّصوا الناس من عبادة الأوثان .

ولو سعىٰ انسان لاخراج الناس من عبوديّة الهوىٰ الى عبوديّة الله تعالى فعمله عمل الأنبياء ، وما أكثر ما يكون هذا العمل وبلوغ هذا الهدف مصحوباً بالحرب التي هي روح الثورة أيضاً .

لا يوجد أحد من اهل المعرفة بمستوىٰ الأنبياء (عليهم السلام) ، ولم يُبتلَ أحدٌ بالمواجهة السياسيّة والعسكرية كالأنبياء ، فعندما يتحدّث القرآن الكريم عن سلسلة الأنبياء يقول : « ***وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللهُ يُحِبُّ***

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١ .

الصَّابِرِينَ»[١].

فكم من الأنبياء جاهدوا وقَتلوا وقُتلوا ، وقليلاً ما يتّفق أن لا يبتلي النبي بحرب ، لأنّ من مستلزمات اصلاح المجتمع هو سلب القدرة من الظالمين والمستكبرين والأثرياء وتسليمها لأهلها ، وهذا ما لا يتحقّق بالنصيحة ، بل يحتاج الى الحرب ، فمن كان من أهل الحرب والقتال فهو من أهل المعرفة ، والشخص العارف هو الذي لا يخاف بل يدرك بأنَّ الموت حياة جديدة .

ولكي يرغب الانسان بالموت لابدّ أن يدرك ما بعد الموت جيداً ، يجب أن يفهم ما هو مصير الانسان بعد الموت ...

هل هو مثل الشجرة التي تضمحل وتموت وينتهي كلّ شيء ؟ أم كالطير المسجون في القفص وينفتح له الباب ويتحرّر ، ويطير في الفضاء الجميل الى الأبد ؟[٢]

الموت في الحقيقة هو تحرّر طائر الروح ، فهل يعقل موت التفكير والروح وزوال الذكريات ؟ وهل الفضائل النفسانيّة قابلة للموت ؟ انّ هذه الأمور لا تموت أبداً ، ولا تدخل ضمن الموتىٰ في سجلات المتوفّين ، ومن

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٤٦ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي : ج ٢ ، ص ٣٣ ـ فروع الكافي : ج ١ ، ص ٢٤٥ ، حديث ٧ ـ بحار الأنوار : ج ٦ ، ص ٢٠٩ ـ مفاتيح الغيب (صدر المتألهين) : ص ٥٣٢ ـ الأسفار الأربعة : ج ٩ ، ص ٣٣٤ .

ذلك يتّضح كيف جمع الامام الراحل (رض) بين المناجاة وبين تلك الروح الثورية الصامدة فهو يتحدّث أمام الخالق تعالى عن ذلّته من جانب ، ومن جانب آخر يتحدّث عن قدرته وصموده أمام القوىٰ الاستكباريّة ويدعونا الى هاتين الخصلتين .

يقول لنا الامام علي (ع) : « *اطلبوا من الله تعالىٰ ان يوصلكم منازل الشهداء* »[١] .

فمن هم الشهداء ؟ الشهداء هم الذين يخاطبون من بقي بعدهم ويبشّرونهم بقولهم : « *يَا لَيتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينْ* »[٢] .

فلا خوف على الشهيد ، وقد علّمنا الدين أن ننتظر الشهادة بفارغ الصبر ، وأن يقول [أحدنا] للشهداء : « *يا ليتني كنت معكم فأفوز معكم في الجنان مع الشهداء والصّالحين وحسن اولئك رفيقاً* »[٣] وفي المقابل هم يقولون : يا ليتكم تأتون وترون ...

قلنا انّ العبادة والمناجاة لها درجات ، من الايمان الى الاحسان ، ومن الاحسان الى الايقان ، وتارة يكون الانسان مطّلعاً من بعيد على

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٣ .
(٢) سورة يس : الآية ٢٧ .
(٣) مفاتيح الجنان : زيارة الامام الحسين يوم عرفة .

أسرار الغيب ومؤمناً به فهو المؤمن ، فلم ير تحقيقاً ولم يَرَ بصورة (كأنّ) .
وأعلىٰ من مرحلة الايمان هي مرحلة الاحسان ، فالانسان يعبد الله تعالى بصورة كأنّه يراه ، وعندما تصل (كأنّ) الى الكمال تصبح (انّ) ، يقول حارثة : كأنّنا نرى عرش الله ، وهناك أفراد أعظم يقولون انّنا نرى عرش الله، حارثة بن مالك يقول : *«كأنّي أرى أهل الجنّة ، وأرى أهل النار»*(١) وأعلىٰ من ذلك الأشخاص الذي يقولون انّنا الآن نرى ذلك .

لقد علّمنا القرآن الكريم هذا الطريق ووعدنا بقوله :

«كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»(٢) .

يقول : إذا وصلتم إلىٰ علم اليقين فسوف تَصِلون تدريجيّاً إلىٰ عين اليقين وترون جهنّم ، وهذا مقام أعلىٰ وهو الذي طلبه أهل المعرفة .

يقول سيد الشهداء (ع) في دعاء عرفة : اللهم اجعلني أخشاك ، وهذا الدعاء أيضاً للعطاء ، فغير العارف يقول : اللهم اغفر لي ، وأمّا العارف يقول اللهم خوّفني كي لا أعصيك واجعلني أخشاك حتّىٰ لا أعصيك ، فبالبداية خوف نفساني وفي النهاية خوف عقلي ، يقول النبي الأكرم (ص) : *« اللهم*

---

(١) الكافي : ج ٢ ، باب حقيقة الايمان ، حديث ٣ .
(٢) سورة التكاثر : الآية ٦ .

اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك » [(١)] .

فلم يقل اجعلني في أمان حتىٰ إذا عصيتك تعفو عنّي ، بل يطلب من الله تعالىٰ : إلهي أعطني حالة أن أخاف منك ولا أعصيك [وإلّا] فلماذا أعصي ثم أطلب منك عدم احراقي بالنار ، والفرق كبير بين هذين النحوين من الدعاء ، فمن يدعو دعاء الزاهد يقول إلهي أعطني ، ومن يدعو دعاء العارف يقول إلهي خذ . يعني خذ منّي هذه الراحة النفسيّة والهدوء واجعل قلبي يموج بذكرك ، ففي حالة قول الزاهد إلهي هدّئ قلبي ، يقول العارف : إلهي حرّك قلبي وهيّجه لكي أخشاك .

ففي جميع هذه الأدعية نرى انّ يد العارف يد واهبة ويد الزاهد يد آخذة . فمن كانت يده يد آخذة يقول : إلهي لا تبتلني بالحرب واجعلني في أمنٍ وأمان ، في حين أنّ العارف يقول : إلهي أطلب منك أن ترزقني الشهادة .

كان رسول الله (ص) يجلس كل يوم بعد صلاة الصبح بين الطلوعين في المسجد ويجيب علىٰ أسئلة الناس ، وفي أحد الأيّام رأىٰ شاباً أصفر الوجه غائر العينين كأنّه لم ينم مدّة طويلة ، فسأله رسول الله (ص) عن أحواله قائلاً : كيف أصبحت يا فلان ؟ فقال : أصبحت يا رسول الله موقناً [(٢)] . فيُعلم من هذا الجواب انّ الرسول (ص) لم يسأله عن حاله ، وانّما سأله عن حالته

---

(١) مفاتيح الجنان : اعمال ليلة النصف من شعبان .

(٢) الكافي : ج ٢ ، باب حقيقة الايمان .

وانّه في أيّ مقام من المقامات الدينيّة ، حيث قال ذلك الشابّ إنّي في حالة اليقين . فلم يكن السؤال عن حاله ليقول أنا قليل النوم مثلاً .

علىٰ التلميذ أن يطرح أموره علىٰ استاذه ، وعلىٰ المريض أن يطرح مشكلته علىٰ طبيبه . فكتمان الأسرار عن أهلها يعدّ خلاف الأدب ، كما انّ افشاء الأسرار لغير أهلها هو خلاف الشرع ، والتحدّث بكلّ شيء أمام كلّ أحد غير مقبول .

رحم الله الاستاذ محيي الدين مهدي الالهي القمشئي الّذي كان يقول عن الحلّاج في شعره[١] :

قيل بأنّهم صلبوا ذلك الصديق لأنّ ذنبه كان افشاء الأسرار

وتارة يقول عن الشيطان :

انّ جرمه أنّه لم ير صورتك في المرآة وإلّا لم يكن يترك السجود لأبي البشر

وكان المرحوم السيد حيدر الآملي يردد هذا الكلام أيضاً : إنَّ افشاء الأسرار لغير أهلها خلاف الشرع ، وكتمانها عن أهلها خلاف الأدب[٢] .

عندما سأل رسول الله (ص) هذا الشاب المؤمن (كيف أصبحت ؟) قال : لقد أصبحت يا رسول الله موقناً ، فتعجب رسول الله (ص) من قوله ، وقال : ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : ان يقيني يا رسول الله

---

(١) ديوان حافظ : قصيدة ١٤٤ .

(٢) مقدّمة كتاب جامع الأسرار : ص ١٩ .

هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي وأظما هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتّىٰ وكأنّي أنظر إلىٰ عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلىٰ أهل الجنة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون وعلىٰ الأرائك متكئون ، وكأنّي أنظر إلىٰ أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون ، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي . فقال رسول الله (ص) لأصحابه : « هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان » ثم قال له الزم ما أنت عليه ، فقال الشاب : ادع لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك ، فدعا له رسول الله (ص) فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[1] .

وبهذه الصورة أخبر الشاب عن حالته ، وأمضىٰ رسول الله (ص) صحّة هذه الحالة ، وبيّن السرّ في ذلك بقوله : (ص) : « هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان » أي أصبح قلبه نورانياً لأنّه عبدٌ للحق تعالىٰ ، وانّما صار عبداً للحق لأنّه تحرّر من عبودية الأهواء والشهوات ، فلا يمكن للانسان أن يتعلّق بأمرين *« مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ »*[2] ، فاذا كان الشخص متعلّقاً بالدنيا فلا يكون عبداً للحق تعالىٰ .

الشخص الواحد لا يمكن أن يُسجن في مكانين مختلفين ، فإمّا في

---

(١) الكافي ، ج ٢ ، باب حقيقة الايمان ، حديث ٢ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

الدنيا وإمّا تحت ظل عناية الله .

حينما قال الرسول (ص) لذلك الشاب : اثبت ، يعني استمر علىٰ هذا الطريق ، وهنا قد أمضىٰ النبي الأكرم عرفانه ، أي انّك عارف . وكذلك ورد انّ احدىٰ حجرات رسول الله كانت بحاجة إلىٰ ترميم ، فباشر الرسول الأكرم تعمير الحائط بيده ، فمرّ به أحد الصحابة فرأىٰ رسول الله (ص) مشغولاً بتعمير الحجرة ، فقال له : يا رسول الله ألا أكفيك ؟ قال (ص) : شأنك ، فلمّا فرغ ، قال رسول الله (ص) : حاجتك ؟ قال : الجنّة .

فأطرق رسول الله (ص) ثم قال : نعم ، فلمّا ولّىٰ ، قال له : « *يا عبد الله ! أعنّا بطول السجود* »[1] .

قالوا أنّه ينبغي في صلاة الجماعة رعاية أضعف المأمومين ، أمّا إذا كنّا في صلاةٍ فرديّة فينبغي أن لا نرفع رأسنا من السجود بسرعة ، فالسجود الطويل يجعل الانسان متواضعاً ، والانسان المتواضع يشعر براحة ، فلا يقع في مصيدة أحد ولا يتشاجر مع أحد وإذا نازعه أحد الناس لا يتألّم .

وأمّا ذلك الشخص الّذي قال عنه رسول الله (ص) : « عبد نوّر الله قلبه بالايمان » فإنّه قال لرسول الله (ص) : ادعُ لي لأنالَ مرادي . فقال (ص) ماذا تريد ؟ فقال : أريد الشهادة ، فأنا لا أريد أن أموت مريضاً أصفر الوجه،

---

(١) دعائم الاسلام : ج ١ ، ص ١٣٠ ـ من لا يحضره الفقيه : ج ١ ، باب ٣ ، حديث ١٤ ـ الأربعون حديث .

وأخسر هذا البدن الذي هو ذخيرة بالمرض ، فالأفضل أن أنفقه في سبيل الحبيب .

هذا هو دعاء العارف ، وهذا هو الانسجام بين العرفان والروح الثورية ، فهما متعانقان . فالمعرفة تعانق الثورة ضدّ الظلم ، والعارف هو المنادي والصارخ والثائر هو العارف ، أجل ، إنّ رسول الله (ص) قد دعا لذلك الشخص فأصحبت الشهادة من نصيبه .

وبهذا البيان اتّضح الكثير من العبارات النورانيّة من الوصيّة السياسيّة الالهيّة للامام الراحل (رض) ، وكذلك السر في اجتماع جملات من دعاء عرفة مع نداءات كربلاء ، وكذلك اجتماع عبارات من النداء العلوي مع المناجاة العلويّة ، وكذلك الدعاء العرفاني وطلب الشهادة لذلك العبد (الّذي نوّر الله قلبه بالايمان) كل هذه المفردات توضّح ذلك الانسجام والتلازم بين العرفان والحماسة .

قال ذلك الشاب للرسول الكريم : أنت مستجاب الدعوة ، فلماذا تذهب حياتي هدراً ؟ ولماذا أموت حتف أنفي ؟ ادع لي بالشهادة .

والامام علي (ع) يقول أيضاً : انّ الانسان يصل إلىٰ حدٍّ « *فصار جيفة بين أهله ... فأسلموه فيه إلىٰ عمله ...* »[1] فيسعىٰ أهله وأقرباؤه إلىٰ دفنه بسرعة كي يتخلّصوا منه ومن رائحته حتّىٰ لا يتعفّن الجوّ بذلك .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٠٩ .

فهم في هذا الحال انّما يبعثون بهذا الميّت إلىٰ غرفة عمله . فهل يعقل أن تكون للانسان ذكريات وعقائد وأخلاق وأعمال في الدنيا وتذهب ذرّة منها هدراً ؟ فبحسب الظاهر يُدفن الانسان المتوفىٰ في قبره ، ولكنّه بحسب الواقع يُدخل إلىٰ غرفة عمله .

إذن الأشخاص العاديّون يموتون ، أمّا فضائل الرجال الالهيّين ليست جيفة بل طيّبة وطاهرة ومعطّرة . هذا الشخص أيضاً قال لرسول الله (ص) ادع لي حتّىٰ أشرب شربة الشهادة ، فلم يقل له رسول الله (ص) : كلّا انّك الآن شاب . بل أنّه عندما رأى فيه الاستعداد للشهادة دعا له ، ونفس دعاء رسول الله له دليل آخر علىٰ الانسجام بين العرفان والحماسة .

العارف هو من يكون من أهل القتال ، والجبان لا يكون عارفاً ، كما قلنا سابقاً نقلاً عن ابن سينا بأنَّ : *« العارف شجاع كيف لا وهو في معزل عن تقية الموت »*[١] . وكلام الشيخ الرئيس هذا دفع المرحوم الخواجة نصير الدين الطوسي (قدس سرّه الشريف) ليقول في أوّل كتاب الاشارات : لابن سينا عبارات مثل النص وبمستوىٰ الرواية ، وكلامه مسبوك جدّاً ، لأنَّه قد استفاده من هذا المذهب ، فكلّما نراه عند هؤلاء هو من ذلك المذهب .

الرسول الكريم دعا لهذا الشاب أيضاً ، فلم تمض مدّة حتّىٰ وقعت الحرب ، واستشهد بعض المسلمين وبعد عدّة أشخاص جاء دور هذا

---

(١) الاشارات : ج ٣ ، النمط ٩ ، الفصل ٣٤ ، ص ٣٩١ .

الشاب فاستشهد .

إذن ، فمن هذا الحديث يُعلم أنّ العين الملكوتيّة تنسجم مع الشوق إلىٰ الحرب ، وأساساً لا يكون الانسان ملكوتياً حتّىٰ يكون مستعدّاً لبذل نفسه، لذا ورد : « *ما منّا إلّا مسموم أو مقتول* »[1] وحتّى إذا كان هناك اعتراض علىٰ هذا المعنىٰ بالنسبة لبعض الائمة المعصومين فهو صحيح في الغالب منهم ، وهكذا « *وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ* »[2] صحيح ، وأدعية شهر رمضان المبارك صحيحة أيضاً .

إنّ دعاء عرفة يتلاءَم وينسجم مع نداءات كربلاء ، والعبارات المتناسقة والمستوية في الوصيّة الالهيّة السياسيّة للامام (رض) أيضاً متعانقة في ما بينها .

البكاء علىٰ الشهيد يبعث في الانسان الشوق إلىٰ الشهادة ، لأنّ البكاء والدموع تعكس في النفس ألوان المبكي عليه . فلو كان البكاء علىٰ الشهيد لذاق الباكي طعم الشهادة في روحه ، وأمّا لو كان البكاء علىٰ غير الشهيد فإنّه يبعث في النفس مرارة الموت .

انّ أفضل طريق لإزالة الخوف عن قلب الانسان هو التوحيد

---

(١) عيون أخبار الرّضا : ج ٢ ، ص ٢٠٣ ـ أعلام الورىٰ : ص ٢١١ ـ كفاية الأثر: ص ٣١٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٦ .

ومعرفة الله التي هي رأس مال المحبّة ، وما نجده لدىٰ شهداء كـربلاء مـن المنافسة علىٰ الشهادة ، هو سعي كلّ واحدٍ منهم إلىٰ أن يشرب من كأس الشهادة قبل صاحبه ، وعندما سمح لهم في ليلة عاشوراء بالذهاب والابتعاد عن ساحة القتال ، امتنعوا ، وعندما وصل الدور إلىٰ البراز في ميدان القتال تنافسوا بينهم في ذلك ، فقد وصلوا إلىٰ منزلة ومقام رؤية منازلهم في الجنّة . لذا كانوا يدخلون ميدان الحرب بفارغ الصبر .

ولم تكن هذه الحالة منحصرة في ميدان كربلاء ، بل حدثت نظائرها في صدر الإسلام ولذا كان بعض الصحابة الأجلّاء يكتفي في بعض الحروب بتمرة واحدة ويقول : بيننا وبين الجنّة رمية سهم واحـد . إنّ الأشـخاص الذين شاهدوا مكانهم في الجنّة كانوا أشدّ قتالاً من الآخرين .

رؤيتهم لمكانهم في الجنّة يعني انّ لديهم عيناً ملكوتية ، وكلّ من كان من أهل هذه المعرفة كان أشجع [١] .

الوصول إلىٰ هذا المقام لا يكون مـتيسّراً الّا عـن طـريق العـبادة الحقيقية .

تشير الآية الشريفة إلىٰ نوع أهل المعرفة لنكتةٍ وهي :

« *وَلَوْ انَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا اُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِـنْ*

---

(١) ماذا خسر الاسلام .

فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ...»[١].

يعني لو انّهم عملوا بشريعتهم، فسوف ينالون من الرزق المعنوي من أعلاهم وأسفلهم، فكما انّ هذه الآية تشمل الرزق الظاهري، فكذلك تشمل الرزق الباطني، والرزق الباطني علىٰ قسمين:

١ ـ الالهامات الإلهيّة.

٢ ـ العلم الحاصل بالسير والسلوك.

وأمّا علوم المدارس فهي لا تدخل في ضمن الرزق الباطني اطلاقاً، بل هي جزءٌ من الرزق المادي، بمعنى انّ الشخص كما يحصل علىٰ زراعة وأغنام وأموال، فكذلك من يأتي إلىٰ الحوزة العلميّة أو إلىٰ الجامعة يحصل علىٰ بعض المعلومات، وأهل المعرفة يعدّون هذا العلم الباعث علىٰ التناحر والتنازع بين الناس جزءً من العلوم الماديّة والدنيويّة، وليس من العلوم المعنويّة، ولذلك لا يحسبون علوم المدرسة من هذا القبيل اصلاً، بل يقولون ان العلوم المعنويّة علىٰ قسمين:

١ ـ العلم الّذي يحصل عليه الانسان بدون تعب، ويسمّىٰ بالإلهام.

٢ ـ العلم الّذي يحصل بالسير والسلوك، والجهاد مع النفس، كصوم المستحب، وقيام الليل، وقلّة الكلام، وقلّة الأكل، وحبّ الخير للآخرين، وترك الكلام البذيء، واختيار الكلام، وعدم نسيان صلاة الليل، ومئات

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٦.

المنازل والمقامات من هذا القبيل التي هي علوم ذوقيّة وتسمىٰ (علم الأرجل)[1] الطلّاب الذين نالوا وينالون مقاماً هم الّذين يحفظون أشعار المرحوم الشيخ البهائي كالأناشيد منذ بداية تحصيلهم[2] ويرددونها دائماً وذلك لأنَّ العلم الرسمي هو قال وقلت من أوّله إلىٰ آخره، وهؤلاء الطلّاب من أهل المعرفة أصحاب القلوب الصّافية يقرؤون أشعار المرحوم الشيخ البهائي منذ بداية دراستهم وهذه الأشعار هي موجودة بمضامينها في أشعار وغزل الامام الراحل (رض). والّذي يقول فيها: لقد تعبت من علم المدرسة. علم المدارس جزء من العلوم الدنيويّة[3].

فكما أنّه من الممكن للانسان أن يتعب من عشر إلىٰ عشرين سنة للحصول علىٰ بستان كبير أو قطيع من الماشية، وكذلك يمكنه أن يدرس عشر أو عشرين سنة في الحوزة العلميّة أو الجامعة ثمّ يصير عالماً ومفكّراً، لكنّ العلم الّذي لا يجعل الانسان متواضعاً ولا يزيل حبّ الدنيا من قلبه ولا يجعله من أهل المعرفة والحياة المعنوية، ولا يفتح عينيه علىٰ عالم الغيب، هذا العلم كالزراعة والرعي ينتهي في أواخر العمر وكل هذه المشاكل بسبب هذا العلم، والامام في غزله المعروف يئنّ من مثل هذه المدارس، والّا فانّ

---

(١) شرح الفصوص للقيصري، الفص الهودي: ص ٣٤٦ ـ والفص الأيوبي: ص ٣٩٠.

(٢) كليات الشيخ البهائي، رسالة شير وشكر.

(٣) كتاب سبوى عشق (الامام الخميني): غزل ١ و ٤.

العلم الّذي يحصل للانسان من السير والسلوك هو أمل الانسان .

وأخيراً ، نسلّم علىٰ الروح الطاهر لسيد الشهداء ونقول :

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .



المحاضرة الخامسة :

دعا الامام الراحل (رضوان الله تعالىٰ عليه) الأمّـة الاسـلاميّة في وصيّته السياسيّة الالهيّة إلىٰ تفهّم المعارف السامية في الأدعية والمناجاة ، وكذلك دعاهم إلىٰ مواجهة الاستكبار العالمي والاستمرار في ذلك . فـهل يمكن أن تكون روح الفرد أو الأمّة عارفة وفي الوقت نفسه مقاتلة أم لا ؟

يعني انّ الشخص إذا أحييٰ في نفسه روح العرفان ، فهل معنىٰ ذلك انه سوف لا يكون من أهل القتال ؟ ولو كان من أهل القتال ، فهل معنىٰ ذلك أنّه لا يكون من أهل المناجاة ؟

إنّ ما نستفيده من الوصيّة هو إمكانية بل وجوب الجمع بين العرفان و القتال كما كانت سيرة الامـام الراحـل (رض) العـلميّة و العـمليّة هـي

الجمع بين هاتين الفضيلتين ، ومن جهة أُخرىٰ إن الثورة الاسلامية لها جذور في سيرة الأنبياء والأولياء الالهيّين أيضاً ، خصوصاً سيّد الشهداء الحسين بن علي (سلام الله عليه) . وقد اتّضح تقريباً في الأبحاث السابقة أنَّ الروح الثورية لسيّد الشهداء هي نفس روح دعاء عرفة ، فالروح السامية واللطيفة التي أنشأت دعاء عرفة هي نفسها التي قامت بثورة كربلاء التاريخيّة .

والسرّ في ذلك أنَّه رغم انّ العاطفة تقابل الغضب لكن ديننا ديـن العقل لا العاطفة ، وحيث أنَّ العاطفة والغضب كلاهما يقعان تحت قـيادة العقل ، والعقل يأمر تارةً بالقسوة والغضب وأُخرىٰ بالعطف والحنان ، فمن الممكن لأمّة معيّنة أن تكون متوجّهة الى التضرّع والدعـاء والمـناجاة في محضر الحق تبارك وتعالىٰ ولها روحية لطيفة وحسّاسة ، وفي الوقت ذاته لا تخضع لسلطة الظالمين .

وما نراه أحياناً من التعارض والاختلاف بين العطف والشفقة وبين الحرب والقتال فهو من أجل انّ هاتين الصفتين تنشئان من قوّتين متقابلتين ، ولكن لو كانت هاتان الصفتان تخضعان لقوّة العقل وهدايته فان كلاً منهما سيظهر في موقعه المناسب .

وفي هذه الصورة سوف لا تكون هذه القوىٰ موزونة فـحسب بـل تكون منسجمة ومتناسقة .

وقد طرح القرآن الكريم هذا التلازم بـين الرحمـة والعـاطفة وبـين

مقاتلة المهاجمين أو السماح بالقسوة المقدّسة في المسائل الحقوقيّة بهذه الصورة : « ... *وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ* ... »[(١)] فالعلاقات العائلية والداخليّة محكومة بالمودّة والرحمة : « ... *وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً* »[(٢)].

فبداية الحياة تبدأ من العائلة ولابد أن تحكم بين الزوجين المودّة والرحمة وتسري إلىٰ الأولاد الذين لابدّ من تربيتهم بالمودّة والرحمة هذا فيما يتعلّق بالعائلة ، وهكذا بالنسبة إلىٰ المجتمع ، يقول القرآن الكريم : « *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ* ... »[(٣)] وأمثال ذلك ، ولكن عندما يتحدّث عن الأحكام الالهيّة يقول :

« ... *وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ* ... »[(٤)].

فَمَنْ لا تجدي معه الموعظة والهداية ، بل يكون مضراً ومخالفاً للعفّة العامة ، فانّ محكمة العدل الالهي تحكمه بالجلد ، ولابدّ من حضور بعض المؤمنين عند اجراء الحدّ الالهي ليروا تطبيق هذه الحدود . فمن جانب يقول انه لابدّ من حضور بعض المؤمنين عند اجراء الحد الالهي ، ومن جانب آخر يقول : لا تأخذكم رأفة ورحمة في مقابل العدل الالهي ، لأنّ هذه الرقّة

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٤) سورة النور : الآية ٢ .

والرأفة هي رقّة كاذبة وهذه المحبّة هي محبّة كاذبة كذلك .

إذن ، فالدين الّذي يدعونا إلىٰ العفو والمحبّة ، هو بنفسه يدعونا إلىٰ الصمود والشدّة ويوصينا بأنْ لا نعفو ولا تأخذنا الرأفة والرحمة في اجراء الحدود الالهيّة ، وهذا الحكم ليس مختصّاً بحدّ معيّن أو جزاء خاص ، بل يشمل الموارد الأخرىٰ أيضاً ، أي أنَّه لا يختص بمسائل هتك الحرمة وما يتّصل بالعفّة العامّة ، اذن فلو كانت المسألة مسألة اقتصادية أو متعلّقة بأمن الدولة وسياستها فينبغي أن يكون اجراء الحدود بهذه الصورة ، فلا مجال لإظهار العطف والرأفة ، لأن هذا الدين دين العقل لا دين العاطفة ، ولذلك يأمرنا تارةً بالعطف والرحمة وتارةً يأمر بالقسوة والشدّة وجملة : « *وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ* » هي نهي حازم ، يعني ليس لكم حق في هذه الموارد في اظهار العطف والشفاعة والوساطة وأمثال ذلك ، يقول العارف الاسلامي المشهور محيي الدين ابن العربي :[1] انّ ذكر الله أعلىٰ من الحرب ، وهذا الكلام لابدّ من توجيهه ، لأنّ الحرب لها وجهان ، وأحد الوجهين يعود إلىٰ الشهادة والوجه الآخر يرجع إلىٰ هلاك الحرث والنسل ، فليس المقصود ان ذكر الله أعلىٰ من الشهادة ، لأن نفس الجهاد والشهادة والدفاع عن حدود الإسلام هي ذكر لله .

---

(١) فص يونس من فصوص الحكم : ص ٢٨٣ ، شرح فصوص قيصري ـ فتوحات مكية : ج ٤ ، ص ٤٦٢ .

أجل ، لا يمكن اطلاقاً أن يقال إنّ ذكر الله أعلىٰ من الحرب في سبيل الله ، لأنّ هذه الحرب هي بنفسها ذكر لله ، والدفاع هو ذكر لله ، فلو كان قصده أنَّ ذكر الله أعلىٰ من الدفاع في سبيل الله ، فهذا كلام غير صحيح ، لأنّ نفس الدفاع هو ذكر لله ، وهو اجابة دعوة الحق ، فالله عزّ وجلّ دعانا إلىٰ مواجهة الأجانب والأعداء ، ثم قال لنا أجيبوا داعي الله ، فإجابة دعوة الله هي ذكر لله ، حيث يقول في سورة الأنفال بعد ذكره لمسألة الدفاع وقانون الحرب : « *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ* »[1] فهذه الآية نزلت في سياق الحرب ، فمع أنَّ جميع المسائل الاسلامية هي سبب الحياة ، فالصلاة تحيي الناس ، وكذلك الصوم والحج ، ولكن هذا الأمر لم يطلق علىٰ الصلاة والصوم والحج ، بل طرح في سورة الأنفال في مسألة القتال ، فقال : انّ الحرب هي التي تحييكم ، ألستم تريدون الحياة بعزّ ؟ أليس الحياة بعزّ وشرف لا تتحقّق الاّ في ظل حكومة اسلاميّة وإلهية ؟ فلو تسلّط عليكم الأجانب ستكون النتيجة : « *يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ* »[2] .

ومع الأسف في اليوم الذي استبدل فيه شاه ايران بالتاريخ الرسمي التاريخ المشؤوم الشاهنشاهي ، أصبح اسم رسول الله (ص) في طي النسيان ، كانوا يقولون صراحة لا تذكروا اسم رسول الله ، بل يجب أن تكون أوّل

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٩ .

كلمة في الرسائل والدعوات والكتب الرسميّة باسم الشاه ، وهذا الكلام هو ما نقوله نحن الموحّدين عن الله سبحانه وتعالىٰ ، بأنَّ أول كلمة يجب أن تكتب في الكتب والرسائل هو اسم الله ، ومع ذلك يرىٰ هؤلاء المنحرفون والضالون أنَّ عزّتهم في اطاعة ذلك الفرعون .

إذا أراد شخص أن يكون عزيزاً وحيّاً في نفس الوقت فليس أمامه سوىٰ الجهاد في سبيل الله ، فمع انّ الصلاة والصوم عامل للحياة ، ولكن هذه الآية وردت في سياق آيات الحرب والدفاع من سورة الأنفال فيقول : « *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ* »[1] وعلىٰ هذا الأساس بما أنَّ الدين دين العقل لا العاطفة ، فالعقل الكامل يأمر بالشدّة والحزم ضدّ الباطل كما يأمر بالتضرّع للحق تعالىٰ ومناجاته ، فنجد أنَّ الله عزّ وجل يُثني علىٰ بعض الأشخاص ويمدحهم بقوله : « *يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ* » .

فهو من جهة يقول لنا : لا تأخذكم رأفة في دين الله ، ومن جهة أُخرىٰ يُثني علىٰ الأشخاص الذين التزموا بهذا النهي ويذكرهم بالخير ويقول عنهم : لا يُظهر هؤلاء العطف والمحبّة الكاذبين في مورد اجراء الحدود الالهيّة .

اذا كان العقل قائداً لنظام معيّن فإنّ جميع الغرائز سوف تكون

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

خاضعة لهذا العقل ومنتظمة به ، وهذا العقل بدوره سوف يصطبغ بـصبغة العشق . انّ للانسان رجاءً من حيث الرغبة ، وخوفاً من حـيث الهـرب ، والخوف والرجاء حالتان موجودتان في جميع الناس ، لكن الانسان الموحّد نظم خوفه ورجاءه علىٰ أساس التوحيد . يقول الامام علي (ع) : انّ الانسان إذا عشق الله فسوف يكون حبّه لله بمقدار خوفه منه ، فالرجاء والخوف فيه بميزان واحد « *وإن استطعتم أنْ يشتدَّ خوفكم من الله ، وأن يحسن ظنّكم به ، فاجمعوا بينهما* »[1] .

فمن كان أمله بالله تعالىٰ كبيراً كان خوفه وخشيته منه كذلك ، أي سينحصر اعتماده علىٰ الله فقط لا علىٰ غيره ، وخشيته من الله فقط لا من غيره ، وبما أنّه يخاف من الله تعالىٰ فقط ولا يخاف من غيره فانّه يسعىٰ لحفظ دينه ، فمن لا يسعىٰ لذلك بل يقابله بالسكون وعدم الاهـتمام فـانّه ليس موحّداً بالخوف .

والمفسّرون من هذا القبيل قد استفادوا من الآيات الالهـيّة حسب ذوقهم وفكرهم الخاص ، فقبل أن يستفيدوا من القرآن شيئاً فرضوا عليه نظريّاتهم الخاصّة ، والقرآن الكريم يقول فكّروا في اصلاح ذاتكم : « *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ* »[2] أي عـندما

---

(١) نهج البلاغة : كتاب ٢٧ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٥ .

تكونون مهتدين لا تؤثّر فيكم ضلالة المنحرفين .

لقد فسّرت هذه الطائفة من المفسّرين غير الموحّدين في الخوف هذه الآية علىٰ النحو التالي : إنّ كلّ انسان عليه أن يهتم بنفسه ولا يهتم بغيره ... فهؤلاء وبالاستناد علىٰ هذه الآية قد أوكلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الدين إلىٰ المستقبل وزمان حضور الامام ولي العصر أرواحنا فداه ، وقالوا : انَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون قابلاً للإجراء حين ظهور الامام (ع) .

ما يقال أحياناً من أنّ كل شخص يوضع في قبره ، أو انّ كل انسان له دين ومذهب ولا عليه بما يدين به الآخرون ينبغي بيانه وتوضيحه .

فهل الأمر بالمعروف أحد الأوامر الاسلاميّة الواردة في الشّريعة أم لا ؟ وهل يمثّل الدفاع والجهاد جزءاً من أوامر القرآن القطعيّة أم لا ؟ هل يمكن أن يهتدي الناس بدون اجراء هذه الأحكام حتّىٰ يمكن القول أنَّ هذا الشخص قد اهتدىٰ لوحده فلا تصيبه أو تضرّه ضلالة الضالين ؟! أو يجب أن نقول إنَّ الشخص الّذي لم يأمر بالمعروف ولم يدافع ويجاهد ويقاتل في سبيل الله ولم يحكم بالقسط والعدل غير مهتدٍ وعليه فسيكون في صف الضالين . وأمّا من كان موحّداً بالخشية فيستفيد من هذه الآية المباركة استفادة سليمة وتوحيديّة ، وفي مقابل ذلك الشخص الوثني والازدواجي في الخوف ، يعني يخاف من الله ومن خلق الله أيضاً ، فيستفيد من هذه الآية

معنى آخر .

يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه : انّ الانسان الّذي يرجو الله تعالىٰ ينبغي أن يخشاه بنفس المقدار ، فيقول في وصف المتّقين : *« لا يرون مرجوّاً فوق ما يرجون ، ولا مخوفاً فوق ما يخافون »*[1] .

وعندما نتجاوز أفراد الانسان ويصل الدور إلىٰ الملائكة ، نجد أنَّ الملائكة أيضاً بين الخوف والرجاء ، فبالرغم من انّ الملائكة لهم سوابق حسنة، ولكنّهم لا يرون أبداً هذه السوابق شيئاً مهمّاً ، لأنّهم عندما يرون أعمالهم الحسنة كبيرة فسيكون رجاؤهم كبيراً أيضاً ، وعندما ترجح كفّة الرجاء علىٰ كفّة الخوف فسوف لا يكون لديهم الخوف بما يتناسب ومقام الله تعالىٰ : *«لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم ، ولو استعظموا ذلك لنسخ ذلك الرجاء منهم شفقات وَجَلِهم »*[2] .

إذن ، فقد وردت في كلام أمير المؤمنين (ع) هذا مطالب ثلاثة :

أولاً : يأمرِنا (ع) بأنّنا ينبغي علينا أن نجمع قدر الامكان بين الخوف والرجاء بصورة منسجمة ، فيكون معلوماً أنَّ الجمع بينهما ممكن .

ثانياً : إنَّه ذكر وتحدّث عن الأشخاص الذين جمعوا بينهما بأنّهم من أهل الفضائل ، وذكرهم حامداً مثنياً ، فيقول : انّ أهل التقوىٰ هم الذين لا

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤٣٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٩١ .

يرجون غير الله تعالىٰ ولا يشعرون بمبعثٍ للأمل في أنفسهم أقوىٰ وأعلىٰ منه، وكذلك ينحصر خوفهم وخشيتهم من الله فقط ولا يخشون غيره .

ثالثاً : ثم أنَّه (ع) يتجاوز الانسان المتّقي ويتحدّث عن الملائكة ويقول : إنَّه لو كان أمل ورجاء الملائكة أكثر من خوفهم فانّ خوفهم سيكون أقل ممّا ينبغي ، والمخلوق ما دام مخلوقاً يجب عليه أن يرجو الله بنفس المقدار الّذي يخشاه . وهذا هو ما نجده في انسجام روح العرفان والحماسة .

انّ كلام العارف الكبير محيي الدين ابن العربي الّذي يقول فيه : إنّ ذكر الله أعلىٰ من الحرب في سبيل الله يسترعي الانتباه ، كما أنَّ شواهد توجيه هذا الكلام موجودة في كتب هذا العارف نفسه .

لدينا اصطلاحان هما : اسم الحق وذكر الحق ، ومن واجبنا ذكر الحق في قلوبنا وأن نجري اسم الحق علىٰ ألسنتنا ، فلذلك يتوجّه المجاهد إلىٰ جبهات القتال بعنوان بسم الله وفي سبيل الله ، وعندما يستعمل سلاحه في قتال الأعداء فهو يعيش حالة ذكر الحق .

يقول الإمام علي (ع) في تفسير الآية الشريفة « *وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ* »[1] : « *أمّا بعد ، فانّ الجهاد باب من أبواب الجنّة ، فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لباس التقوىٰ ، ودرع الله الحصينة ، وجنّته الوثيقة* »[2] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦ .

(٢) نهج البلاغة :الخطبة ٢٧ .

وكذلك فسّره زيد بن علي بن الحسين (ع)[1] بهذا المعنىٰ، فالمعنىٰ الّذي يستفيده الانسان الشجاع والمقاتل والمجاهد من القرآن الكريم هو معنى ثوريٌ في عين العرفان.

أمّا الآخرون فيرون لباس التقوىٰ في ثوب التسبيح بدون مشقّة، ولكن أهل الحماسة وميدان القتال يرون لباس التقوىٰ السلاح والدرع في سبيل دين الله، وكان سيّد الشهداء وأمير المؤمنين (عليهما السلام) من هذا القبيل، وهكذا كان الامام الراحل (رحمه الله) أيضاً.

فيفهم من ذلك جيّداً أنّه لا نزاع بين القتال والمناجاة، ولا تدافع بين الدفاع والأعمال المستحبّة .. وأساساً فانّ القرآن الكريم قد عرّف لنا الدفاع والجهاد بانّه من أجل حفظ مراكز العرفان، وانّه لو لا الحرب والجهاد فسيكون دير الراهب المنزوي عرضة للتخريب والهدم.

والقرآن الكريم يخاطب أمثال هؤلاء الأشخاص الذين هم ليسوا من أهل القتال وقد خلطوا بين ترك الدنيا وترك الخلق، ولم يعلموا أنّه ومن أجل الخدمة الصادقة للمجتمع عليهم أن يكونوا مع الناس، ولم يعلموا بأنَّ هذا العمل عمل أخروي لا دنيوي، فيقول لهم منذراً رغم انّكم لستم من أهل القتال بل من أهل المسبحة والتسبيح، ولكن لو لا السلاح في أيدي المجاهدين لما كانت في أيديكم مسبحة.

---

(١) اختصاص المفيد: ص ١٢٧، طبعة قم.

منهج ستالين ولينين الخشن إلىٰ تخريب المساجد ، أدّىٰ كـذلك الىٰ هدم الكنائس وتدمير الصوامع والأديرة، ولذلك يقول القرآن الكريم : « *وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ* »(١) يعني لو لا المجاهدون في الخطّ المتقدّم للقتال لا يبقىٰ مسجد ولا كنيسة ولا صومعة ولا دير راهب ، لأنّ الماديين والكفرة يرون في كل ما يؤدي إلىٰ ذكر الله أفيوناً للشعوب .

قد لا يكون الانسان في طبيعته مقاتلاً ، ولكن يجب عليه أن يدعو للمقاتلين ، فمن لا يتمكّن من تعديل الخوف والرجاء في نفسه وكان يخاف من الله ومن غير الله فانّه يقول عندما يتلو الآيات القرآنية المتعلّقة بالقتال : بأنّها مختصّة بوقت ظهور الامام صاحب الزمان (أرواحنا فداه) ! في حين انّ الامام (ع) وطبقاً لما تقدّم لا يقبل الاّ مَنْ كان مستعدّاً للقتال في سبيله .

يقول لنا الامام السادس أبو عبد الله (ع) كما ذكرنا سابقاً : « *ليـعدّ أحدكم لخروج القائم (ع) ولو سهماً فإنّ الله إذا علم ذلك من نيّته رجـوت لأن يُنسيء في عمره حتّىٰ يدركه ويكون من اعوانه وأنصاره* »(٢) .

فلو كنتم منتظرين لظهور ولي العصر (ع) فتعلّموا الرماية ، فالانسان المسلّح هو الانسان المنتظر لظهور ولي العصر (ع) ، ومن لم يستعد لذلك ولم

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٠ .

(٢) سفينة البحار : ج ٢ ، ص ٧٠٥ .

يتعلّم الرماية فإن انتظاره انتظار كاذب .. والامام (ع) عندما يظهر سوف يقاتل أيضاً ، ولو لم يكن من أهل القتال لا معنى لأنْ يُقتل ... إذن يتّضح بهذا الكلام انّ العرفان لا يتنافىٰ مع الحرب اطلاقاً .

أُقيم في ايطاليا مؤتمر بمناسبة مرور ٧٥٠ سنة علىٰ وفاة العارف المشهور محيي الدين ابن العربي . ومع انّ المتعارف أن تقام مثل هذه المؤتمرات عند رأس السنة المئويّة ، فنادراً ما تكون اقامة المراسم عند سنة (٧٥٠) لإحياء ذكرىٰ وفاة الانسان ، ولكن القائمين علىٰ هذا المؤتمر أرادوا أن يعرّفوا ابن العربي علىٰ أنَّه عارف ، وانّ العارف غير مرتبط بالثورة ! لكنّ هذا التعريف غير صحيح ، لأن هؤلاء تصوّروا انّ العرفان لا علاقة له بالحرب ، بل هو سلم محض دائمي وكلّي ، في حين أنَّ العرفان رغم كونه سلاماً شاملاً ولكنّه يرى السلم في الحرب أيضاً ، ويقول : انّ الحرب شيء حسن ، فمثلاً نجد أنَّ العارف يقول : انّ السجن مكان جيّد ، ولا يقول : لا ينبغي أن يوجد سجن ويقول أيضاً : انّ جهنّم مكان حسن ، ولا يقول : لا ينبغي لجهنّم أن توجد[1] ، فلو لا جنهم لانحرف كثير من الناس ، لأن الكثير من الناس أصبحوا اناساً صالحين خوفاً من جهنّم .

لقد خلط مؤتمر ايطاليا بين هذين الموضوعين ، ولذلك أرادوا أن يقولوا أنَّ العارف هو مَنْ كان من أهل السلم لا من أهل الحرب . وغفلوا عن

---

(١) مقدمة الفصوص للقيصري .

أنّ العارف هو من أهل السلام الشامل ويرىٰ الحرب سلاماً أيضاً ، وحتّىٰ في جهنّم والسجن يراهما سلماً أيضاً ، لأنّه يرى العالم بمنظار واسع .

وقد تقدّم سابقاً أنَّ المتكلّم أو الفيلسوف عندما يتحدّث عن الانسان الكامل فهو يتحدّث عنه في اطار النبوّة والرسالة ، ويقول : ان البشر يحتاج إلىٰ نبي ، المجتمع يحتاج إلىٰ رسول ، لأنّ البشر يحتاج إلىٰ قانون . فلو كان المقنّن هو الانسان نفسه فسيضع قوانين مطابقة لمصلحته الشخصيّة ، إذن ، يجب أن تكون القوانين موضوعة من قبل الله تعالىٰ ومرسلة الينا بواسطة الأنبياء (عليهم السلام) .

والآن نجد القوانين الحاكمة في منظّمة الأمم المتّحدة أصولاً مقبولة لدىٰ الدول الاستكباريّة ، وهكذا كان النظام الشاهنشاهي السابق المؤيّد للرأسماليّة يضع قوانين تسوق المجتمع نحو الرأسماليّة ، فكلّ مقنّن يضع قوانين ملائمة ومطابقة لخطّه واتّجاهه ، لأن الانسان مصلحي وأناني بنفسه ، فلو كان تنظيم القوانين بيده ، لوضع قانوناً من جانب واحد ، الّا انّ القانون يجب أن يوضع بشكل يُلاحظ فيه مصلحة الجميع .

هذه المسائل تطرح في الحكمة والفلسفة كدليل علىٰ احتياج المجتمع للنبوّة ، لكنّ العارف عندما يتكلّم عن الانسان الكامل لا يفكّر فقط في اصلاح المجتمع ، بل يقول : اننا نحتاج إلىٰ خليفة الله وإلىٰ الانسان الكامل الّذي يدير المجتمع البشري ، وكذلك المخلوقات الأخرىٰ ، ويعلّم الملائكة

أيضاً ... فالعارف يقول نحن نريد ونحتاج خليفة الله الّذي تتعلّم منه الملائكة.

والحكيم أو الفيلسوف يرى أنَّ الانسان الكامل هو من يكون في درجة « *وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ* »[١] ، والعارف يراه في درجة « *وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا* »[٢] . لأنّ رؤية العارف أوسع ، فهو يرى العالم الخارجي بسعة رؤيته سلاماً شاملاً ، أي أنَّه يرى الحسن والجمال في كلّ شيء حتّى في جهنّم فرغم كونها : « *دار ليس فيها رحمة ، ولا تُسمع فيها دعوة* »[٣] الّا أنَّه لو لا وجود جنّهم لانحرف بعض الناس الذين يجتنبون الذنوب خوفاً من جهنّم ، ولو رأىٰ أهل الجنّة النار لاعترفوا بفضلها عليهم ولقالوا لها : لو لا أنتِ لما تركنا المعاصي .

كما أنَّ بعض الناس يتجنّب الجرائم خوفاً من السجن فينبغي أن يعترفوا بفضل السجن عليهم ، فمع أنَّ السجن في مقابل المدرسة مكان سيّء جداً ، ولكنّه مكان جيّد بالنسبة إلىٰ الوجود العام للمجتمع ، وكما انّ الدولة لا يمكنها الدوام بدون سجن ، لأنّ جميع الناس ليسوا معصومين ومتّقين ، فالعالم كذلك لا يكون بدون جهنّم ، لأنّ جميع أفراد المجتمع ليسوا متّقين ..

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣١ .

(٣) نهج البلاغة :الكتاب٢٧ .

إذن، لابدّ من وجود جهنّم، فالعارف يرىٰ جمال جهنّم من زاوية أُخرىٰ[١].

لقد نزلت سورة الرّحمـن في القـرآن الكـريم لِـعَد نـعم الله تـعالىٰ واحصائها، فكلّ آياتها بيان لنعم الله تعالى، فهو تعالىٰ يذكر نعمه في هذه السّورة، فأوّل هذه السّورة هو الرّحمن وليس القهّار، يعني أنَّ جميع المطالب المذكورة في هذه السورة هي من رحمانيّة الله تعالىٰ، ثم أنَّ أوّل رحمة يذكرها الله تعالىٰ منزل الرحمة هو القرآن، وانّه تعالىٰ هو معلّم القرآن: ﴿ *الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ* ﴾[٢].

فاذا تعلّم الانسان القرآن يكون انساناً صالحاً، واذا كان كذلك كان كلامه بياناً، وفي مقابل ذلك لو لم يتعلّم القرآن فلا يكون انساناً صالحاً، ولو لم يكن كذلك لكان كلامه مبهماً، كالبهائم.

ثم يعدّ النعم السماويّة والأرضيّة حتّىٰ يصل إلىٰ ذكر جهنّم، ويختتم الآيات المذكورة بقوله: ﴿ *فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ* ﴾ يعني أنَّ هذه هي نعم الله تعالىٰ، فبأي نعمة من هذه النعم تكذّبون ؟ فعندما يذكر الجـنّة يـتساءل تساؤلاً إقراريّاً أنّه بأيِّ نعمةٍ من هذه النعم تكذّبون ؟ وعندما يتحدّث عن ثمار الجنّة يقول: بأيّ نعمةٍ من هذه النعم تكذّبون، وعندما يتحدّث عـن جهنّم والمعادن المذابة فيها بالقول: ﴿ *يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا*

---

(١) مقدّمة القيصرى في شرح الفصوص.

(٢) سورة الرحمن: الآيات ١ و٢ و٣ و٤.

تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ »[١] يقول أيضاً : بأيّ نعمة من نعم الله تكذّبون ، فما أحسن اللحظة التي يصبّ فيها النحاس المذاب والمنصهر علىٰ رؤوسكم ، وما أعظم هذه النعمة ؟

نحن نرىٰ انّ الله تبارك وتعالىٰ قد أنزل آيات في القرآن الكريم للعرفاء ، وكذلك آيات للحكماء ، وآياتٍ للمتكلّمين ، وكذلك آيات لبقيّة الناس ، لأنَّه هدىً للناس[٢] . فلا يوجد موضوع في القرآن الكريم غير مفهوم لأحد من الناس ، وبالرغم من أنَّ هناك آياتٍ كثيرة في القرآن عميقة المعنىٰ لا تصل إلىٰ معانيها افهام الناس ، ولكن نفس هذه الآيات قد وردت بصورة أمثال بسيطة في أقسام أُخرىٰ من القرآن الكريم ، فلذلك نجد انّ القرآن الكريم يبسّط المطالب العميقة ويذكرها بصيغة أمثال ، فيبيّن تلك المعاني بقالب المثل ليفهمه سائر الناس .

ومن الجدير بالذكر أنَّه ينبغي الالتفات إلىٰ وجود فرقٍ بين أمرين :

١ ـ هناك آيات في القرآن الكريم لا يفهمها الّا الخواص من الناس .

٢ ـ انه لا يوجد مطلبٌ في القرآن لا يفهمه البسطاء من الناس .

يعني انّ الله عزّ وجلّ بيّن المطالب السامية بصورة أمثال بسيطة قابلة للفهم وجعلها في أيدي عامّة الناس ، فالآيات : « *وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا* » هي

---

(١) الرحمن : الآية ٣٥ .

(٢) سور البقرة : ١٨٥ ـ آل عمران : ٤ ـ الأنعام : ٩١ .

محور بحث العارف ، فالآيات : « *وَيُعَلِّمهمُ الكتابَ والحكمَة* » هي محور بحوث الفيلسوف والمتكلّم ، والآيات التي تتحدّث عن الحرب والسلم والأحكام الأخلاقيّة هي محور أبحاث علماء الأخلاق والفقه ، والآيات الأخرىٰ لأصحاب العلوم الأخرىٰ ... فالقرآن الكريم ذكر جميع هذه الآيات مع بعضها .

فالعرفان لا يقول انّ الشيطان شرّ ولا ينبغي وجوده . بل يقول انّ وجود الشيطان مفيد ، لأنّ كلّ انسان لا يصل إلىٰ أيّ مقام الّا من خلال حربه مع الشيطان .

فلو لم يكن الشيطان لما كانت هناك وسوسة ، ولما كان هناك صراع داخلي في نفس الانسان ، ولما وصل أحدٌ إلىٰ مقام معيّن ، ورغم انّنا مكلّفون بلعن الشيطان ورجمه ، وعارفون بأنّه وأتباعه من أهل جهنّم ونستجير بالله منه ، ولكن أليست هذه الأمور هي من أجل انّ الشيطان مظهر الاضلال عن الحق تعالىٰ ؟ أليس الله سبحانه وتعالىٰ يوكل من أراد أن يضلّه إلىٰ هذا الكلب المعلّم ؟

الشيطان هو الكلب المعلّم للنظام الكوني ، فانّه لا ينبح علىٰ أيّ انسان ولا يعضّ أيّ انسان ، فنعلم انّ وجود الشيطان في هذا النظام الكلّي للعالم رحمة ... فلو كان لشخصٍ كلبٌ معلّم لَعَلم أنَّ هذا الكلب رغم نجاسته العينيّة وحرمة أكله يقدّم خدمة أيضاً .

الشيطان ينبح علىٰ جميع الناس ، ومن جهة أُخرىٰ نجد انّ الأنبياء يدعون الناس إلىٰ عدم الاعتناء بنباحه ، وقد علّمنا الأولياء أن نواجه هذا النباح ونحاربه ، فلو لم يهتم الشخص بهذا النباح وسلك الطريق الّذي رسمه الهداة الالهيّون واستمرّ فيه فانّ الشيطان سوف يتراجع ولا ينبح بعد ذلك ، لأنّه خنّاس وعمله هو بهذه الصورة فهو يقدّم رجلاً ويؤخّر أُخرىٰ للفرار .

الامام علي (ع) عندما يعرّف لنا الشيطان الرجيم يقول :

« ... *فانّ الشيطان كامنٌ في كسره (يقصد معاوية) ، وقد قدّم للوثبة يداً ، وأخّر للنكوص رجلاً ، فصمداً صمداً حتّىٰ ينجلي لكم عمود الحق* ... »[1] أي انّكم لو أخذتم حذركم منه وثبتّم علىٰ المسير لهرب منكم ولو صرختم به أو قلتم (أعوذ بالله) فانّه سيهرب ، فهو مستعد للهرب والفرار دائماً . فعندما ينبح ولا يهتم الانسان لنباحه بل يقول : إلهي أعوذ بك من شرّه ، فانّه سينكمش في زاوية انّه « خنّاس » ، فقبل ذلك كان وسواساً والآن أصبح خنّاساً وانكماش البعض في زاوية هو السّبب في خناسيتهم .

عندما يُظهر الشيطان نفسه فسيكون مصداق (الذي يوسوس في صدور الناس) وعندما يلتجئ الانسان إلىٰ الله تعالىٰ من شرّه ويرجمه فانّه سينكمش في زاوية ، عندها سيكون أسره وتوثيقه سهلاً ، ولا يذوق

---

(١) نهج البلاغة : كتاب ٦٦ .

الانسان طعم الراحة الآ عندما يأسر الشيطان .

فعمل الأنبياء (عليهم السلام) هو أسر وتقييد الشيطان ، وعمل الشيطان هو السعي لأسر الانسان ، والحرب النفسيّة تختلف عن الحرب الخارجيّة ، ففي الحروب الخارجيّة يسعىٰ العدو لأن يقتل أو يأسر ولكن الشيطان في الحرب الداخليّة لا يسعىٰ إلىٰ قتل الانسان ، لأنّه إذا قتله لا يستفيد من ذلك شيئاً ، فهو يريد أن يجعل الانسان وسيلة إلىٰ نيل أهدافه .

إذن ، فمنتهىٰ سعي الشيطان هو أن يأسر الانسان حيّاً ، وهذا هو معنىٰ *«كم من عقل أسير تحت هوىً أمير»* (١) .

إذن ، فكل سعي الشيطان هو أسر الانسان ، وفي مقابل ذلك نرىٰ اهتمام الأنبياء (عليهم السلام) وسعيهم منصبّاً علىٰ القبض على الشيطان وأسره . يقول رسول الله (ص) : *«إنّ شيطاني أسلم علىٰ يدي»* (٢) .

والخلاصة : إنّ الانسان عندما ينظر بنظر أهل المعرفة يرىٰ جهنّم مفيدة وضرورية بالنسبة الى النظام الكوني في حين انّها مكان سيّء جدّاً ، فيقول : إنّ جهنّم مكانٌ جيّد والشيطان مخلوق مفيد بالرغم من أنّه موضع لعن ورجم ، لأنّ وجوده بالنسبة إلىٰ كلّ النظام الكوني ضروري .

إنّ خطأ ايطاليا وأوربا والغرب انهم تصوّروا أنَّ العرفان يقول بأنَّ

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢١١ .

(٢) مسند احمد حنبل : ج ١ ، ص ٢٠٧ .

الحرب أمرٌ قبيح ، وقد غفلوا عن أنّ العارف يقول : إنّ الحرب والدفاع شيء حسن ، والجهاد شيء جيّد ، لا أنَّه لا حاجة إلىٰ الدفاع والجهاد .

السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ، السلام عليك يا قـتيل العبرات ، السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بـن الحسـين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .



المحاضرة السادسة :

« انسجام العرفان مع الدفاع والجهاد »

العرفان الأصيل ليس منسجماً مع الدفاع والحرب فحسب ، بل متضمّن للدّفاع المقدّس أيضاً . والعارف هو الّذي يرى كل ما في العالم جميلاً ، والدفاع عن حريم الدين يراه جميلاً بعنوان الصلح ، ويضفي القداسة على الحرب .

تارةً يقول الانسان : أنا لست من أهل الحرب والدفاع ، ويترك الجهاد ، فيكون هذا من اعتزال المعارف لا اعتزال الدنيا ، وتارةً يقول : إنّي أرىٰ الحرب شيئاً جميلاً من أجل حفظ الدين ، فليس في العالم شيء قبيح ، والدفاع عن حريم الدين ليس قبيحاً بل هو جميل جدّاً . عندما يرى العارف

السلام الشامل في العالم فسوف يرى الحرب سلماً في الحقيقة، كما أنّه يرى ضرورة وجود جهنّم فلا يتكلّم عنها بكلام غير مرضي. بل يقول انّ جهنّم ضروريّة الوجود في العالم. ووجود ابليس أيضاً ضروري وإذا كان هناك شرٌّ فهو شرٌّ بالقياس لا بالذات.

انّ فرق العارف عن غير العارف هو انّ غير العارف أمّا أن تكون رحمته متوازية مع غضبه وفي عرض واحد، وإمّا انْ يكون غضبه إمام رحمته، لكنّ العارف تكون رحمته إمام غضبه، فهنا ثلاثة أقسام لهذه المسألة:

القسم الأول: هو انّ الانسان لو لم يسيطر علىٰ رغباته وميوله الباطنيّة ويوازن فيما بينها، فسوف يكون الغضب هو القائد لجميع غرائزه، وسوف يكون منفذاً لجميع ما أمره به غضبه، وسنجده هادئاً وساكناً في كلّ مورد لا يأمره غضبه بشيء، وبما انّ الغضب امام وقائد هذا الانسان، فسيكون حيواناً وحشيّاً حيث تكون حياته قائمة علىٰ أساس الغضب ووحشية الطبع.

القسم الثاني: هو ان يكون الغضب والرحمة متساويين ومتوازنين، ولا يكون أي منهما قائداً دائمياً لأعمال الانسان الباطنيّة، بل يكون الغضب تارةً هو القائد وتارةً تكون الرحمة. فهو في الحدّ الوسط ولم ينتخب له طريقاً معيّناً.

القسم الثالث : أهل الله الذين تقود رحمتُهم غضَبهم ، فهم مظهر « يا من سبقت رحمتُهُ غضبَهُ »[1] .

فالأشخاص الذين تكون الرحمة هي الحاكمة علىٰ أعمالهم وغضبهم ويكون غضبهم مقوداً ومحكوماً لرحمتهم سيكون دأبهم المحبّة والوفاء للآخرين .

هذه المحبّة للآخرين تارة توجب عليهم ـ بالعرض ـ أن يزيلوا الأشواك عن الطريق وهذه الإزالة للأشواك رحمة . فعندما نقول انّ رحمة الله إمام غضبه ورحمته سبقت غضبه ، يعني انّ الله تعالىٰ له رحمتان .

أولاً : الرحمة الخاصة التي تقع في مقابل الغضب .

ثانياً : الرحمة المطلقة العامة التي ليس لها مقابل .

الرحمة المطلقة مثل الهداية المطلقة ، ومقابلها هو العدم المطلق ، أي ليس لها مقابل فعندما يُرسل الله رحمته المطلقة علىٰ العالم تكون تارةً في صورة غضب وتارة تكون رحمة خاصة ، وهذا يتعلّق بما تقتضي الرحمة المطلقة ، فتارةً تصدر هذه الرحمة أمراً بالمحبّة والوفاء والانقياد ، وتارةً تصدر أمراً بالحرب والدفاع والكره وأمثال ذلك .

وعندما يعرّف القرآن الكريم مسألة القصاص بأنّها من أحكام جلال الحق بصورة الجمال ، فالسّر في ذلك انّ جمال الله هو القائد لجلاله . وانّ رحمة

---

(١) مفاتيح الجنان : دعاء الجوشن الكبير ، الرقم ١٩ ـ ٢٠ .

الله امام غضبه، يقول [تعالىٰ]: «*وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ*»[1].

القصاص قانون يتّصف بالقهر والغضب، والقوانين القهريّة تسمّىٰ بقوانين الجلال، ولكن بما انّ جلال الحق مختلط مع جماله، بل انّ الجمال يقود هذا الجلال، فلذلك يقول الله عزوجل: «*وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ*»، يعني لو قُتل القاتل فهذا ليس غضب الله بل رحمته، كما يقول عن الجهاد والدفاع كذلك.

فيصرّح بأنَّ مسألة الدفاع أحد عوامل الحياة: «*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ*»[2].

فاذا دعاكم الله عزوجل إلىٰ الجهاد والدفاع، فرغم كونه من قوانين الجلال والغضب، فإنَّه يكون مصحوباً بالجمال والحياة.

وفي كل المسائل سواء الفرديّة أو الاجتماعية يكون جلال الحق ذا صبغة جماليّة.

ولذلك يقول حول القصاص: «*وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ*» ويقول عن الحرب والدفاع المقدّس: «*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ*».

لأنّ رحمة الله سبقت غضبه، فالرحمة سابقة والغضب مسبوق

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

ورحمته إمام والغضب مأموم ، وكل مأموم يقتدي بإمامه ويصطبغ بصبغته ، فبما انّ الغضب يسير خلف الرحمة فانّ له صبغة الرحمة ، وعندما يكون للغضب صبغة الرحمة ، نفهم انّ الرحمة تدير كلّ العالم .

وبالرغم من وقوع عدّة حروب دامية في صدر الإسلام نجد انّ الله عزوجل يصف النبي الأكرم (ص) كرحمةٍ للعالمين ويقول : « *وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ* »(١) .

فالأنبياء والأولياء الذين هم مظاهر الله عزوجل كذلك تكون رحمتهم غالبة علىٰ غضبهم .

العرفاء أيضاً وهم التلاميذ الحقيقيّون للأولياء والأنبياء ، رحمتهم غالبة علىٰ غضبهم ، اذاً فمن الطبيعي أن يكون العرفان منسجماً مع الحرب والثورة ، لانّ غضب العارف تابع لرحمته . فهذه ثلاث طوائف كلّ واحدة منها تختلف عن الأخرىٰ .

العلامة المميّزة لتقدم رحمة العارف على غضبه هو عدم اللجوء الى السلاح ما أمكن ، ولو شَهَرَ سلاحه فانّه لا يقتل ما أمكن ذلك ، وإذا قتل البعض فسوف يسعىٰ إلىٰ العفو عن الآخرين . ولكن عندما تكون القيادة بيد الغضب ، ويكون الغضب امام الرحمة ، فسوف يجرّد هؤلاء الحكّام الغاضبون سلاحهم بأسرع ما أمكن ، ويقتلون مهما استطاعوا ، وبعد

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

الإنتصار يأخذون الآخرين ويقودونهم أسرىٰ .

والعالم اليوم يحكمه سبقة الغضب علىٰ الرحمة ولذا فهو حيوان كاسر ومتوحّش على نمط حديث ولا حاجة لشرح هذا التوحّش .

وامّا ما نراه في سلسلة الأنبياء والأولياء فهو القساوة المقدّسة ، فبما انّها منقادة ومطيعة للرحمة والهداية فهي مصطبغة بلون الرحمة .

القرآن الكريم يذكر هذين النموذجين ، فيُثني علىٰ الأنبياء والأولياء باعتبارهم اشخاصاً أصبح غضبهم مأموراً لرحمتهم ، ويعرّفهم بأنهم إذا انتصروا وتغلّبوا فانهم يعفون عن خصومهم .

وأمّا الذين جعلوا غضبهم قائداً لرحمتهم ، ومحبّتهم منساقة إلىٰ قهرهم ، فلابدّ أن يكون حبّهم تابعاً ومنصبغاً بصبغة القهر . القرآن الكريم يذكر هذا النموذج الثاني بكلامه عن سيرة السلاطين المشؤومة ويقول :

« ***إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةٍ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة وَكَذَلِكَ يَفْعَلُون*** »[(١)]

ورغم انّ صدر هذا الكلام ليس كلام الله أما ذيله فيحتمل أن يكون كلام الله ، ولو لم يكن الذيل أيضاً من كلام الله ، فالقرآن الكريم لا يذكر مطلباً الّا ليبطله لو كان باطلاً أو يمضيه ولو بالسكوت لو كان حقّاً ، إذن فسيرة السلاطين هي الظلم وغضبهم هو القائد لرحمتهم ، وحتّىٰ الموارد التي

---

(١) سورة النمل : الآية ٣٤ .

يظهر فيها حبّهم فهو في الحقيقة حقد وقهر .

أمّا الأنبياء والأولياء فيقول عنهم : « *وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ* » (١) .

كما ورد ذلك في سيرة الرسول الأكرم (ص) ، فعندما فتح مكّة وفتح بذلك شبه جزيرة العرب ، خاطب المغلوبين قائلاً : « *اذهبوا فانتم الطلقاء* » (٢) ، ورغم اصابة الرسول (ص) في بعض الحروب بعدة اصابات ، الّا انّه رفض لعن المشركين عندما عرض عليه ذلك وقال : « *لم أبعث لعّاناً بل بُعثت داعياً ورحمةً ، اللّهم اهد قومي فانّهم لا يعلمون* » (٣)

وهناك نموذج آخر نجده في حياة عيسى بن مريم (ع) .

السّر في انّ عيسى بن مريم (ع) عُرف في الدّنيا بأنّـه نـبيّ المـحبّة والسلام ، لا يكمن في كونه (ع) من معارضي الحرب ، ولا من حيث أنّه لم تكن له رغبة بالسياسة والحكومة بل بسبب قيادة رحمته لغضبه .

وأساساً لا يمكن أن يكون الشخص نبيّاً وفي نفس الوقت لا يرغب باقامة حكومة .

والسّر في حاجة المجتمع إلىٰ النبيّ هو السّر في الحاجة إلىٰ تـدوين وتنظيم القانون ، والدليل العقلي علىٰ انّ المجتمع الانساني يحتاج إلىٰ نبيّ هو

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري : ص ١٦٤٢

(٣) صحيح مسلم : كتاب البرّ ، الحديث ٨٧ .

عدم امكانيّة وجود المجتمع من دون قانون وحدود ، والبشر لا يمكنه تدوين القانون والحدود القانونيّة ، فكما أن الانسان نفعي في القضايا العمليّة فهو كذلك في طرحه لآرائه حول القانون . فعندما يدوّن قانوناً فهو ينظر إلىٰ مصلحته ، فلابدّ ان يكون هناك مبدء مقتدر منزّه عن الربح والخسارة كي يتولّىٰ تدوين القانون .

وهذا البرهان العقلي ورد في الكثير من التعبيرات الدينيّة .

في الحديث الوارد عن الامام الصادق (ع) عندما سئل عن حاجة المجتمع إلىٰ الأنبياء (عليهم السلام) قال (ع) : إنّا لمّا أثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ، ولا يلامسوه ، فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه ، ثبت انّ له سفراء في خلقه ، يعبّرون عنه إلىٰ خلقه وعباده ، ويدلّونهم علىٰ مصالحهم ومنافعهم ...[١]

وهذا هو البرهان المعروف لدىٰ الفلاسفة والذي أخذوه عن أهل البيت (ع) كان قد صاغه الامام الصّادق (ع) ونظّمه بجعله حكمة الله تعالىٰ الحدّ الوسط لهذا البرهان .

إذن حاجة البشر إلىٰ النبي هي من أجل القانون وإجراء الحدود ،

---

(١) اصول الكافي : ج ١ ، ص ١٦٨ ـ علل الشرائع : ج ١ ، ص ١٢٠ ، مع اختلاف بسيط .

وهذه تستلزم الحكومة حتماً ، لانّ القانون إذا لم يطبّق فهذا يعني الهرج والمرج « *فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ* »[(١)] .

إنَّ تطبيق القانون مستحيل بلا وجود الحكومة ، يعني من غير الممكن اجراء القانون بدون قوّة مسلّحة ، مثل اجراء قانون الاعدام وقانون الحبس والتعزير والقوانين الجزائية وأمثال ذلك . فهذه كلّها بحاجة إلىٰ السياسة والقدرة .

إذن ، فمن غير الممكن أن يبعث نبي بدون حكومة ، فالحكومة موجودة في متن رسالة ذلك النبي ، غاية ما في الأمر أنَّه تارة ينجح في إقامة الحكومة في مدّة طويلة ، وتارة في مدّة قصيرة ، والّا فان النبيّ إذا كان من أهل النصيحة والموعظة فقط ، فهو غير النبي الّذي أدرك العقل ضرورته ، وغير النبي الّذي اثبت الشرع ضرورته . لأنَّه لا يمكن أن يبعث نبي بدون حكومة ، ولا يمكن تشكيل حكومة مع عدم اجراء الحدود . أجل ، من الممكن أن يكون هناك نبي مسؤول عن تشكيل الحكومة ، مع وجود نبي غير مسئول عنها يؤمن بذلك النبي الزعيم والمسئول ، وعلىٰ كل حال فالقهر لابدّ منه ، ولكن بما انّ الأنبياء هم المثل الأعلىٰ لسبق الرحمة على الغضب والعفو علىٰ القهر ، لذلك يقال عنهم أحياناً انّهم دعاة سلام لا دعاة حرب .

إنّ قسماً من هذه التعبيرات حول النبي عيسى (ع) هي من تأثير

---

(١) سورة ق : الآية ٥ .

الاعلام السيّء والتبليغات المضادّة ، وهكذا في مقولة انّ الدّين لا علاقة له بالسياسة ، فهذا أيضاً من الاعلام المشوّه ، وكذلك القول بأنَّ المسيحيّة لا دخل لها بالسياسة ، وانّ الكنيسة ليست لها علاقة بالحكومة ، فيجب أن نرى ما هي الرسالة الأساسيّة للمسيحيّة والإنجيل وعيسىٰ ، ولا ينبغي لنا من أجل معرفة سيرة الأنبياء الإلهيّين أن نرجع إلىٰ المراكز الاستعماريّة ، مثلاً لا ينبغي مطلقاً أن نأخذ رسالة المسيح (ع) من الكنيسة الواقعة في قبضة طلّاب الدنيا ، كما انّكم شاهدتم ذلك في تاريخ الثورة الاسلامية ، ففي أحد الأيام أرسل الاستكبار العالمي أحد زعماء المسيحيّة إلىٰ الامام الراحل (ره) حتَّىٰ يترك الشاه وشأنه ، وفي يوم آخر أرسل نفس هذا الأسقف إلىٰ لبنان حتَّىٰ يحرر الرّهائن من أيدي المسلمين ، فيعلم من ذلك ان الكنيسة تحت سيطرة امريكا .

إذا أردنا معرفة المسيح والانجيل والمسيحيّة فلا ينبغي ابداً أن نأخذها من الفاتيكان أو من الكنيسة أو من الانجيل المحرّف ، هؤلاء العلماء والأحبار الذين وضعوا أنفسهم علناً تحت ارادة السياسة الغربية المشؤومة .

والذين يقومون بالأعمال الجاسوسيّة في أخذهم الاعتراف من الناس وفي كل يوم تناط بهم مهمّة خاصة من قبل أسيادهم ويأخذون أجورهم من أمريكا وأمثالها ، هؤلاء ليسوا ورثة المسيح (ع) أبداً .

إذا أردنا أن نفهم ماهيّة رسالة الانجيل ؟ وما هو كلام المسيح (ع) ؟

وما هو دين هؤلاء ؟ فالطريق الوحيد لذلك هو مراجعة القرآن الكريم ـ ولا حاجة لمراجعة الشافعي حول أمثال هذه المسائل ـ.

إذاً ، فالانجيل المحرّف لا يشتمل علىٰ شيء حتّىٰ نقتنع به ، هذا الكتاب الّذي نسب إلىٰ الأنبياء العظام كثيراً من الانحرافات فقد بذلك صلاحية تعريف الأنبياء ، فلو أردنا معرفة المسيحيّة فلا سبيل الىٰ ذلك سوىٰ القرآن .

فلولا القرآن لم تكن المسيحيّة ولا اليهوديّة ، لانّ تلك اليهوديّة الموجودة علىٰ الأرض اليوم ، وتلك التوراة الموجودة حالياً لدىٰ بعض الناس ، وتلك المسيحيّة التي تعيش في هذا الزمان وذلك الانجيل المحرّف الموجود لدىٰ البعض ليس هو الدين الّذي يقبله العقل ويقرّه العلم ، الدين الّذي ينسب المعاصي إلىٰ الأنبياء ، ويصرّح بمصارعة الله تعالىٰ ليعقوب(ع)، ليس جديراً بالبقاء ، وعندما جاء القرآن أحيىٰ المسيحيّة ، وأعاد كرامة الإنجيل ، وأحيىٰ اليهوديّة وأعاد للتوراة قيمتها ومكانتها .

واعتبر سلسلة الأنبياء كلّهم معصومين ونزههم عن الذنوب وأحيىٰ الأديان السماويّة .

فلولا القرآن لم يبق هناك دين علىٰ الأرض ، ولو أردنا معرفة المسيحية لابدّ أن نرجع إلىٰ القرآن لنرىٰ كيف يعرّف المسيحيّة وكيف يعرّف الانجيل ، فنرىٰ انّ الله عزوجل يقول في القرآن الكريم عن المسيحيّة وعن

عيسىٰ (ع) أنّه جاء «مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْه»[١].

فعيسىٰ (ع) أيّد الأنبياء وخاصّة موسىٰ (ع)، والنقطة البارزة في حياة موسى (ع) هي إقامة الحكومة والجهاد الطويل، ومواجهته لآل فرعون وجهاده ضدّهم وأمثال ذلك، فقد جاء المسيح وصدّق سنّة موسىٰ (ع). فقال أنّ الحرب ضد آل فرعون حق، وتحمّل صعوبات الجهاد الطويل حق.

بالإضافة إلىٰ ذلك، هناك سورة في القرآن الكريم باسم سورة الصف وهي بالحقيقة سورة الحرب، لانّ هذه السورة تفتتح الحديث عن الحرب، وفي آخر السورة تتحدّث عن الحرب كذلك، ووسطها أيضاً حثّ علىٰ الحرب، فأوّل ما ورد في هذه السورة: «إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ»[٢].

وفي آخر السورة ورد أيضاً:

«يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللهِ قَالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللهِ، فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ، فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهم فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ»[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧ ـ الأحقاف: الآية ٢٠ ـ آل عمران: الآية ٣ ـ المائدة: الآية ٤٦ و٤٨ ـ فاطر: الآية ٣١.

(٢) سورة الصف: الآية ٤.

(٣) سورة الصف: الآية ١٤.

فالله عزوجل يأمرنا أن نكون مثل حواريي عيسىٰ (ع) وتلامذته الخاصّين.

حواريو عيسى (ع) كانوا خاصّة أصحابه، وهم العرفاء الذين ربّاهم عيسى (ع) فعندما رأىٰ المسيح انّ الكفر آخذ بالانتشار، قال: «من أنصاري إلىٰ الله» فقال الحواريون، يعني اولئك العرفاء الذين تربّوا علىٰ يد المسيح، وخواص الأصحاب: «نحن انصار الله» ونحن انصارك الحقيقيون، يقول الله عزّوجل: عند ذلك آمنت طائفة وكفرت طائفة فاستعر بينهما القتال فأيّدنا الحواريين والعرفاء وخاصّة الأصحاب وخالص المؤمنين علىٰ عدوّهم فانتصروا عليهم.

ويقول في مكان آخر:

« فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » [1].

وفي منتصف هذه السورة نجد الحديث عن التجارة الالهيّة:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » [2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٢) سورة الصف: الآيات ٩ ـ ١٠.

وبذلك يتّضح من هذه السورة انّ المسيح (ع) كان ذا روح ترفض المساومة . ولكنّ هذه المسيحيّة التي تقر الجهاد الطويل لموسىٰ الكليم (ع) وجهاد المجاهدين في زمانه ، عندما وقعت في أيدي أصحاب الانجيل المحرّف ، تعالت منها النغمة المشؤومة الداعية لفصل الدين عن السياسة . فتارةً لذريعة اعتكافنا في الكنيسة ولا علاقة لنا بالحكومة ، وتارةً يجعلون أنفسهم عملاء للأجانب خفية .

والخلاصة انّنا إذا أردنا أن نعرف الانجيل الحقيقي ورسالة المسيح ودين المسيحيّة فيجب أن نأخذها من القرآن فقط ، فلا معنى لقولهم بأنّ المسيح لا يرغب بالحرب والمسيحيّة لا تحبّذ القتال ، بل وطبقاً لذلك البرهان العقلي والشاهد النقلي كان المسيح (ع) يؤيّد الحرب .

إذاً ، فعندما نقول انّ الشخص إذا أصبح عارفاً تغلب رحمته غضبه . فليس بمعنى أنّه لا يغضب ، فمن لا يغضب لا يمكنه أبداً ايصال رسالة الله إلىٰ النّاس . هؤلاء الذين يقولون ان لا علاقة للدّين بالسياسة أو انّ العرفان لا يرتبط بالثورة ، أو انّ الأخيار من الناس لا رغبة لهم بالحرب ، انما يسلبون الرحمة الغالبة ويقدّمون الامام بدون المأموم ، ولا يعترفون بالغضب التابع للرحمة ، ولذلك يقولون انّ ذكر الله أفضل من القتل في سبيل الله ، فلو صحّ هذا الكلام وكان قابلاً للتبرير فينبغي تبريره ، كما ورد ذلك في النصوص العرفانيّة ، ووردت شواهد لتبرير وتصحيح أمثال هذا الكلام ، والّا فهو

مرفوض .

إن دعاء عرفة لسيد الشهداء هو عرفان بأجمعه ، و ادعية سيد الشهداء في ليلة ويوم عاشوراء عرفان كذلك ، طلب المهلة للدعاء والصلاة في ليلة عاشوراء علامة العرفان ، وقال (ع) في ليلة عاشوراء : امهلونا لكي نصلّي ، « وهو يعلم انّي احبّ الصلاة له وكثرة الدعاء والاستغفار »[(١)] .

العارف حبيب الصلاة ، وعينه تقرّ بالصلاة والدعاء والمناجاة ولم يكن سيد الشهداء وحده علىٰ هذه الحال ، بل انّ جميع أصحابه الأوفياء كانوا كذلك : « *لهم دويٌّ كدويّ النحل* »[(٢)] .

انّ مناجاتهم وركوعهم وسجودهم علامة عرفانهم الأصيل ، ورجزهم واشعارهم في ميادين القتال هي علامة الحماسة والثورة .

اذاً العرفان الأصيل منسجم مع الحماسة ، فلابدّ أن نفرّق بين الانزواء عن الدنيا والانزواء عن خلق الله ومن خدمتهم . فما هو مقدّس جداً هو الانزواء عن الدنيا ، لا الانزواء من خلق الله وعن خدمتهم في سبيل الله .

وقول أمير المؤمنين (ع) : لقد عزّ عليّ جدّاً عدم سماحهم لي بأن أقود المجتمع ، انّما يعبّر عن هذا الشيء حيث يقول : « *فصبرت وفي العين قذىٰ وفي*

---

(١) ارشاد القلوب (للديلمي) : ص ٢١٤ .

(٢) نفس المهموم (للمحدّث القمي) : ص ٢٢٣ .

الحلق شجىٰ أرىٰ تراثي نهباً »[١] . كلمة (الشجىٰ) تقال لما يبقىٰ معلّقاً في الحلق وانما يقال غُصّة لهذا السبب ، فيقول الامام (ع) انّي تحملت الشوكة في عيني وصبرت وتعلّق العظم في حلقي وصبرت لا أملك حيلة ، بمن أقاتل أنا أريد احياء الدين . انّ مجرد القتل لا فخر فيه ، فهل يحتمل أحد ان أمير المؤمنين (ع) يخشىٰ الموت ؟ ولكن امير المؤمنين قال : انهم عملوا عملاً بقيت فيه أنا وأهل بيتي والخاصة من أعواني وأقاربي ، ولذلك ضننت بهم ولم أكن مستعدّاً لأن يقتل هؤلاء ، لأني لو برزت بهم للقتال لقُتلوا من غير أن يتركوا وراءهم أي تأثير . فلذا صبرت علىٰ ذلك وحفظتهم حتّىٰ تنمو دماؤهم ثم تسفك[٢] .

هذا ما يقوله الامام علي (ع) والّذي لا تساوي الدنيا عنده عفطة عنز ولكنه يقول انّ بذل الدماء لابدّ أن يكون بحساب ونحن لا نبذل الدم الّا عندما يحيىٰ بذلك الدين وينتبه بذلك الناس ، والآن إذا قتلنا الأعداء في المدينة ،ثم لبسوا علينا السواد وحضروا في مآتمنا ، فانّ دمنا سيذهب هدراً ويضيع ، ولذلك بخلت وقلت ليس الآن وقت ذلك .

وعندما وصل الدور إلىٰ سيد الشهداء تبدّل هذا البخل إلىٰ سخاء بحيث أنّه لم يبق شيءٌ الّا وبذله لأنّ الشهادة هنا لها أثرها .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٣ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٦ .

لو كان الشخص من أهل العرفان فانه سيسعىٰ لإيصال رسالته إلىٰ الناس حتّىٰ آخر لحظة ، ويوقظ الناس حتّىٰ يعرجوا إلىٰ الله سويّة ، يعني أنّه يتوجّه إلىٰ الله ويوجه غيره . قال المسيح (ع) أيضاً : « *مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ* »[1] يعني انّي الآن ذاهب إلىٰ الله فمن أراد الذهاب إلىٰ الله فليأت معي وحدّد الهدف من ذلك وهو (الله) . وقام سيد الشهداء (ع) أيضاً بنفس هذا العمل وقد أثمر أيضاً ، وكانت نتيجته انّه أيقظ العالم ، واحدىٰ ثمار كربلاء هي هذه الثورة العظيمة في ايران الاسلامية بقيادة الامام الراحل (قدّس سرّه) .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) سورة الصف : الآية ١٤ .



المحاضرة السابعة :

ان روح العارف لا تنسجم مع الحماسة فقط . بل انها تطبع الحماسة بطابع المعرفة ، وبهذا يستحيل علىٰ أهل المعرفة أن يكونوا مـن المسـالمين للظلمة أو من الخانعين للطغاة ، وأبرز أُنموذج للمعرفة والعارفين هم الأنبياء والأولياء الالهيّون كما انّ المصداق الكامل للحماسة هو سيرتهم التربويّة .

وكما اسلفنا في البحث السابق ان الفرق بين العارف وغير العارف هو ان غير العارف يتقدّم غضبه علىٰ رحمته ، بينما العارف تسبق رحمته غضبه ، ولذلك يكون العارف المظهر التام لـ(يا من سبقت رحمته غضبه) . فالعارف يستعمل الغضب في محلّه ، وهذا يعني أنَّه أولاً لا يخلو من غضب ، وثانياً : أنَّه يقوم بتعديل ، وثالثاً : يستعمله في محلّه ، وغير العارف لا يصل إلىٰ هـذا

المقام، فبالرغم من انّه يغضب ولا يخلو من الغضب ، لكنه لا يطبّع غضبه ويروّضه ، أو أنَّه يستعمله في غير محلّه ، كما أنَّه يسعىٰ مثلاً إلىٰ تمرير غضبه علىٰ انماط شتّىٰ منها التهمة والافتراء والغيبة والتشهير والتكفير وغير ذلك . فالانسان الجبان يغضب أيضاً ، لكنّه يكتم غضبه في باطنه ويكون اظهاره بأسلوب الغيبة والتهمة والتكفير ، ولا يمكن أن يكون الانسان بدون غضب، ولكن عندما لا يكون هذا الغضب مقتدياً بالرحمة والعقل فليس له نظام وتوجيه .

أمَّا أهل المعرفة ، فان غضبهم من أجل احياء دين الله فقط ، فهم لا يغضبون لأمر ذاتي ، ويرون ان الأمور الشخصيّة يمكن التسامح فيها لكنّهم لا يساومون علىٰ أمر من امور الدين . ومن لم يكن من أهل المعرفة ، فهو يغضب للأمور الشخصية ، وحتّىٰ لو كظم غضبه في باطنه فسوف يتحقق غضبه المضمر بصورة ملتوية .

فعندما نجد انساناً جباناً أو متحجّراً يحاول تكفير هذا أو ذاك وحينما نراه أيضاً يغتاب هذا أو يبهت ذاك فان هذه كلّها من فروع غضبه ، ولم يتمكن من اظهار غضبه برجولة بل يظهره علىٰ شكل افرازات غامضة من خلال الكلام والكتابة وأمثال ذلك .

وأمَّا أهل المعرفة فانّهم يستخدمون غضبهم في ميادين الحرب بكامل الرجولة فتراهم يزأرون ضد اعداء الدين غير متوانين عن المبارزة والصدام ، ولا يسمحون للغضب أن يبقى في باطنهم بصورة مخفية ليظهر ضد

معارفهم وأصدقائهم ...

بيّن الامام علي المسار الصحيح لإعمال الغضب ، وقال : أيها المؤمنون ، من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعىٰ اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلىٰ ، فذلك الّذي أصاب سبيل الهدى وقام علىٰ الطريق ، ونوّر في قلبه اليقين[١] .

فعندما يقول ذلك الشاب : كأني أرى عرش الرحمـن ، وكأني أرى الجنّة وأهلها والنار وأهلها ، فهو عبد قد نوّر الله قلبه بالايمان[٢] فهنا يقول امير المؤمنين (ع) : الانسان الّذي يقف امام الظلم بالسيف فهو عبد نوّر الله قلبه بالايمان ، فهذا الانسان وطبقاً لبيان أمير المؤمنين (ع) قلبه منوّر وهو انسان عارف والعارف هو صاحب القلب النوراني وهو مصداق هذه الآية : « *وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس* »[٣] .

وعندما يكون قلب العارف منوّراً ، فليس فقط ان قلبه تخلّص من الظلم والذنوب ، ولا يتصدّىٰ فقط لاشاعة الفحشاء والمنكر ، بل أنّه يتصدّىٰ للرذائل والظلم بالسيف ، وهذه هي الحماسة المجتمعة مع العرفان .

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٧٣ .
(٢) أصول الكافي : ج ٢ ، باب حقيقة الايمان واليقين .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

هذا من جهة البعد التكاملي والمتعالي للروح ، ولكن إذا اختارت الأمة السقوط والرذيلة ـ لا سمح الله ـ فعندها يقول أمير المؤمنين (ع) أيضاً :

« *أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم بألسنتكم ، ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ، ولم ينكر منكراً ، قُلبَ فجُعل اعلاهُ اسفلهُ ، وأسفلهُ أعلاه* » (١) .

أي احذروا من أن تغلبوا في قضية الثورة والجهاد ، فان أول الهزيمة أن يؤخذ السيف من أيديكم وعندما لا تتمكنون من الجهاد بالسيف ، ويُسلب منكم الجهاد باللسان تدريجياً وحينئذٍ يصل الأمر إلىٰ عدم التناهي عن المنكر ثم انكم بعدها تسلبون الجهاد بالقلب حينما لا تظهرون الانزعاج من الذنوب والمعاصي ولا تستقبحونها .

فلو رأىٰ شخصٌ معصيةً ولم يشعر بالمسؤولية أمامها ، فيجب عليه أن يحزن علىٰ نفسه لأنَّه فقد جميع درجات الجهاد ، فان أقلّها هو الازدجار القلبي بأن يزدجر الانسان قلبياً من الظلم والمعصية . بعد ذلك تأتي مرحلة الإزدجار اللساني ، حينما يتصدّىٰ للمعاصي آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وأعلىٰ من ذلك هو الزجر بالسيف حينما يقف أمام الفحشاء والظلم بيده .

الامام علي (ع) وهو المثل الأعلىٰ في العرفان يعتبر المعرفة هي القائد

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٧٥ .

للحماسة، جاعلاً الحرب والحماسة في ظل الرحمة والعرفان.

الامام السجاد (ع) يدعو للمقاتلين في خط المواجهة المتقدّم، ولكن دعاءه (ع) لم يكن من قبيل، إلهي ارجعهم إلىٰ أوطانهم سالمين، فبالرغم من أن هذا الدعاء مستحسن ومطلوب لشخص الانسان ولكنه ليس كذلك لنوع الانسان، لأنّ البعض لابدّ وأن يشرب من كأس الشهادة، الامام السجاد (ع) ـ وهو القدوة في جميع هذه المسائل ـ يخاطب الله عزوجل:

«أيما غاز غزاهم من أهل ملّتك أو مجاهد جاهدهم من اتباع سنّتك ليكون دينك الأعلىٰ وحزبك الأقوىٰ وحظّك الأوفىٰ ... ».

ثم يقول في مكان آخر:

« اللهم صلى على محمد وآله وانسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور، وامحُ عن قلوبهم خطرات المال الفتون »[١].

هذه هي حماسة العارف، إلهي أنسهم اسم الولد، وذكر الزوجة، والبيت وتذكّر الرجوع، حتّىٰ لا يشتغل فكرهم بهذه المسائل أبداً، الحرب التي يصفها لنا العارف هي حرب معرفة كسائر عباداته.

هذا التثليث الوارد عن أمير المؤمنين (ع) ورد أيضاً عن سيد الشهداء (ع) بأنَّ بعض الناس يعبدون الله عبادة التجّار والبعض الآخر

---

(١) الصحيفة السجادية: دعائه لأهل الثغور.

عبادة العبيد ، وآخرون يعبدون عبادة الأحرار [١] .

فمن كانت عبادته خوفاً من جهنم فهي عبادة العبيد ، ومن كانت عبادته شوقاً إلىٰ الجنّة فهي عبادة التّجار ، التاجر عبد للمصلحة وأما العبيد فهم عبيد الخوف ، فلا التاجر حرٌّ ولا العبد .

ثم يقول الامام علي (ع) : ان القسم الثالث هم الأشخاص الذين يعبدون الله لا خوفاً من جهنم ولا طمعاً في الجنّة بل من أجله وحباً له ويرونه اهلاً للعبادة ، فهذه هي عبادة الأحرار [٢] .

هذا هو الأساس العام في كل عبادة ، والحرب هي من أفضل مظاهر العبادة ، والمنشأ للحرب هو الغضب . الانسان الزاهد يستغل غضبه في طريق خاص ، وإذا كان الانسان عابداً يستعمل غضبه في طريق خاص كذلك ، وإذا كان الانسان عارفاً فاستعماله للغضب يكون في سبيل الحق تعالىٰ .

الأشخاص الذين كانوا مخالفين للحرب والقتال في أعوام الدفاع المقدّس الثمانية التي شهدتها الجمهورية الاسلامية كان لديهم غضب ، ولكنهم بدلاً من أن يوظفوا غضبهم هذا ضد صدام وحزبه وظفوه في تكفير هذا وتفسيق ذاك أو في التهمة واغتياب الآخرين .

---

(١) البحار : ج ٧٨ ، ص ١١٧ عن تحف العقول .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم رقم ٢٣٧ .

فالشخص الذي يغتاب فهو في الحقيقة يمارس غضبه ، وكذلك من يتّهم الغير ، وهكذا من يستعمل اسلوب التكفير أو التفسيق فهي بدوافع من الغضب ، وبما أنَّه لا يملك الرجولة الكافية للتنفيس عن غضبه في ميدان القتال ضد صدام ، فانه يمارس غضبه ضد قواتنا بصورة صمت تآمري وأمثال ذلك ، فهو عبدٌ للخوف . فبالرغم من امتلاكه لقوة الغضب ، الاّ أنَّه وبدلاً من أن يستعمل هذ الغضب استعمالاً ثورياً ضد أعداء الإسلام قلبه وحوّله إلىٰ تهم موجهة إلىٰ قواتنا . فهو علىٰ غير معرفة في كيفية تصريف غضبه . وحتَّىٰ عندما يقاتل فانّما يقاتل خوفاً من جهنم أو شوقاً إلىٰ الجنّة . أمَّا رجال الحرب الذين يطلبون الشهادة فهم يزحفون نحو ميادين القتال شوقاً الى نيران الحرب ، فلو كان الخوف من النار هو الدافع لهم لما استقبلوا تلك النيران ولما قاتلوا .

العارف يحارب حتَّىٰ يتحرر ويحرّر ، ولكن العابد يقاتل حتَّىٰ لا يحترق ، هذا هو الفرق بين ثوريّة العارف وغير العارف .

الامام علي بن الحسين (ع) بالرغم من أنَّه أمضىٰ المسافة بين كربلاء إلىٰ الشام بالسكوت ،ولكنّه كان مترنماً بذكر الحق تعالىٰ .

فلم يتحدّث مع أحد سوىٰ أهل البيت (عليهم السلام) ، ولكنّه عندما تحدّث في الشام ، قال للناس : نحن وإن لم نذهب هذه السنة الى منىٰ ، ولم نَبِتْ فيها ونذبح كبشاً ولكنّ منىٰ لنا ، فنحن قد أحيينا منىٰ « *انا ابن* مكّة

ومنىٰ أنا بن زمزم والصفا » من يضحّي بكبش في منى فليس معنى ذلك أنَّه يملك منىٰ ، أمَّا الشخص الّذي ضحّىٰ في سبيل الله بأبيه وأخيه فانّ منىٰ تكون له ، وهو الّذي يعطي درس الشهادة ، فكم من الأشخاص الذين قد ذهبوا في هذا العام إلىٰ مكة وذبحوا القرابين من الأغنام والابل ، ولكننا نحن لم نذهب إلىٰ منىٰ ومع هذا فانّ منىٰ لنا[1] .

في فاجعة الجمعة السوداء الدامية لآل سعود في تاريخ ١٣٦٦/٥/١٠ للعام الهجري الشمسي ، والمطابق لـ(١٤٠٧) قمري ، حينما تخضّب (٤٠٠) شخص بدمائهم وشربوا كأس الشهادة ، فرغم عدم ذهابهم الى منىٰ وعدم تقديمهم للأضاحي ، ولكن منىٰ لهم ، لانّ أرض منىٰ هي ميدان الشهادة وهؤلاء أحيوها ، يقول الامام السجاد (ع) : لقد أعطيت أبي وعمّي وأخي وجملة من اصحابنا وقدّمنا الأسرىٰ والمفقودين . ولهذا تكون منىٰ لنا .

فأنا وارث منىٰ والصفا والمروة وزمزم والكعبة ، نحن أحيينا الكعبة ، نحن أحيينا مكة ، نحن حفظنا حرمة الحج واعطيناه مكانة سامية ، والاّ فان تقديم الأضاحي من الخراف مسألة سهلة جداً ، ذبح الأغنام في أيام منىٰ له سابقة ممتدّة وقديمة جداً في التاريخ ، حيث كان قبل الإسلام واستمر ما بعد الإسلام ، ولكن منْ يضحّي بِبُدْنَةٍ أو ببقرة أو بكبش لا يكون وارثاً لمنىٰ ، أمَّا نحن الذين قدّمنا الشهداء المخلصين فان منىٰ تكون لنا .

---

(١) البحار : ج ٤٥ ، ص ١٣٧ .

تعجّب أهل الشام من ذلك ، لأنَّ ادعـاءات هـذا الأسـير المـقيّد بالأغلال كبيرة جدّاً . فمن يكون هذا يا ترىٰ ؟ عندها أفصح لهـم الامـام السجاد عن شخصيّته فقال :

نحن أهل بيت الوحي ، والقرآن نزل في بـيوتنا وانّ مـن مـفاخرنا الشهداء الذين استشهدوا في صدر الإسلام ، فهل عرفتم ابن من أنا ؟

أنا ابن فاطمة الزهراء ، تلك المرأة التي حازت هذه المنزلة العظيمة بحيث انّ الامام السجاد (ع) يفتخر بها وهو علىٰ المنبر وفي مسجد الشام .

ثم استمر (ع) في تعريف نفسه : ومنّا جعفر الطيّار وكبار الشهداء في صدر الإسلام ، فنحن من أهل بيت الشهادة .

لقد وضع الامام السجاد (ع) بهذا أساس المطلب وهو ان حماسة العارف هي انْ يبذل دمه المقدّس في سبيل الدين .

هناك الكثير من الأشخاص قتلوا واستشهدوا ولكن الله عزوجل لا يكون ديّتهم .

فالشهيد عندما يصل إلىٰ أوج العظمة يصل إلىٰ مقام « *إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ* »[1] أمّا الدم الوحيد العظيم الدية الّذي لا يكون في مقابله شيء الّا الله عزوجل فهو دم علي وأولاد علي عليهم أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) سورة القمر : الآية ٥٤ .

فعندما يُقال: « *يا ثار الله وابن ثاره* »[١] فالمقصود هو هذا المعنىٰ، يعني انّ دم علي بن أبي طالب غالٍ إلىٰ درجة أنّه لا تعدله ديةٌ الّا الله عزوجل وفي درجة القرب النهائي. حتّىٰ ان الجنة تشتاق لهذا الامام. فكذلك وصل الحسين بن علي (عليهما السلام) إلىٰ هذا المقام السامي الّذي أصبحت ديته فقط لقاء الله لا غيره.

فعندما نقول انّ العارف هو أهل الحماسة نقول هذا لأنّ دمه أُريق في سبيل « *لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا* »[٢] والامام السجاد (ع) يقول: نحن بذلنا الدماء حتّىٰ اصبحت جميع المراكز الدينية ملكاً لنا. فنحن نرثها جميعاً، فذهاب الآخرين إلىٰ مكة انما هو ببركة دمائنا. وكلّما اتّجه الناس إلىٰ منىٰ وقدّموا القرابين وهكذا إلىٰ يوم القيامة فما اتّجهوا ولا قدّموا ولا انتفعوا الّا بميراثنا، فنحن الذين قمنا ونهضنا وأحيينا هذا الميراث ورجعنا.

وعندما سأل ابراهيم بن طلحة الامام السجاد (ع) في الشام يا علي بن الحسين من غلب؟ فقال (ع): إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن وأقم. أي انظر من يُذكر في الأذان والاقامة؟ فنحن الذين ذهبنا وأحيينا اسم النبي الأكرم (ص)، لأنَّ بعض الناس أراد أن يستبدل باسم الأنبياء والأولياء اسم الأمويين، فنحن الذين تصدّينا لهذه المؤامرة

---

(١) زيارة الامام الحسين ـ مفاتيح الجنان.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠ ـ نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٧٣.

بدمائنا ولن نأسف علىٰ ذلك[١] .

العارف عندما يتحدّث عن الحرب يتحدّث عنها لا خوفاً من النار ولا شوقاً إلىٰ الجنّة بل حبّاً لله .

يقول الامام السجاد (ع) في دعائه : « *واجعل فكره ، وذكره وظعنه واقامته فيك ولك* »[٢] أي إلهي ، انّ هؤلاء المجاهدين قد تقدّموا للجهاد في سبيلك ، فلا تمح ذكر الدنيا والأهل والعيال من قلوبهم فحسب ، بل اجعل فكرهم وذكرهم واقامتهم وحركتهم وسكونهم وبقاءهم وذهابهم ، وقيامهم وقعودهم ، وهكذا جميع أمورهم فيك و لك وحدك لا غير .

فلم يقل (ع) : في سبيلك ، فليس الكلام عن حذف المضاف .

وعندما يقول امير المؤمنين (ع) : « *آه من قلّة الزاد وطول السفر وبعد الطريق* »[٣] وأمثال ذلك ، فما هو هذا السفر البعيد . والمسافة الطويلة ؟

هل هو السفر إلىٰ الله ؟! انّ هذا السّفر قد وصل علي (ع) إلىٰ نهايته وقال : « *ماكنت أعبد رباً لم أره* »[٤]؟ فالسير إلىٰ الله لا تأوّه فيه ، بل التأوّه يكون في السفر في الله الّذي ليس له حد ولا نهاية ، السير من الله وإلىٰ الله هو

---

(١) أمالي الطوسي : ص ٢٩٠ ـ نفس المهموم : ص ٤٣٤ ، ط قم ١٤٠٥ هـ.

(٢) الصحيفة السجادية : دعائه لأهل الثغور .

(٣) نهج البلاغة : قصار الحكم ٧٧.

(٤) أمالي الصدوق : مجلس ٥٥ ـ أصول الكافي : ج ١ ، باب ٢٢ ، وباب ٩٠ ـ التوحيد للصدوق : ص ٣٠٨.

الّذي لا نهاية له، والتأوّه هنا للذوبان في جمال الله وجلاله، وهذا السّفر عند علي (ع) هو الذي يتطلّب كثرة الزّاد. إنَّ من سلك هذا الطريق يقول: ان محبة الله هي الراحلة والتقوىٰ هي الزاد، الانسان السالك لا يستطيع السفر بدون زاد وراحلة. « *وتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّاد التَّقْوىٰ* »[1].

فاذا أراد الانسان أن يتزوّد بالمتاع لهذا الطريق فيجب عليه أن يتزوّد بالتقوىٰ، والمحبة هي واسطة النقل للسالك إلىٰ الله، وهي النفحة التي تجذبه والشوق الّذي يقودُهُ، والمحبّةُ لا تُنال بدون المعرفة، العارف هو المحبّ. العارفُ هو الّذي يقول (بيت شعر):

ألا يا أيّها السّاقي أدِر كأساً وناولها

فالعشق يبدو سهلاً في البداية ولكنه بعد ذلك تظهر مشكلاته[2]

أحياناً تطرأ علىٰ الانسان حالة يقرّر فيها فجأة أمراً خطيراً يطرأ علىٰ ذهنه فبمجرّد أن تحصل لديه تلك الحالة يكون التّصميم سهلاً، فحالة العشق هذه تُسهّل كلّ تصميم.

وبما انّ هذه الحالة غير دائمية ولا مستمرّة، فلو أراد شخص الاستمرار علىٰ هذه الحالة فسوف يجد صعوبةً بالغة. هذا هو حال السالك المجذوب، أي ان الانسان تطرأ عليه أولاً حالة الشوق والجذب والعشق،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.
(٢) ديوان حافظ الشيرازي.

ويُصمّم علىٰ الاستمرار في هذا الطريق ، وبما انّ هـذه الحـالة غـير قـابلة للاستمرار فعندها يلاقي صعوبة في مواصلة هذا الطريق . ولهذا يكون العشق سهلاً عند بدايته وبعدها تبدأ صعوبة الطريق ، بينما الانسان المجذوب تماماً ، الذي يعيش حالة الشوق دائماً فلا يشعر بالصعوبة .

وهذا الّذي يقوله الامام السجاد (ع) في دعائه لأهل الثغور « *فلقهم اليُسر* » إلهي ارزق محبّتك من سار بذكرك وعرفه لأجلك ، حتى يقطع هذا الطريق بسهولة ، ولا يقول انّ طريق العشق كان سهلاً في البداية ثم صار صعباً ، لأنَّه في البداية كان العشق شوقاً وهو درجة أقلّ من العشـق ، ولا يخلو الشوق من الصعوبة ، في حين ان العشق هو الّذي يحل جميع المشكلات ، ويقول (ع) : إلهي اجعل هؤلاء عاشقين حتّىٰ يجـاهدوا بـاسمك ويـقاتلوا لأجلك .

وكما تقدّم أنّ الامام الصادق (ع) نقل عن النبي الأكرم (ص) أنَّه قال : « *أفضل الناس من عشق العبادة وعانقها* »[(١)] أي اعتبر العبادة كأنها صديق يعانقه . لأنّ العبادة لها درجات وشؤون ، وأحد أبرز مظاهر العـبادة هـي الحرب ، وأفضل المحاربين والمقاتلين هـم الذيـن يـعكفون في الجـبهات ويعشقونها ، وهكذا تكون حماسة العارف ، وهكذا يكون العرفان الحماسي .

والمثال والمصداق الأكمل لذلك هـم الائمـة المـعصومون (عـليهم

---

(١) أصول الكافي : ج ٢ ، باب ٤٢ ، ح ٣ .

السلام) ومن أتباعهم الحقيقيين في عصرنا هذا الامام الراحل (رض) الّذي تحدّث في وصيّته السياسية الالهية عن المناجاة الشعبانيّة ، حيث محور البحث فيها هو كمال الانقطاع ، وكذلك عن دعاء عرفة والّذي يقول : « *أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متىٰ غبت حتّى تحتاجَ الى دليل يدلّ عليك ، ومتىٰ بعُدتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً* »[١] وكذلك يذكر عن الصحيفة السّجادية والتي ورد فيها : « ***واجعل فكره وذكره ظعنه وإقامته فيك ولك*** »[٢] وكذلك يتحدّث عن الصحيفة الفاطميّة إذ أنَّ فاطمة الزهراء (س) هي المصداق البارز للثورة والحرب ضدّ الظالمين .

نحن نرىٰ في خطبة فاطمة الزهراء (س) التي بقيت لنا مناراً وصراطاً، والتي تعادل مقدار جزء من القرآن تقريباً[٣] ، كيف أنها استجوبت الحكومة آنذاك ، وقرأت هذه الآية في صدر خطبتها : « *أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُون* »[٤] يعني انّ الناس إذا لم يعملوا بحكم القرآن فحكومتهم حكومة جاهلية حتّىٰ لو كانت مصبوغة بصبغة الدين . فالّذي أوردته (س) في صدر الإسلام بكل جرأة وشجاعة ، والذي تدعو

---

(١) دعاء عرفة للامام الحسين (ع) .

(٢) الصحيفة السجادية ـ دعائه لأهل الثغور .

(٣) الاحتجاج (الطبرسي) : ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥ .

فيه من جهة إلىٰ حكم التوحيد والحذر من الشرك والميل إلىٰ اعـداء الله ، والّذي تبلور الآن بشعار لا شرقية لا غربية ، أحيَتْ في الجميع من جـهة أُخرىٰ روح الصمود وجعلتنا نحبّ الحرب والمحاربين كي لا يتصوّر العدو بأن الضعف يسري فينا فيستفيد من هذه الحالة مستغلاً للتراخـي الّـذي أصابنا لصالحه .

الامام السجاد (ع) الّذي يُعدّ مثلاً أعلىٰ للعرفان من خلال تـقديمه الصحيفة السجاديّة ، قد أظهر ثورته في الشام وأظهرها في الكوفة أيـضاً ، ولكن بما انّ المصلحة لم تكن تقتضي بأنْ يكون شهيداً مع الشهداء في كربلاء ولذا عندما اقترب المساء من ليلة عاشوراء قال عـلي بـن الحسـين (ع) : « فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم وأنا إذ ذاك مـريض فسـمعت أبي يـقول لأصحابه (بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه) ... : ألا وانّي لا أظنّ يوماً لنـا مـن هؤلاء ألا وانّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، فقال له أخوته وأبناؤه وبـنوا أخـيه وأبناء عبد الله بن جعفر لم نفعل ذلك لنبقىٰ بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً بدأهم بهذا القول العباس بن علي(ع) واتّبعه الجماعة عليه فتكلّموا بمثله ونحوه »[١] .

وكذلك قال الامام زين العـابدين (ع) : « انّ حـبيب بـن مـظاهر الأسدي سأل أبي : هل انّ ولدك زين العابدين يستشهد ايضاً ، فقال (ع):

---

(١) ارشاد المفيد : ص ٢٣١ .

إنَّ زين العابدين (ع) لن يستشهد في كربلاء، لأنَّ قضاء الله وقدره اراده أن يكون أباً لثمانية ائمة، وإلّا لاستشهد، لأنَّ نفس هذا الامام وبالرغم من انهم سجنوه بالكوفة وقيّدوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال، ومع ذلك يقول في قصر الامارة: « *أبالقتل تهددنا، فانّ كرامتنا الشهادة* »[1]، وهكذا نجد انّ صاحب المناجاة والصحيفة السجادية يقول في قصر الامارة ان الشهادة هي كرامة لنا.

وفي الشام يقول نحن لسنا وارثي الطواف فحسب: بل ورثة منىٰ أيضاً.

فأوّل ما يتحدّثُ عنه ميراث أرض الأضاحي أي بالرغم من أننا لم نذبح كبشاً ولكننا أحيينا ذلك المشهد ومكان شهادة الشهود، وبما انّنا أحييناه فهو لنا ومنسوب الينا، لأنّ: « *من أحيا أرضاً ميتةً فهي له* »[2] انّ أرض منىٰ هي أرض موات، ونحن أحيينا هذه الأرض برقدة شهدائنا، نحن أحيينا مكة التي فيها البراءة من المشركين، فمن لا يتولّانا ولا يستمسك ويفتخر بنا فانّ الله لا يعطيه الأمان حتّىٰ وان كان في داخل الكعبة ولذلك جرىٰ علىٰ ابن الزبير ما جرىٰ وهو الّذي لم ينصر الحسين بن علي[3]، فعندما تحصّن في داخل الكعبة، نصب له بنو أمية المنجنيق علىٰ جبل أبي

---

(١) نفس المهموم (الشيخ القمي): ص ٤٠٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٣٢٧٠.

(٣) راجع نفس المهموم: ص ١٦٧.

قبيس ، وهدموا الكعبة بأحجار المنجنيق ثم قبضوا علىٰ ابن الزبير وصلبوه[١] ، فمن لم ينصر ابن الكعبة وامام زمانه ، لن يكون في أمان حتى لو تحصّن في داخل الكعبة . هذه الكعبة الموجودة ليست أكثر من أحجار وطين وقد بنيت مراراً .

فعندما جاء ابرهة إلىٰ مكّة أراد أن يمحو الكعبة لم يسمح له الله تعالىٰ بذلك ، وأمّا الجيش الأموي والمرواني فانّه لم يكن يقصد محو الكعبة ، بل أراد القبض علىٰ ابن الزبير ، ولذلك أمهلهم الله عزوجل حتّىٰ هدّموا الكعبة وقبضوا علىٰ ابن الزبير ، ليعيدوا بناءها بعد ذلك أو تُبْنَ من جديد .

يقول الامام السجّاد (ع) : نحن أحيينا الكعبة في جهادنا بكربلاء ، فمن لم ينصرنا لن يجد الأمان حتّىٰ ولو تحصّن في داخل الكعبة ... نحن أحيينا هذه الأماكن المقدّسة وبالتالي فهي من ميراثنا ، فمن يُرد أن ينال نصيباً أو حظاً منها فيجب أن يتعلّم منّا .

والخلاصة انّ العارف يقاتل حتّىٰ يتحرَّر ويُحرِّر ، فالعرفاء لا يتحدّثون عن الغنائم الحربيّة اطلاقاً ، ولا يفكّرون بتقسيم الغنائم بعد الحرب . بل انّ غنيمتهم هي الحرية .

إذن فهم يقاتلون حتّىٰ يحصلوا علىٰ الحرية وليس الحرية المتعارفة فحسب ، بل التحرّر من الدنيا ، فالمقاتل الذي يشمله دعاء الامام

---

(١) المصباح الكبير للطوسي : ص ١٥١ .

السّجاد (ع) في ميدان الحرب وثغور المسلمين يكون مضمون هذا الدّعـاء غنيمته عندما يرجع إلىٰ أهله خلف خطوط القتال ، أي انّه لم يـعد يـفكّر بالدّنيا ولذلك فالامام الراحل (رض) عندما رجع الى الوطن الاسلامي من منفاه الطويل سألوه عن شعوره واحساسه في تلك اللحظة ، قال : لا أشعر بشيء !!

الغنيمة التي يحصل عليها العارف من الجهاد هي التحرر من الدنيا لا العبودية للدنيا . العارف يُقاتل ويُضحّي في الحرب ، وغنيمته من الحرب هي الحرية . وغير العارف يقاتل أيضاً ، الزاهد والعابد يقاتلان أيضاً ، ولكـن لأهداف أُخرىٰ ، الجبان يقاتل ضدّ المؤمنين في الداخل ، ولكن المسكين لا يعلم أنّه في حالة حرب مع اصحاب الدين ووارثي الايمان ، لأنّه من غير الممكن أن يكون الانسان بدون غضب ، ولذا فالجبان أيضاً يغضب .

خلق الله عزوجل الانسان وخلق فيه الاستعداد للجذب والدفع . الانسان الجبان يخاف من أعداء الدين ويستعمل غضبه ضدّ أنصار الدين ، قلّما نجد جباناً لا يتّهم الدين والثورة . والعامل النفسي هو ان بعض الناس يشجبون الحرب المشروعة وجهاد المقاتلين وهذا نابع من خـوفهم ، لأنّ جميع هذه الأمور من شُعب الغضب . ذلك المسكين الّذي يخاف من أعداء الدين يستعمل غضبه ضدّ أهل الدين ، وذلك الجبان يقاتل أيضاً بـالغيبة والتهمة و... الّا أنّه يقاتل القرآن والعرفان ولا يعلم ، ويتصوّر أنّه خـارج

نطاق المسؤولية وانّه لا يخاف الاّ من أعداء الدين ، في حين أنّه يحارب أهل الدين أيضاً . فالشخص الّذي يستغيب أو يتّهم المؤمنين يكون في حالة حرب معهم .

يقول الامام علي (ع) : *« الغيبة جهد العاجز »*[١] ولهذا فالعاجز يحارب في مقابل أهل الدين بالغيبة وأمثالها .

يقول الامام السّجاد (ع) : *« لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي »* .

وكان (ع) إذا قرأ (مالك يوم الدين) يكرّرها حتّىٰ كاد أن يموت[٢] .

الامام السجاد (ع) مستعدٌّ لأنَّ يقاتل جميع من في الدنيا ولا يشعر بالخوف .

هذه هي روح الحماسة التي تنشد أنغام أدعية الصحيفة السجادية المليئة بالعرفان .

ودعاء العارف تراه وقت القتال والحماسة يفوح بالعرفان . عندما هددوا الامام السجاد (ع) في قصر الامارة بالقتل ، قال (ع) لابن زياد : أن كرامتنا من الله الشهادة ، ولكن اشترط عليه تهيئة من يوصل العيال إلىٰ المدينة من المحارم ، وذكّرهم بما انّني الوحيد ممن بقي من محارمهم ، فبقتلي

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤٦١ .

(٢) أصول الكافي : ج ٢ ، ح ٣ ، ص ٦٠٢ .

سوف يقطعون هذا الطريق الطويل لوحدهم لا يرافقهم أحد من محارمهم .

وكذلك قيام زينب الكبرىٰ (س) وخطبتها التي قالتها ليزيد في الشام[١] ، والامام السجاد (ع) أيضاً يعترض بشجاعة علىٰ الخطيب الأموي ويقول : « *ايها الخاطب مرضاة المخلوق بسخط الخالق* »[٢] .

والسجاد (ع) ذلك الّذي قدّم الشهداء واُقتيد اسيراً من بلد إلىٰ بلدٍ وهو مكبّل بالسلاسل والأغلال في رقبته ويديه ورجليه ، ودُعيَ الناس للتفرّج عليهم هو وأهل بيته ثم أوقفوهم مدّة طويلة علىٰ باب الشام ثم أدخلوهم مجلساً عاماً وبعد تحمّل هذه المصائب والآلام العظمىٰ وعندما يقف شخص لشتم أمير المؤمنين علي (ع) من علىٰ المنبر تراه في تلك اللحظة يصرخ به مع العلم أنّه في قبضة الأعداء :

أيها الخاطب اشتريت مرضات المخلوق بسخط الخالق ...

هذه الروح ، روح ثورية ، والسؤال من أين جاء الامام (ع) بهذه الروح ؟

علماً بأنَّ الدولة الاسلامية آنذاك لم تكن مجزّءة كما هو الحال في زماننا هذا فجميعها كانت دولة واحدة خاضعة للادارة المركزية في الشام يعني انها من فرنسا إلىٰ الصين تأتمر بأمر يزيد بن معاوية وهو الحاكم عليها

---

(١) نفس المهموم : ص ٤٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ج ٤٥ ، ص ١٣٧ .

جميعاً .

بينما نجد الامام السجاد (ع) يقف أمام هذا الحاكم ثائراً في وجهه ، فهذه الحماسة قد أوجدها صاحب تلك المناجاة المأثورة .

وبهذا يتّضح ان روح الدعاء ، والمناجاة تجتمع مع روح الثورة وبعد ذلك يقول (ع) : ائذن لي أنْ أصعدَ هذه الأعواد ـ ولم يقل منبراً ـ وأتحدّث للناس بما يكون لله فيه رضاً وللناس فيه صلاح .

وفي بادي الأمر لم يأذن له يزيد ، ولكنه أُجبر أخيراً علىٰ ذلك أمام لغط الناس وهياجهم ، فصعد زين العابدين (ع) علىٰ تلك الأعواد وخطب تلك الخطبة الحماسية ، وجعل أهل الشام يبكون ، وقد بدّل (ع) الوضع السياسي في الشام ، فالناس الذين كانوا مبتهجين بانتصار يزيد وحكومته السافلة ، تحوّل عندهم ذلك الحفل وذلك الفرح إلىٰ عزاء ، وأخذت أعينهم تفيض بالدمع . هذه الرّوح هي الرّوح الحماسيّة في حقيقة الأمر . لقد عاش الامام السّجاد (ع) في قلب ملحمة كربلاء واختزن منها الذكريات سيما ذكريات الليلة التاسعة والعاشرة .

وكانت له علاقة خاصة مع كل واحد من الشهداء ، وقد شاهد الوضع بصورة كاملة من قريب ، فكان هو المستشار الرسمي لسيد الشهداء (ع) وموضع ثقته .

وقد أودَع عنده سيد الشهداء أسرار الامامة ، ولكن ومن أجل أن لا

تعرف الحكومة الأمويّة بأنَّ الامام السجاد هو خليفة الله وحجته من بعده ، أمر البقية من أفراد العائلة أن يسألوا احكامهم الشرعية من زينب الكبرىٰ ولا يسألوها من الامام زين العابدين كي لا يفهم حرس القافلة أن زين العابدين عالم في هذه المسائل .

زينب أدّت دورها علىٰ أكمل الوجوه فهي (س) تسأل السجاد (ع) وتجيب الآخرين بذلك . وبهذه الصورة كان الامام زين العابدين (ع) لا يتّصدىٰ مباشرة حتَّىٰ لا يعرفوا أنَّه عالم وكما هو معروف عندما أعطىٰ أهل الكوفة التمر والخبز إلىٰ أطفال أهل البيت (عليهم السلام) قال لهم أحد اطفال أبي عبد الله (ع) : « *ان عمّتي تقول ان الصدقة علينا حرام* »[1] ، وهذا أحد الموارد التي تعلمتها زينب الكبرى من الامام السجاد (ع) .

ويفهم من مناظرة الامام الرضا (ع) انّ الامام زين العابدين (ع) قد سجن في الكوفة لأنّ بعض الواقفية سأل الامام الرضا (ع) : لو كنت اماماً كان ينبغي الحضور في تشييع ودفن جنازة أبيك الامام الكاظم (ع) ، في حين أنَّه مات في بغداد وأنت كنت في المدينة ، فأجابه الامام الرضا (ع) : إذا كنت في شك من امامتي فانت لست بشاك في امامة زين العابدين (ع) .

ثم قال : عندما دفن أبو عبد الله الحسين (ع) كان زين العابدين في سجن الكوفة مقيداً في السلاسل ، والله تعالىٰ الّذي أتىٰ بزين العابدين من

---

(١) مقتل الحسين للمفرح : ص ٣١٠ .

سجن الكوفة إلىٰ كربلاء لكي يشارك في مراسم دفن والده ، قادر علىٰ أن يأتي بي من المدينة إلىٰ بغداد[١] .

ويستفاد من هذه الرواية انّ أهل البيت (عليهم السلام) قد سُجنوا في الكوفة أيضاً ، ولكنّ كل هذه المصائب والآلام لم تؤثر في روح الامام السجاد (ع) الثورية ، والدليل علىٰ ذلك انّها لم تمنع الامام من الاعتراض علىٰ يزيد في الشام .

كما انها لم تقف امام اعتراضات زينب الكبرىٰ ، فقد قامت وقالت بصراحة : « ***أظننت يا يزيد حيثُ أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارىٰ انّ بنا علىٰ الله هواناً وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حيث رأيتَ الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً*** »[٢] ، أي انك تخيّلت بتقييدك لنا وحملك ايّانا من مدينة إلىٰ مدينة انّنا اذلاء وأنت عزيز ؟ كلّا فنحن الأعزاء دائماً وأنت وأعوانك ضعفاء وأذلّاء .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) البحار : ج ٤٨ ، ص ٢٧٠ .

(٢) نفس المهموم (القمي) : ص ٤٤٤ .



المحاضرة الثامنة :

« رحمة جنود الله تسبق غضبهم »

ان منهج رجال الله هو انّ رحمتهم تسبق غضبهم ، فهم مظهر الله عزوجل الّذي (سبقت رحمته غضبه) وبما انّ الرحمة هي القائد للغضب ، والغضب مأموم وتابع للرحمة ، وكل مأمومٌ يسير علىٰ شاكلة إمامه ، فيتحتم ان هذه الطائفة تمتاز بالعفو والرحمة .

وفي المواضع التي يستعملون فيها غضبهم فهم في الحقيقة يستعملون رحمتهم . نظير ذلك الجرّاح الّذي يقطع العضو الفاسد فانّ رحمته ظَهرتْ علىٰ شكل غضب .

مع انّ لله عزوجل صفاتِ الجمال والجلال ، فجماله هو المصدر لصفات الرحمة والعفو وأمثال ذلك ، وجلاله هو الأصل والأساس للغضب ، ومع انّ

الجمال والجلال صفتان متقابلتان ، ولكنّ الجمال المطلق لله تعالىٰ ليس له مقابل . ولا يقابل الجلال ، الذي له مقابل الّا الجمال المقيّد لا الجمال المطلق ، فالجمال المطلق بمنزلة الرحمة المطلقة وبمستوىٰ الهداية المطلقة التي ليس لها مقابل أصلاً . اذن فالله عزوجل هو الجمال المحض وكلّ أعماله جميلة ، لذلك وكما تقدّم في المباحث السابقة انّ الله عزوجل عندما يحكم بالقصاص ويقول : « *وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَاب* »[1] فمعنى ذلك انّني أردت الرحمة للمجتمع فشرعت حكم القصاص ، وكذلك في تشريع مبدأ القتال والدفاع يقول :

« *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ* »[2]

فمع انّ القصاص اعدام في الظاهر ، لكن حقيقة الأمر هي انّ القصاص عامل مهم لحياة الناس . وهكذا الجهاد والدفاع ، فقد يستشهد بعض الأشخاص في الدفاع والجهاد بحسب الظّاهر ، ولكن روح التحرر والإباء سوف تحييٰ عند الناس وتنقشع عنهم روح الذلّة والخضوع ، وكل هذه وبحدّ ذاتها جمال . فلذلك لا يقابل الجمال المطلق شيء بعكس الجمال المقيّد الذي له مقابل .

الانسان المتخلّق بالأخلاق الالهية تنقاد سائر شؤونه وأوصافه

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٩ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٢٤ .

لرحمته وجماله ، ولذلك فان صفات وشؤون الانسان الكامل تكون بأجمعها مأمومة لتلك الصفة السامية فيه ، وإذا كانت الرحمة هي الامام والقائد للغضب ، تصبح جميع أعمال هذا الانسان العارف والكامل رحمة فيقبل علىٰ الحرب بصفتها رحمة ، ويقدم علىٰ الدفاع باعتباره رحمة ، وإذا توجه إلىٰ ميدان القتال ، فله دعاء قبل القتال ، وعندما يستشهد في ميدان الحرب له دعاء أيضاً ومناجاة في كيفية قتله ، فذلك الدّعاء قبل القتال وتلك المناجاة لما بعد القتال لهما صبغة عرفانيّة . فقتال العارف محفوف بدعائين ، لأنّ العرفان والرحمة والجمال هي المتكفّلة لجميع شؤون حياته في حربه وسلمه :

الامام علي (ع) الذي يعدّ المثل الأعلىٰ للحماسة والشجاعة ضد الكفر والنفاق ، وكذلك كان المثل الأعلىٰ للحبّ والعطف والعقل أيضاً ، فله ادعية كثيرة في ميادين القتال ، وأحد هذه الأدعية هو : « ***إن أظهرتنا علىٰ عدوّنا ، فجنبنا البغي وسددنا للحق ، وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة ، واعصمنا من الفتنة*** »[1] أي إلهي ، إذا انتصرنا في ميدان القتال علىٰ عدوّنا فلا تحيي حالة الحقد والإنتقام فينا ، وإذا تغلّب العدوّ علينا فاجعل موتنا شهادة .

فاذا انتصرنا عليهم فلا تجعلنا نحيد عن ميزان العدل والحق . فنحن لا نريد الحرب من أجل التشفي والانتقام ، بل نتحمّل الحرب طلباً لرضاك

---

(١) نهج البلاغة : خطبة ١٧١ .

وحفظاً لدينك .

إلهي نحن لا نريد الحرب من أجل الماء والتراب والطبيعة ، نحن نريد أن تكون «*كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى*» ، إنَّنا نقاتل لاحياء مذهب الحق ، ومن أجل دفن الباطل ، وفي ظلّ هذا يتحقق الاستقلال الوطني والحرية الفردية .

إذا كانت الحرب مع الأعداء علىٰ هذه الشاكلة ومن أجل ذلك ، إذن فالجمال هو الامام لجميع شؤوننا وتسبق رحمتنا غضبنا وسيكون موتنا شهادة بالتأكيد وفتحنا فتح العارف . وهكذا نجد انّ سائر العرفاء الثوّار لهم هذه المناجاة في ميدان القتال ، فهؤلاء أيضاً عندما يشربون كأس الشهادة يقولون عند شرب ذلك الكأس (فزت وربّ الكعبة) لقد وصلنا إلىٰ مقصودنا .

ان هدفنا ليس ان نبقى احياءاً ، بل هدفنا احياء المجتمع ، فتارةً يكون ذلك في أن نَقْتُلَ وأُخرىٰ في ان نُقتل ، وعبارة (فزت وربّ الكعبة)[1] قيلت قبل استشهاد أمير المؤمنين (ع) ، وقد قالها أحد أصحاب أمير المؤمنين (ع) في أحد الحروب حين شهادته ، فلم يكن الامام (ع) أوّل من قال هذه العبارة وليست مختصّة به .

انّ لأمير المؤمنين (ع) مقامات كثيرة ، والامام الراحل (قده) يقول

(١) البحار : ج ٤٢ ، ص ٢٣٩ .

بهذا الصدد في بداية وصيّته السياسية الالهيّة في صعوبة ادراك مقام القرآن والعترة : انّ تبيان الأسرار المعنوية والغيبية للقرآن والعترة إن لم يكن ممتنعاً ومستحيلاً على أشخاص مثلي ، فهو صعب على أقل تقدير .

لا ينبغي أن نحدد أمير المؤمنين (ع) بهذه المقولة وهي أنّه (ع) قال عندما ضرب على رأسه وشرب كأس الشهادة (فزت وربّ الكعبة) لو عرفنا سيرة من تربّى في هذه المدرسة لرأينا ان بعض أصحابه قال هذه الجملة قبل استشهاد مولاه ، عند ذلك نفهم انّ مقامه ، أكثر بكثير من هذه الكلمات ، فان مقامه يتّسع بدائرة الملكوت حيث يرد عليه الآخرون ، وكذلك أوائل الجبروت وقد يُسمح للآخرين بالدخول اليها ، وعند تجاوز هذه المرحلة يقول الآخرون : « *لو دنوت أنملة لاحترقت* »[1] المقصود انّ من كان المثل الأعلى لأسبقية رحمته على غضبه فانّ رحمته هي التي تقود غضبه ، فيحارب بعنوان البغض في الله .

الآن يجبُ أن ندرسَ هذه المسألة وهي انّ العارف الواصل هل هو رحمة خاصة لشخص بالخصوص ، أو يعمّ برحمته سائر المجتمعات ؟

انّ الانسان الكامل رحمةٌ للعالمين ، فاذا كان كذلك فيجب عليه أن يزيل قطّاع الطرق المعترضين لصراط الحق . انّ عمل الشيطان وذريّته هو

---

(١) كاشف الأسرار (اسفرايني) : ص ٥٥ .

قطع الطريق « لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ »[(١)] الشيطان يهدد بقوله : انّي لأجلس في طريق السالكين إلىٰ الحق ، وأتربّص لهم في كمين حتى أتمكّن من تقييدهم وتوثيقهم ، فاذا تمكّنت من ذلك فسوف أمتطيهم ، وبعد ذلك أخذ بزمامهم فتكون رقابهم بيدي وتحت ارادتي « لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً »[(٢)] الشيطان يستعمل كلا الأسلوبين في التهديد :

١ ـ أن يجلس في طريق السالكين ويكمن لهم ، ٢ ـ أن يضع اللجام في أفواههم وحينئذٍ يسوقهم نحو أي طرف يريد ، هذا هو عمل الشيطان .

ولما كان أولياء الله مظهر رحمته ، وهم رحمةٌ لكل المجتمع ، فلذا يجب عليهم أن يزيلوا من يقعد في طريق المجتمع البشري ، وهذا لا يمكن الاّ باقصاء الشيطان الباطني والظاهري ، ولا يمكن أيضاً إقصاء الشيطان الظاهري بدون الحرب .

الأعداء لا يخلون لنا السبيل ولا يبتعدون عن طريقنا بدون الحرب ، وأساساً فان سعي الشيطان وحياته يكمنان في عدائه للانسانية ، ومهمّة الأنبياء الذين هم رحمة للعالمين وكذلك من تخلّق بأخلاقهم وكان رحمة للبشرية أن يزيلوا من يقعد في طريق السالكين ويعرقل مسارهم ، اذاً فالعرفاء يستأنسون بالثورة والحماسة ، ولا يمكن أن يتهرّبوا من الحرب ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٦ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٦٢ .

ولكنهم ينظرون إلىٰ الحرب بثياب الرحمة ويعتبرونها عبادة ، ويظهر هـذا المعنىٰ في دعاء الامام السجاد (ع) لأهل الثغور كـما تـقدّم في المـحاضرة السابقة وهو سبق الرحمة علىٰ الغضب ، فبما انّ رحمة وجوده المبارك غلبت غضبه فلذلك يدعو لأهل الثغور .

وهذا الدعاء هو : إلهي وفّـق المـجاهدين لأن يكـونوا عـرفاء ثم مقاتلين ، فالعرفان أولاً ثم الحماسة ، ويرجع القسم المهم من هذا الدعاء إلىٰ طرق تهذيب النفس وتزكية الأخلاق والتربية الروحية وتطهير القـلب ، يقول : إلهي اجعل قلوب المجاهدين الذين يسعون في حفظ البلد الاسلامي وفي خطوط المواجهة الأمامية مع الأعداء حيّة ومشغولة بذكرك . وأزل عن قلوبهم حبّ الدنيا وما يتعلّق بها من الارتباط بالبيت والمحيط . فـعندما ينسون غيرك حينها تكون ساحة قلوبهم فارغة الّا من ذكرك . هذا هـو دعاء العارف ، العارف عندما يدعو يكتسي دعاؤه بصبغة عرفانيّة .

العارف هو من سبقت رحمته غضبه ، ولذلك تكـون رحمـته إمـام غضبه ويكون غضبهُ وحماسته مأمومين برحمته ومعرفته ، وكل مأموم يأخذ صبغة إمامه ، فحرب العارف مصبوغة بصغبة العرفان وأمَّا الانسان العادي فيحارب من أجل الماء والتراب والبحر فاذا نسي الماء والتراب فلا يقاتل حينئذٍ ، ولو نسي الأهل والأولاد لا يقاتل . المقاتل العادي لا يمد يده إلىٰ السلاح عندما ينسىٰ وطنه . المقاتل العادي عندما ينسىٰ أهله وأولاده يفقد

الاندفاع للحرب . فلو لم يتذكّر المقاتل العادي مسألة النفط في بلده لا يكون له أي دافع إلىٰ الحرب .

أمَّا العارف الثوري فلا يمدّ يده إلىٰ السلاح الّا عندما ينسىٰ جميع الأمور المذكورة آنفاً . ولا يقاتل من اجل الماء والتراب والنفط ، بل يقول لتكون : « ***وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمة الله هي العليا*** »[1] .

حفظ الدين يضفي علىٰ حفظ الأرض قيمة وأهميّة ولذا ورد في الحديث : « ***من قتل دون ماله فهو شهيد*** »[2] « ***من قتل دون أرضه فهو شهيد*** »[3] « ***من قتل دون مظلمته فهو شهيد*** »[4] هذا ما يقوله الدين .. الدين هو الّذي يقول : إذا قُتلت من أجل الماء والتراب فأنت شهيد وإذا قاتلت من أجل حفظ عرضك فأنت شهيد ، وإذا قتلت في سبيل الدفاع عن مالك فأنت شهيد ، فهذه هي نداءات الدين . فلو زال الدين لزالت معه كل هذه الشعارات أيضاً . والعارف الحماسي والثوري هو الّذي يسعىٰ لاحياء الدين.

انّ الله عزوجل يوضّح لنا الهدف من الدفاع في القرآن الكريم ، وهذا المطلب بنفسه مذكور بصورة أوضح في نهج البلاغة . أمَّا ما ورد في القرآن

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤٠ ـ نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٧٣ .

(٢) نهج الفصاحة : ح ٢٨٣٠ ـ عيون أخبار الرضا : ج ٢ ، ص ٣٤ ، باب ٣٥ ـ دعائم الاسلام : ج ١ ، ص ٣٩٨ .

(٣) جامع أحاديث الشيعة : ج ١٣ ، ص ٢٢٩ و٢٣٢ .

(٤) جامع أحاديث الشيعة : ج ١٣ ، ص ٢٢٩ ، و٢٣٢ .

الكريم فهو قوله تعالىٰ: « *لِتَكُون كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَـفَرُوا هِـيَ السُّفْلَىٰ* ».

ويقول امير المؤمنين (ع) في تفسير أهداف الحرب: انّ الدافع للقتال عند المؤمن هو أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلىٰ. فما ذكر في القرآن الكريم هو *(الذين كفروا)*، أمَّا في نهج البلاغة فقد وردت كلمة (الظالمين) وهي أوسع ممّا ذكر في الآية الكريمة وتعتبر بمنزلة الشرح للقرآن.

العارف يقول: إلهي، إنّي أريد القتال باسمك فقط ومن أجل ذكرك، ولا اُشرك مع اسمك أحداً، أي انّني أكون موحّداً في الهدف، ولا أقول أبداً ان قتالي من أجل القرآن والنفط، أو من أجل القرآن والوطن، بل من أجل القرآن فقط، وفي ضمن القرآن يكون الوطن، وفي ضمن القرآن يكون الدفاع عن المال والعرض والشرف والوطن والنفط وأمثال ذلك، وأمَّا الامام السجاد (ع) فيقول في دعائه من أجل أن يصبغ الحرب والقتال بصبغة العرفان والرحمة الخاصة: إلهي وفّق المجاهدين في ميادين القتال لأن يكونوا موحّدين في حربهم ولا يكبّرون الاّ باسمك، وانسهم ذكر الأهل والأولاد أبداً.

انّ تذكّر الأهل والأولاد والوالدين والأخ والأخت والماء والتراب له عدّة أخطار:

أولاً: يشلّ يد المقاتل.

ثانياً : يضعف من عزمه ، لأنّه كان مصمّماً قبل ذلك أن يـقاتل في سبيل الله فقط والآن يقاتل في سبيل الله والولد ، فاذا كان يفكّر في الزوجة فانّه يحاول أن يرجع سالماً لكي يراها ، يرجع لكي يحتضن ولده .

ولكن عندما لا يفكّر فيهم فانّه سيكون تهاجمياً ويتقدّم في مواجهة العدو بدون تراجع .

الغرض ، انّ الآخرين يـقبلون عـلىٰ الحـرب ، والعـرفاء كـذلك ، فالعارف الّذي يقدم علىٰ القتال أو يريد أن يدعو للمقاتلين فان عمله هذا مصبوغ بصبغة الرحمة والمعرفة ، وفي كثير من الموارد يعبّر عن هذه الرحمة بعنوان (***كمال الانقطاع***) كما ورد في المناجاة الشعبانيّة .

الامام الراحل (رض) الّذي يذكر المـناجاة الشـعبانيّة إلىٰ جـانب الصحيفة السجاديّة انّما هو لأجل كون روح التوحيد معبأة في هذه المناجاة ، فنحن نسأل الله تعالىٰ في المناجاة الشعبانية :

إلهي هب لي كمال الانقطاع اليك .. وهذا الانقطاع لا يكون الّا بأنَّ ينسىٰ الانسان كلّ شيء ، وهذا هو النسيان المقدّس .

وعندما يقال ان الانسان ينبغي أن ينسىٰ كلّ ما سوىٰ الله تـعالىٰ ، فذلك لأنّه إذا كان يذكر الله تعالىٰ فانه يذكر كل شيء ، لأنَّ الله تعالى هو كلُّ شيء ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن .

إذا ذاق شخصٌ طعم جمال الحق ، فسوف يدعو مترنماً مثل الامـام

السجاد (ع):

« *يا نعيمي وجنّتي ويا دنياي وآخرتي ، ويا أرحم الراحمين* »[١].

أمَّا الآخرون فان لهم حماسة في مدح السلاطين وأمثال السلاطين بعبارات مختلفة: لو لم يكن لي شيء في الدنيا ، لو لم يكن لي أرض ولا عقار .... فان قهر السلطان ومحبّته ضيائي وعقاري ... أمَّا الامام السجاد (عليه الصلاة والسلام) فانه يقول:

انّ دنياي هي الله ، وان آخرتي هي الله ، إنّ جنّتي هي الله ، انّ نعمتي هي الله ، الأول هو رحمة الله ، والآخر هو رحمة الله ، فما يريده لنفسه يريده للمقاتلين في ميادين القتال.

لأنّه يرى نفسه قد حصل علىٰ كل شيء. والوصول إلىٰ كل شيء لا يكون الّا من خلال ترك كل شيء ، فنحن لو لم نترك ونتخلّص من كل شيء لا نصل إلىٰ كل شيء ، يجب علينا أن نترك التفكير بالزوجة والأولاد ، ونتخلّص من التفكير بالوطن والأب والأم ، حتّىٰ نصل إلىٰ الله تعالىٰ الّذي هو كل شيء ، كما توصل اولئك بترك هذه الأمور ، كما يدعو نفس هذا الدّعاء للمقاتلين إذ يقول: إلهي أنت القادر علىٰ التأثير في قلوبهم ، ليس النسيان باختيار الانسان ، لا يستطيع أحد السيطرة علىٰ خواطر القلب وكبح جماحها حتّىٰ لا تفلت خاطرة ، أو لا تدخل اليه خاطرة. من المحتمل

---

(١) المناجاة الخمسة عشر (المناجاة الثامنة) مفاتيح الجنان.

أن يتطوّر العلم والتكنولوجيا حتىٰ أن الانسان يستطيعُ أن يلفَّ حزاماً واقياً حول أحد الأجرام السماوية ، لكي لا يدخل إليه شيء ولا يخرج منه شيء . فليس مستبعداً أن يصل العلم إلىٰ درجة أن يصنع مظلّة حول المنظومة الشمسية حتىٰ لا يدخل اليها ولا يخرج منها شيء ، ولكن من المحال أن يسيطر علىٰ قلبه بهذه الصورة ، فالقلب أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع .

عندما تذكر الله عزوجل وتقول : « *ربّ السماوات السبع والأرضين السبع* » ، انّما هو لأجل انّك رأيت بمنظار العقل أن السماوات السبع ونظام الكون مربوب للحق ، فلو لم تكن لديك معرفة بالسماء والكون فكيف تقول أن ربيّ هو ربّ السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ، ان لأرواحنا القدرة علىٰ الاحاطة أن تحيط بالنظام الكوني وتسخيره ، فالروح قويّة إلىٰ هذا الحد ، والقلب واسع إلىٰ هذه الدرجة ، وهذا هو السرّ فيما ورد في الحديث القدسي :

« *لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المومن* »[(١)] .

فلذلك نستطيع السيطرة علىٰ النظام الكوني ، ولكن السيطرة علىٰ مجال القلب ليس بيد أحد . نحن لا نستطيع أن نقف أمام الخاطرات ، وننسىٰ

---

(١) كاشف الأسرار (اسفرايني) : ص ١٢٨ ـ تفسير صدر المتألهين : ج ٦ ، ص ٣١ .

شيئاً منها أو نتذكّر شيئاً.

تارةً تخطر في أذهاننا خواطر وذكريات عشر سنوات سابقة ونحن جالسون، وتارةً أُخرىٰ ننسىٰ لا إرادياً الذكريات المحبوبة لنا وتضيق عنها ساحات القلب. إذن لا يمكن السيطرة علىٰ السهو والنسيان وهكذا بالنسبة إلىٰ التذكّر، ولا يعني هذا اننا لا نستطيع ذلك بأيّ مقدار كان، لانّ ذلك ممكن بصورة جزئية، ولكننا لا نستطيع ذلك دائماً وبصورة شاملة، القلبُ مسخّرٌ لخالقه فقط. فلو أراد شخص ازالة تعلّقه القلبي بشيء ما، إذا أراد أن يقطع تعلّقه القلبي بولده، وإذا أراد أن لا يفكّر بأخيه وأخته، فهذا من المحال الّا بتسليم القلب الى مقلّب القلوب. والله عزوجل هو الّذي يمسك قلب المؤمن بين أصبعيه «*قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن*»[1] هو الّذي يقلّبه كيف يشاء ويفعل ما يشاء، وهو الّذي يزيل من ميدان القلب ما يشاء ويلقي فيه ما يشاء.

وعندما نرىٰ انّ الانسان المذنب يتذكّر فجأة معصيته التي ارتكبها قبل عشرين سنة فهذه نعمة من الله تعالىٰ وينبغي عليه أن يقدّر هذه النعمة ويسجد شكراً لله، فانّ الله عزوجل قد ذكّره بذنبه السابق حتّىٰ يتوب فوراً ويقول: استغفر الله استغفار تذلل وإنابة، حتى يغفر الله تعالىٰ له، وما أسوأ حال الانسان الّذي يتذكّر ذنبه الماضي ولا يتوب، لانّ الله تعالىٰ قد أنعم

---

(١) جامع السعادات: ج ١، ص ١٤٣ ـ مسند احمد: ج ٢، ص ١٧٢.

عليه بهذه النعمة وهو لا يعبأ بها .

تارةً يتذكّر الانسان نعمة وصلت اليه من حيث لا يحتسب وقبل عدّة سنوات ، فينبغي أن يقول فوراً : إلهي لك الشكر .

« اللهم مولاي كم من قبيح سترته ، وكم من فادح من البلاء أقلته وكم من عثار وقيته وكم من مكروه دفعته ، وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته » (١)

فلو تذكّر ذلك الخير أو دفع وزوال ذلك الشر ولم يشكر فما أسوء حاله ، ولو أن شخصاً صار وجيهاً بين الناس ومحبوباً في مجتمعه واستمر علىٰ هذا وهو غافل عن هذه النعمة ، وفجأة تذكّرها فيجب أن يشكر الله تعالىٰ ويقول : وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته .

وعلىٰ هذا يكون الغرض من الخواطر التي تخطر في قلوبنا هو تنبيهنا ، فلو خطرت مثل هذه الخواطر في قلوبنا ولم نرتّب عليها أثراً ، لا سمح الله فسوف ننسىٰ ذنوبنا السابقة تدريجياً ، وعندما تزول من الذاكرة فسوف لا نوفق إلىٰ التوبة واصلاح ما سبق ، وإذا كان كذلك فسوف نغادر الدنيا بوجه أسود .

الغرض ، أن كلّ ما يخطر في مجال وميدان القلب هو من عناية الله تعالىٰ ، إذا أراد المقاتل أن يرجع منتصراً ويكون هدفه من رجوعه : لتكون كلمة الله هي العليا ، وعندما يشرب كأس الشهادة أن يكون مع الكلمة

---

(١) مفاتيح الجنان ـ دعاء كميل .

الطيّبة : فزت وربّ الكعبة ، فليس له طريق آخر سوىٰ اتّباع تعليمات الامام السجاد (ع) فانه (ع) قد دعا بنفسه ، وكذلك علّمنا الدعاء للمقاتلين ، بأنَّ نقول :

إلهي ، اجعل من قلوب المدافعين عن دينك بالخطوط الأمامية لجبهات القتال موطناً لمحبتك وذكرك ، وأزل عن قلوبهم ذكرىٰ الأهل والولد لكي يجاهدوا بذكرك فقط . ولئلّا يقولوا في سبيل الله ومن أجل حفظ الولد ، بل من أجل الله فقط ومن المعلوم انّ حفظ العائلة سوف يحصل تبعاً وفي ظل حفظ لطفه تعالىٰ ، وهكذا هي ثورة العارف ، وهكذا يكون العرفان الثوري .

فلو لا هذه الأدعية والمناجاة لا أحد يستطيع أن يُسلم قلبه تماماً إلىٰ الله تعالىٰ . لأنّ الانسان ليس له قلبان : « *مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ* »[1] وليس في القلب مكان لحبّ الله ولحبّ غير الله ، لأنّ حبّ الله لطيف إلىٰ درجة أنَّه يتلوّث بأقل غبار يصل اليه ، إذا كان قلب الانسان مغموراً بمحبة الله ٩٩٪ وهناك ١٪ من الحب لغير الله ، فهذه الدرجة الواحدة من عدم الاخلاص سوف تلوّث تلك الـ ٩٩ درجة ، لأنَّ مرآة حبّ الحق لطيفة وشفّافة جداً ، ولذلك يجب ازالة حبّ غير الله عن ميدان القلب . وفي هذه الحالة سوف يتعلّق قلبُ الانسان بالله تعالىٰ لا غير ، ويكون غيرُ الله

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

تعالىٰ وسيلة لا هدفاً ، لأنّ حبّ غير الله يكون في خارج محيط القلب لا داخله ، وعندما يحلّ في داخل وفي باطن القلب فسوف لا يبقىٰ مكان لحبّ الله .

الله تعالىٰ لا يقبل الشريك ، فهو تعالىٰ لا يتلاءم ولا ينسجم مع غيره ، وحيث انّه «*لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء*»[1] لذلك يكون حبّه ليس كمثله شيء أيضاً ، ولذلك قال لنا : يجب أن يكون قلبكم متيّماً .

أي ان جميع وعاء القلب يكون مملوءاً بحبّ الله تعالىٰ حتّىٰ يكون موجباً للتحيّر الممدوح ، وتزول عن قلبه محبة الولد وما شابهه ، فحبّ الأهل والولد من أجل تأمين حياته وادارة أموره الاجتماعية ، والّا فهي ليست كمالاً ، إذ لو كانت كمالاً اذاً فلماذا يهرب منها في ساعة الخطر ؟ لماذا يفرُ المرء منهم يوم القيامة ؟[2]

قد لا يرى الانسان أحداً من أقربائه يوم القيامة مطلقاً ، وعندما يراهم سوف يفرّ منهم ، ولا يعني ان الأموات الذين دفنوا في مقبرة واحدة سوف يحشرون في القيامة سوية ، لأنَّ هذا التراب سوف يتبدّل ويتحوّل مئات وألوف المرّات .

فمن المحتمل ان شخصين قد دفنا معاً في مقبرة ، ولكن أحداً لا يرى

---

(١) سورة الشورىٰ : الآية ١١ .

(٢) سورة عبس : الآية ٣٤ « يوم يفر المرء من أخيه وأمّه وأبيه » .

صاحبه يوم القيامة أبداً ، أحدهما في الشرق والآخر في الغرب ، ما عدا أهل الجنّة الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة « ... **وَأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيء ...** »[(١)] .

الله عزوجل يحشر أقرباء وأولاد الانسان الصالح معه في الجنّة ليكونوا معاً ، فاذا كان ولده من أهل النار فانّ هذا الانسان الصالح سوف ينسىٰ أنَّه كان له ولد غير مؤمن في الدنيا .

فقد ورد انهم سألوا الامام المعصوم : أليست الجنّة خالية من الهمّ والحزن « **لَا لغو فِيهَا وَلَا تَأْثِيمَ** »[(٢)] أو « **لَا يَمَسّنُا فِيهَا نصب ولَا يَمَسّنُا فيها لُغُوب** »[(٣)] .

قال (ع) : نعم ، فقالوا : إذا كان كذلك بأنَّ أهل الجنة يُزال عنهم الحزن « **وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَن** »[(٤)] فكيف يتلذّذ نوح (ع) وهو في الجنّة وابنه الكافر يحترق في النار ؟ وهكذا كلّ انسان مؤمن في الجنّة وله أولاد في النار فكيف يمكنهم العيش براحة في هذه الحالة ؟ قال (ع) : ينسىٰ أهل الجنّة انّه كان لهم ولد غير صالح ، الله تعالىٰ سوف يمحو ذكر الولد غير الصالح من ميدان القلب . ولا يتذكّر (ع) ابنه الفاسق ، فاذا كان كذلك ولم

---

(١) سورة الطور : الآية ٢١ .
(٢) سورة الطور : الآية ٢٣ .
(٣) سورة فاطر : الآية ٣٥ .
(٤) سورة فاطر : الآية ٣٤ .

يتذكّر الانسان ولده غير الصالح فهو لا يحزن عليه .

ومثال آخر علىٰ ذلك هو عندما نواجه خيانة وجفاء من أحد الأشخاص ، ثم نقابلها بالوفاء ، فعندما يتذكّر جفاءه السابق ويرىٰ وفاءنا الحالي فسوف يخجل ، فمنتهىٰ الاحسان هو أن نعفو عنه بل أن نصفح عنه . ولا نذكّره به في حضوره ولا نقوله لأحد في غيابه ، بل حتّىٰ ونحاول لأن نبذل له كمال المحبّة والعاطفة عندها سيخجل في نفسه أكثر وهكذا كلّما أحسنّا اليه اكثر ، فنحن لا نستطيع أن نزيل هذا الخجل والحياء من باطنه ، إذ ليس ذلك بيدنا ولا باختياره .

فالشخص الّذي اعتدىٰ علينا قبل سنوات ونحن في مقابل ذلك نحسنُ اليه وننعم عليه فكلّما كان احساننا أكثر فسيخجل في نفسه اكثر ، فلا هو باستطاعته أن يزيل هذا العذاب من نفسه له ، ولا نحن بقادرين على ذلك .

ولكن الله تعالىٰ يمكنه أن يعفو إلىٰ درجة أن لا يكون عفوه مصحوباً بخجل المعفوّ عنه : يعني إذا ارتكب شخص معصية وهتك حرمة الله تعالىٰ مثلاً أفطر متعمّداً في يوم من أيام شهر رمضان المبارك ثم تاب ، فانّ الله عزوجل يقبل توبة هذا الانسان ، وعندما يجعله من أهل الجنة فانه يطهر صحيفة قلبه إلىٰ درجة ان هذا الشخص لا يتذكّر أبداً أنّه قد ارتكب معصية في الدنيا وتاب منها ، حتّىٰ لا يشعر بالخجل في الجنّة ، فانّ التوابين لهم في

الجنّة باب مخصوص : « *أنت الّذي فتحت لعبادك باباً الى عفوك وسمّيته التوبة* »[١] فقلت : « *توبوا الى الله توبة نصوحاً* »[٢] .

وهذا هو أحد أبواب الجنّة ، والتوّابون يدخلون الجنة من هذا الباب ، ولكنّهم كسائر أهل الجنة لا يتذكّرون أبداً معصيتهم التي ارتكبوها في الدنيا لكي لا يخجلوا منها في الجنّة .

ولو كان هناك عداء وحقد بين شخصين ، وكانا مؤمنين وذهبا إلىٰ الجنة فكيف يكون حالهم ؟ ألا يظهر باطن الانسان للآخرين هناك ؟ فاذا كان في قلبنا حقد علىٰ أحد أصدقائنا ، والله عزوجل قد غفر لنا وأدخلنا الجنة ، ووفقاً لقاعدة ظهور كل ما في الباطن ، فسيدرك الطرف الآخر أننا كنّا نحقد عليه في الدنيا ، فماذا سنفعل أمام هذا الخزي والعار ؟

سوف يطهّر الله عزوجل قلوبنا قبل أن يدخلنا إلىٰ حرمه الآمن في الجنة : « *وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانَاً* »[٣] وعندما يزول كل حقد وعداء في القلوب فحين ذاك سوف يدرك الآخرون ما في القلب . وعند ذلك سوف نرىٰ قلوب أصدقائنا مثل المرآة الصافية وسوف يرون قلبنا مثل المرآة كذلك . الله عزوجل هو الّذي لا يسمح بهتك ستر المؤمن ، وعندما

---

(١) الصحيفة السجادية ـ مناجاة التائبين : مفاتيح الجنان .

(٢) سورة التحريم : الآية ٨ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٤٧ .

نسمع ان عارفاً قال في جوابه علىٰ هذا السؤال : ما هو طريق النجاة ، فقال : « ستر العيب » .

فإنَّ السرّ في ذلك هو ان الانسان إذا كان ستّاراً للعيوب وسعىٰ لحفظ سمعة الآخرين ، فان الله تعالىٰ سوف يحفظ ماء وجهه في مواقف الخطر .

ان دعاء العارف هو : إلهي ، طهّر قلوب المجاهدين الذين يزحفون نحو جبهات القتال أن لا ينشغلوا بما سواك ، واجعل قلوبهم متيّمة بحبك ، لقد برز علي الأكبر ابن الامام الحسين (ع) بقلب متيّم ، وكذلك أرسل الحسين بن علي (ع) ولده إلىٰ الميدان بقلب متيّم ، فأول من برز من بني هاشم إلىٰ القتال كان علي بن الحسين (علي الأكبر) عليه السلام لأن قلب الحسين كان بأجمعه متيّماً وحبّ عليّ الأكبر لم يكن مانعاً من الاذن له بالقتال ، لأنَّ قلبه قلب إلهي . فعليّ الأكبر له مكانة خارج نطاق القلب وليس داخله ، والحسين أيضاً كان خارج قلب علي لا داخله . ان جميع روضة قلب الامام الحسين كانت مليئة بحبّ الله ، وجميع بستان قلب علي الأكبر كان مليئاً بالعشق لله كذلك .

فبما ان أولياء الله لهم صبغة الهية فهم موضع حُبّ وثناءٍ في هذا الجانب ، فلا الأب متعلّق بالولد ولا الولد متعلّق بالأب ، بل كلاهما متعلّق بالله .

فالابن يطلب الإذن من والده ، والوالد أيضاً يجيزه بكامل الرضا ،

والسرّ في ذلك ان قلب كلّ منهما مليء بذكر الحق .

لقد رأى الامام السجاد (ع) هذه الحالة ، ثم دعا بذلك لأهل الثغور من المسلمين . فينبغي علىٰ المقاتل أولاً أن ينسىٰ أباه وولده لكـي يكـون مقاتلاً حقيقياً ، لقد رأى الامام السجاد ذلك بأم عينه ثم دعا للمجاهدين بهذا الدعاء : إلهي اجعل قلوبهم متيّمة بحبّك .

لقد قال الحسين بن علي (ع) لولده : يا بني اذهب الى ساحة القتال علىٰ أمل أن ترتوي علىٰ يد جدّك المصطفىٰ (ص) .

وعندما جاء علي الأكبر وقال لأبيه : يا أبة العطش قد قتلني وثقل الحديد اجهدني فهل إلىٰ شربة من ماء سبيل اتقوّىٰ بها على الأعداء ـ أي انّه لم يطلب للارتواء بل ليتقوّىٰ على مقاتلة الأعداء ـ فقال له الحسين (ع) : يا بني هات لسانك ، فأخذ بلسانه فمصّه ...[1] ولعلّه قال في نفسه : يا علي لم يـبدُ منك لحدّ الآن ما يؤلم قلب أبيك الطاهر ؟ فياليتك لم تطلب من أبيك ماءاً فهذا لسان أبيك أجفّ من لسانك .

لقد كان علي الأكبر متأثراً من ذلك وسعىٰ لاصلاح ما بـدر مـنه فعندما ذهب إلىٰ الميدان وضرب علىٰ رأسه ، سقط اللجام من يده فحمله الفرس إلىٰ معسكر الأعداء فقطّعوه ارباً ارباً ، الانسان المؤمن يرى الرسول (ص) والائمة (عليهم السلام) ساعة الاحتضار ، وكذلك ودّع علي الأكبر

---

(١) البحار : ج ٤٥ ، ص ٤٣ .

أهل البيت (عليهم السلام) عند احتضاره وقال : عليكم منّي السلام .

وبعد ذلك ومن أجل أن يجبر تلك الخاطرة المرّة قال : يا أبتاه عليك السلام هذا جدّي رسول الله يقرأك السلام ويقول : عجّل القدوم الينا[1] .

فعندما طلبت منك الماء ولم يكن عندك ومددت اليّ لسانك فأحسست بعطشك ، هذا جدّي رسول الله قد سقاني من كأسه الأوفىٰ ويقول لي : قل لولدي الحسين العجل العجل حتّىٰ تروى أيضاً من يد جدّك .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) مقاتل الطالبيين : ص ١١٥ و١١٦ .



المحاضرة التاسعة :

ان العارف الحقيقي لابدّ وأن يكون ثورياً وان المقاتل والمدافع الالهي لابدّ وأن يكون من العارفين . لأنّ الحرب من أجل حفظ الدين لا تكون بدون معرفة ومعرفة الله تعالىٰ وأسمائه الحسنىٰ لا تكون بدون جذب ودفع ، أي التولّي والتبرّي .

والمثال البارز لهذا التناسب والانسجام ما نراه في كلمات اكبر العرفاء الالهيين حتّىٰ انّ أدعيتهم لا تأتي حين مشاركتهم في الحرب الّا بصورة طلب الشهادة والكثير من أدعية أمير المؤمنين وسيد الشهداء والامام السجاد سلام الله عليهم أجمعين ، لا تخرج عن هذا السياق .

بعض الناس يدعو لنفسه بالسلامة والبقاء في حين أمير المؤمنين

يدعو الله تعالىٰ لأن يرزقه الشهادة وهنا نرى امتزاج العرفان بالحماسة والثورة ، وهذا الدعاء من الله تعالىٰ قد تجلّىٰ بصورة الدفاع عن الدين .

وقد ورد في خاتمة عهد الامام أمير المؤمنين (ع) لمالك الأشتر : بأني أسأل الله عزوجل « *أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انّا اليه راجعون* »(١) هذا في الوقت الّذي كان فيه الامام قائداً عامّاً للجيش وقد أرسل مالك الأشتر كقائد للجيش في مصر فنحن نلاحظ في نفس الوقت الذي ينشغل فيه أمير المؤمنين بالتخطيط لكيفية ادارة الحكم في مصر نراه يدعو بشوق لنيل الشهادة حينما يقول : انّي أسأل الله أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة .

وكلّ من يخدم في النظام العلوي فهو سعيد وشهيد ، ومن تصوّر السعادة بانها هي السلامة الدنيوية فمن المؤكد أنّه لا يسلك طريق مالك ، وهو وبطبيعة الحال ليس علوياً في نهج حياته ، وأمّا من رأىٰ ان السعادة في الشهادة ولم يبخل بشيء من أجل احياء الدين حتّىٰ ولو وصل به الأمر إلىٰ الشهادة فهو أيضاً بمستوىٰ مالك الأشتر وعلوي الفكر ، احياناً يدّعي بعض الناس الارتباط بعلي (ع) ولكن هذا الارتباط ذكر باللسان فقط بينما قلبه منشغل بحبٍّ وذكر آخرٍ .

انّما حبّ عليّ وذكره يتجسّد في قلب الانسان حينما يطلب الشهادة بكلّ وجوده ، ويدعو الله تعالىٰ قائلاً : إلهي ان الموت العادي بالمرض وما

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٥٢ .

شابه أمر قبيح عندما يكون الإسلام في خطر وعرضة لهجمة اعدائه ، وانّي مستعدّ للشهادة فإن كان فيها مصلحة الدين فاجعلها من نصيبي ، وحتّى اذا لم يكن فيها مصلحة فأنّي أعلن استعدادي لها .

هذه الفقرة مذكورة في عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر .

فهو يقول لمالك الأشتر انّك حين ذهابك إلىٰ مصر إذا كنت تنوي الحصول علىٰ المنصب والمقام فما أسوأ حظّك ، أمّا إذا سعىٰ لك المقام والمنصب ، وبه نهضت لتأدية واجبك وتحمّل مسؤوليتك ، فهنيئاً لك .

نحن في بعض الأحيان نتعمد عدم الفهم ونحاول التغطية علىٰ أفهامنا عمداً ، وقد نتعلّم احياناً الحالات الاستثنائية لأحكام الدين ، لكي نبرر بواسطتها معاصينا ، لأنّ أغلب موارد الحرمة لها استثناء ، ولكن هذه التغطية والتشويه للأمور لها حدّ وحصر ، فكم من شخص مخطئ وهو يواصل ارتكاب الخطأ لعدّة سنوات ، وفي نهاية عمره ان لم يرتدع وينتبه من غفلته فسيوقظ وينبّه ، وان لم يسلك السبيل السويّ فسيتلقىٰ التوجيه والارشاد ، فالانسان ليس مخيّراً في السير إلىٰ الله تعالىٰ وعدمه ، فاذا كان غير راغب في هذا السير فلا يُترك وشأنه .

نحن ان أردنا السير في هذا الطريق باختيارنا وطوع أنفسنا فخير ،

والاّ فسوف تكون العاقبة « *خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه* »[١] فلا نجد ركوداً ولا توقفاً لأي انسان في هذا الطريق . ونتيجة هذا السير لقافلة الانسانية هو لقاء الله تعالىٰ : « *يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيه* »[٢] وهذا هو المبدأ العام ، فلو لم نذهب طواعية سيقولون : خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه . ولو سلكنا هذا الطريق باختيارنا سيقال لنا : « *سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين* »[٣]

عندما يضيق الأفق الفكري والنظري لدى الانسان نراه دائمًا يسعىٰ حثيثاً لزيادة رقعة ملكه ويلهث وراء الإكثار من حطام الدنيا فهو في ضيق في جميع النشآت الثلاث ، فنجده في الدنيا لا يذوق طعم الحريّة ولا يشم رائحة الراحة أبداً .

يجب أن نشكر الله تعالىٰ اننا لم نذق مرارة الرغبة في الاكثار ، كما هو الحال عند بعض الأثرياء والرأسماليين الأشقياء ، والاّ لعرفنا عمق العذاب الّذي يعيشون فيه .

هؤلاء المساكين يعيشون بين عاملين من عوامل الضغط الدنيوية .

أولهما : السعي لتحصيل وطلب المفقود .

---

(١) سورة الحاقة : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٦ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧٣ .

والآخر: للمحافظة علىٰ الموجود وتحصينه.

عندما يصاب الانسان بالحرص والطمع فانه يبتلي بالنهم وعدم الشبع أبداً ويبذل كامل جهده وسعيه من أجل هذين الأمرين.

فتلحظه يسعى ليجمع ما ليس بحوزته ويحرص علىٰ ما لديه فمادام يعيش في الدنيا نجده يرزح تحت وطأة هاتين الرغبتين.

وعندما يغادر الدنيا ويحلّ في قبره ستحلّ به ضغطة القبر وهي استمرار للضغطة الدنيوية والتي وضع نفسه فيها.

وعندما يرد جنهم لا يكون في فسحة من المكان حيث ان مكان أهل النّار ضيّق، وقد بيّن القرآن الكريم هذه النشآت الثلاث: « *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا* »(١) فلا يشعر بالراحة أبداً، كما وانّه عندما يموت فستتولى الملائكة ضربه علىٰ وجهه وظهره. وقد ذكر هذا المعنى القرآن الكريم في عدّة آيات: « *يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارهم* »(٢) فانّ هذا المحتضر المسكين يرىٰ ويشعر بصفعات قويّة علىٰ وجهه وضربات موجعة علىٰ ظهره، وهو ما يسمى ضغطة القبر وعذاب البرزخ، وعندما يجرّونه إلىٰ جهنّم سيكون: « *أَلْقُوا فِيهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مقرَّنِين* »(٣) فهذه الضغطة للنشئات

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٢) سورة محمد: الآية ٣٧.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١٣.

الثلاث هي نتيجة تلك النظرة الضيّقة في الدنيا .

وخلاصة القول بأنَّ الانسان إذا كان ضيق الأفق والنظر سيكون في وضع كهذا .

ولكن الانسان إذا حصل علىٰ شرح الصدر وبُعد النظر ، بحيث يرى ما بعد الدنيا وما وراء هذا العالم ، فانه سيعيش في ميدان رحب وفسيح في هذه النشآت الثلاث . يذكر القرآن الكريم هذه الموارد الثلاثة أيضاً : « *مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ* »[(١)] لا يتعرّض الانسان المتّقي أبداً للضغط بين جانبي القبر : الضغطة لمن كان ضيّق الأفق من أهل الدنيا والمتقي يكون مصوناً دائماً من هذا الخطر .

فعندما يرحل من هذه الدنيا ـ أي المتّقي ـ تستقبله الملائكة في أتمّ الاحترام والأدب « *تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ* »[(٢)] وعند دخولهم إلىٰ الجنّة يفتحون لهم أبوابها ويفسحون لهم المجال : « *مُفتّحة لَهُمُ الأَبْوَاب* »[(٣)] ثم يعطى كل واحد منهم بيتاً وسعته بمقدار مساحة الكون ، بحيث أنّه لو استضاف جميع الناس فيه لوسعهم ، فأين يقع هذا البيت ؟ وما هذه السعة ؟ قال أمير المؤمنين (ع) هذا المعنى ، فبعد أن بيّن بعضاً من الأوصاف والمناظر الخلّابة

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٢ .

(٢) سورة النحل : الآية ٣٢ .

(٣) سورة النحل : الآية ٥٠ .

للجنّة ، قال : « *لزهقت نفسك شوقاً اليها ، ولتحمّلتَ من مجلسي هذا الىٰ مجاورة أهل القبور استعجالاً بها ...* »[١]

وعلىٰ أية حال ، انّ الانسان ان لم يسلك هذا الطريق بالأسلوب الصحيح سوف يُجبر علىٰ السير وليس كما يتصوّر البعض بأن قسماً من الناس يصل الى الله والقسم الآخر لا يصل ، بل الأصل الكلّي لذلك قد ذكره القرآن الكريم : « *يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه* »[٢] ثم يشرح بعد ذلك هذا الأصل الكلّي ويذكر في عدّة آيات هذا المعنى ويقول : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه ... » ثم يقول : « وَالآخَر بِشِمَالِهِ » فان كلتا هاتين الطائفتين قد وصلتا إلىٰ لقاء الله ولكن فئة منهم رأت جمال الحق : « *وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ* »[٣] وفئة رأت جلال وغضب الله تعالىٰ ، ومع حالة العمىٰ يقولون :

« *رَبَّنَا أَبصَرْنَا وَسمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَل صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُون* »[٤] .

وعلىٰ هذا فانّ الطريق يجب أن يُقطع ، فان لم نسلكه باختيارنا أُرغمنا على سلوكه ، وان لم نذهب أجبرونا علىٰ السير وان لم نرَ جمال الحق فمن المحتم انّنا سنرىٰ جلاله .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٦٥ .
(٢) سورة الانشقاق : الآية ٦ .
(٣) سورة القيامة : الآية ٢٢ .
(٤) سورة السجدة : الآية ١٢ .

إذن ، فمن الأفضل أن نسلك هذا الطريق بقلب خالص .

قال العارف الاسلامي الشهير علي بن أبي طالب (ع) في تعريف الله تعالىٰ في دعاء كميل بانّه (غاية آمال العارفين) ، وعلّمنا كيفية السير ، وقال لمالك الأشتر : أنا لست خائفاً من الشهادة وأنت أيضاً كذلك ، فانّ من خاف الشهادة فلا يصلح لادارة النظام الاسلامي .

ومن يخاف من الشهادة لا يصلح لقيادة الجيش في مصر ، وأنا أسأل الله تعالىٰ أن يختم لك بالسعادة .

وهذه الفقرة آخر ما ورد في عهده (ع) المعروف لمالك الأشتر . وعندما ننظر إلىٰ السيرة المباركة لولده الحسين بن علي (ع) نجد أنّه أشار إلىٰ تلك المعارف في دعاء عرفة والتي نفّذها عملياً في ساحات كربلاء .

فانّه دعا إلىٰ كربلاء (ع) من كان لا يفكّر الّا بالثورة العرفانية ، والعرفان الثوري . انّ أبا عبد الله (ع) لم يدع إلىٰ كربلاء الزاهد والعابد المحض ، بل من يصبو الىٰ العرفان الثوري والثورة المصبوغة بالعرفان فحسب ، وكذلك هو الحال في هذا الزمان ، فمن تُشمّ منه رائحة الزهد الجاف أو العبادة المحضة فليس كربلائياً ولا ثورياً ، فهو وإن كان من محبّي الامام صاحب الزمان (ع) في زمن غيبته ، ولكن عند ظهور الامام (ع) سوف يكون أوّل من يتخلّىٰ عنه ، أمّا من امتزج زهده بالحماسة وعبادته بالثورة ، فهو من الأنصار المخلصين لولي العصر أرواحنا له الفداء .

لقد اشترط الحسين (ع) على اصحابه في كربلاء ما يلي :

أولاً : أنَّه أعلن الخطر وقال ان الدين في خطر .

ثانياً : بيّن شروط الاشتراك في هذه الثورة وعندها لم يقل : علىٰ كلّ مسلم أن يشترك معنا ، أو ليأتي الينا كلّ زاهد وكلّ عابد ، إذ ليس كل دم لديه القدرة علىٰ قلع النظام الأموي المترسّخ .

قال بعض صحابة الرسول (ص) لأبي عبد الله (ع) وهـم في سـنّ الشيخوخة : اننا نعيش الآن في عمرٍ لا نتمكّن فيه أن نقتل أحداً ، ولكنّنا نستطيع أن نستشهد ، وحيث انّ حادثة كربلاء جرت بعد خمسين سنة من رحيل النبي الأكرم ، فالأصحاب الذين أدركوا النبي الأكرم (ص) وشاهدوه واستفادوا من وجوده المقدّس وكان عمرهم في ذلك الوقت يناهز الخمسين سنة ، قد بلغ عمر من بقي منهم حيّاً الى زمن ثورة سيد الشهداء حوالي مائة عام ، اذاً فوجود أحد أصحاب الرسول (ص) في ذلك الوقت كـان يـعتبر غنيمة ، والناس يقولون عنه : في المنطقة الفلانيّة يعيش شـيخ رأى النـبي (ص) وسمع مقالته مثل أنس الكاهلي ، الذي جاء الىٰ الحسين بن علي (ع) في كربلاء وقال له : يا سيدي ائذن لي بالبراز إلىٰ هـؤلاء القـوم لكـي أنـال الشهادة ، وعندما حصل علىٰ الاذن طـلب قـطعتين مـن القماش ليشـدّ احداهما علىٰ ظهره ، والأخرى علىٰ جبهته حتّىٰ يرفع بها حاجبيه النازلين

علىٰ عينيه ليستطيع رؤية من أمامه[(١)] .

وهكذا كان الأشخاص بكربلاء ، الرجال الذين شاركوا بثورة كربلاء كانوا ولمدّة أربعين سنة يصلّون صلاة الصبح بوضوء صلاة العشاء ، فهكذا كان هؤلاء الصحابة والرجال الأوفياء يصلّون صلاة المغرب ونافلتها وبعد ذلك يستريحون قليلاً : « *كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* »[(٢)] ثم يقومون ويؤدون صلاة العشاء ثم نافلة العشاء ثم يشتغلون بالأذكار والأدعية والمناجاة إلىٰ وقت فضيلة صلاة الليل ، ثم يؤدون نافلة وصلاة الصبح ، وهكذا كانت سيرتهم الحسنىٰ لمدّة ٤٠ عاماً ، وبشكل عام هؤلاء هم الذين حفظوا كربلاء .

ولذلك نرى من خلال الثلاثة عشر قرناً الماضية أنّه ما من قوّة استكبارية حاربت أهداف كربلاء الّا وتحطّمت ، فنراهم تارةً يحاربون اسم الحسين ، وتارةً قبره وأوقاتاً أُخرىٰ الأشياء التي وُقفت للحسين (ع) وتارةً يحاربون أهداف الحسين (ع) .

والخلاصة أنّه لم تأتِ طغمة في التاريخ الّا وحاربت النخبة الجليلة لشهداء كربلاء ، لكن أياً منها لم ينتصر .

هناك أشخاص كثيرون قاتلوا وقُتلوا ، ولكن أسماءهم دفنت في

---

(١) الاصابة : ج ١ ، ص ٦٨ ـ اسد الغابة : ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) سورة الذاريات : الآية ١٧ .

طيات كتب التاريخ ، فيجب علىٰ المؤرخ أن يتصفّح التـاريخ بـعناء وبـعد البحث فيه عليه أن ينبش قبور التاريخ وصفحاته ليعثر علىٰ قصّة تاريخية ليس الّا ، ولكن حماسة كربلاء بارزة وعلىٰ جبين التاريخ لأنّ ثـوارهـا لم يكونوا أشخاصاً عاديين .

سيد الشهداء الّذي تمتزج سيرته بالعرفان في دعاء عرفة ، يقول في تحديد صفات وشروط المقاتلين في كربلاء : انّي عازم على الذهاب ومحتاج إلىٰ الأنصار ، ولكن ليس لكل شخص بل لطائفةٍ خاصة : « *وليرغب المؤمن في لقاء الله حقّاً* »[(١)] .

فليأتِ معنا من اشتاق للقاء الله تعالىٰ ، لا من يقاتل بسيفه خوفاً من جهنّم .

فمن الممكن أنّه عندما يرىٰ نار الحرب مستعرة في ميدان القتال أن ترتجف يده ، والشخص الّذي يأتي إلىٰ كربلاء شوقاً الى الجنّة عندما يفهم انّ أهله سيؤخذون أُسارىٰ بعد قتله وينقلون من بلدٍ إلىٰ بلدٍ فلعلّ قدمه سوف تزل ، ولكن الشخص الراغب في لقاء الله لا يرتجف قـلبه مـن ذلك ، ولا ترتجف يده ، ولا تزل قدمه ، بل سيدعو الآخرين إلىٰ المقاومة والصـمود أيضاً .

تحدّث أبو عبد الله (ع) إلىٰ الناس في مكّة عندما أعلن عن ثـورته

---

(١) تحف العقول : ص ١٧٤ ـ تاريخ الطبري : ج ٧، ص ٣٠٠ .

قائلاً هذه الأيام بالرغم من أنها أيام الحج ولكن هذا ليس أوان حج ، لقد بقيت هنا من شهر شوال وذي القعدة وإلىٰ هذا اليوم المصادف الثامن من ذي الحجة . اليوم الثامن من ذي الحجة حيث يلبس الحجاج الاحرام في مكّة ويتوجّهون إلىٰ عرفات ، ولكنّي أقول وأنا الامام الناطق ، الآن ليس وقت الوقوف بعرفات ومنىٰ ، الآن لا ينبغي الذهاب إلىٰ منىٰ وذبح الإبل والأغنام ، يجب الذهاب الآن إلىٰ كربلاء وبذل الدماء .

اليوم الثامن من ذي الحجة يحرم الحجاج ويتوجّهون إلىٰ منىٰ وعرفات ، وعندما يشاهدون الامام الحسين (ع) يتساءلون : لماذا صمّم ابن رسول الله (ص) علىٰ الذهاب إلىٰ كربلاء في هذا اليوم الّذي يتوجّه فيه الجميع إلىٰ عرفات ولم يكمل حجّه ؟ لماذا لم يبق هذه الأيام القلائل ؟

لو انّ أبا عبد الله (ع) تحرّك بعد عدّة أيام فماذا يحصل ؟ فمن اليوم الثامن إلىٰ الثاني عشر ينتهي عمل الحجاج ، فالحاج يحرم في الثامن ويتوجّه إلىٰ عرفات في اليوم التاسع ، ويبقىٰ ليلة العاشر في المشعر وفي اليوم العاشر في منىٰ ، ثم يرجع إلىٰ مكّة ويطوف بالبيت ، ويجب عليه أن يبيت ليلة الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة في منىٰ ثم يكمل أعماله ومناسكه فكيف يرجع ابن رسول الله قبل اتمام حجّه مع أنّه قطع هذه المسافة من المدينة إلىٰ مكّة مع القافلة وبقي بمكّة عدّة أشهر ومع ذلك لم يصبر لإكمال مناسك حجّه أيّاماً قلائل ؟

والحكمة من ذلك ، أولاً : أن يفهم النـاس أنّـه يجب احـياء الحـج وتحريره ، ثم يدعو الحجاج إلىٰ الحج الحر ، بينما الكعبة الآن أسيرة .

نحن مكلفون أن نتوجّه في صلاتنا إلىٰ جهة البـيت العـتيق ونحـن مأمورون أن نطوف حول البيت العتيق ، يقول القرآن الكريم : « *وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ* »[1] انّه يقول ليدوروا حول البيت العتيق ولم يقل ليـدوروا حول الكعبة . والعتيق يعني المعتوق والمتحرّر ، والأرض التي فيها الكعبة لم تكن مِلكاً ولا مُلكاً لأحد .

المساجد الأخرىٰ في البدايـة مـلك لأحـد الأشـخاص ثم تـصير مسجداً ، وأمَّا تلك الأرض الابراهيميّة فلم تكن ملكاً لأحد ولم تكن تحت سلطة أحد ، فليس فيها ماء ولا كلأ ، بل كانت أرضاً غير ذي زرع فـلم يرغب بها أحد ولم يسكنها أحد ، فكيف الحال بأنَّ يستولي عليها أحد ؟

فلذلك كانت الكعبة هي البـيت العـتيق ، الحـريّة مُـلك الكـعبة ، والطواف حول البيت الحرّ يعلّم الآخرين درس الحرية والصلاة إلىٰ جـهة البيت الحر يعطي للمصلّي درس الحريّة ، اليوم نجد هذا البيت أسـيراً لدىٰ آل سعود ، والطواف حول هذا البيت لا يـعطي درس الحـريّة الّا بـتقديم شهداء نظير فاجعة عام ١٤٠٧ من الهجرة حتَّىٰ ترجع الكـعبة إلىٰ عـتقها السابق .

---

(١) سورة الحج : الآية ٢٩ .

وعلي أية حال ، رأى الجميع انّ الحسين بن علي يرجع ولم يكمّل حجّه ، وقال في خطبته الرسميّة : أيها الناس انّي ذاهبٌ غداً إلىٰ العراق ، أنا مشتاق إلىٰ الموت وأقول لكم : « *خُطَّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه وكأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء* »(١) .

انّ الموت ليس منقصة علىٰ أحد ، ألبسوا هذه القلّادة الذهبيّة للشهادة في أعناقكم ، والّا فانّ الموت سيطوّقكم بطوق اللعنة .

والجذور القرآنية لطوق اللعنة هذا ما ورد في الآيات الكريمة عن الأشخاص الذين يبخلون بالانفاق وبذل الحقوق الالهية ، فانهم سيطوّقون يوم القيامة بذلك : « *سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُو بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ* »(٢) وسيظهر هذا البخل علىٰ شكل معدن مذاب يطوّق به هذا البخيل ، هكذا يكون طوق اللعنة ، لأنَّ اللعنة صفة لفعل الله تعالىٰ .

في البداية وصف سيد الشهداء (ع) الموت ، وأعلن (ع) رسماً في مكة مع ان الجواسيس الأمويّين كانوا حاضرين ، ثمّ قال : « *من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فانّي راحل مصبحاً ان شاء الله*

---

(١) اللهوف (ابن طاووس) : ص ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٠ .

تعالىٰ »[١] .

يقول الامام علي (ع) وهو العارف الأول للاسلام في عهده لمالك الأشتر : أسأل الله عزوجل أن يُقسم الشهادة لي ولقائد جيشي ، وهكذا ولده المبارك معلّم الثورة للعالم الحسين بن علي (ع) ولم يُبد ذلك في دعاء عرفة فحسب ، بل ظهر أيضاً في خطبة مكّة ودعوته الناس للثورة .

وكذلك الامام زين العابدين (ع) والّذي يقول عنه الامام الخميني (رض) : نحن نفتخر انّ الصحيفة السجادية هي من بركات إمامنا ، ويقول (ع) :

« حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه ونصير به في نظم الشهداء بسيوف اعدائه أنّه ولي حميد »[٢] .

قد يخطر في ذهن الانسان عندما يكون الحديث عن الشهادة أنّه حتّىٰ العارف بحقّ أهل البيت إذا مات في فراشه مات شهيداً ، وهذا صحيح ، ولكن الامام ومن أجل أن لا يدع مجالاً للتأويل السقيم يقول : ونصير في نظم الشهداء بسيوف اعدائه ، فيتّضح من هذا الدعاء ماهيّة الحماسة العرفانية بصورة كاملة .

هنا يتّضح لنا السبب في انّ الامام الخميني (رض) قال في وصيّته

---

(١) اللهوف : ص ٥٣ .
(٢) الصحيفة السجادية ـ دعاء أول .

السياسيّة الالهيّة في ضمن دعوته لنا بالمشاركة في عزاء واحياء ذكرىٰ جميع الائمة ، قال بصراحة في خصوص مراسم سيد الشهداء : ولكن لا تغفلوا عن المشاركة في خصوص مراسم سيد الشهداء والمظلومين الحسين بن علي عليهما صلوات الله وانبيائه وملائكته .

هذا ما ورد في وصيّته الرسميّة ، وورد أيضاً في هذه العبارة انّ الحسين بن علي (ع) هو روح الثورة الكبير فلا تغفلوا عن روحه الثورية الكبيرة ، وهذه علامة علىٰ انسجام المعرفة والثورة .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « *انّ أكرم الموت القتل*[١] (في سبيل الله) » .

للموت درجات وأفضلها هو القتل في سبيل الله ، وقال أيضاً وفقاً لهذا المعيار : « *فرض الله الجهاد عزّاً للاسلام* »[٢] يعني بالرغم من انّ الله عزوجل قال : « *وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ* »[٣] ولكن طريق العزّة هو القتال .

عندما نرى ان ايران الاسلامية وصلت إلىٰ أوج العزّة ، فذلك كان ببركة دم الشهداء ، وتضحية الأسرىٰ وفقدان المفقودين وايثار المضحّين وحضور الناس في الساحة السياسية وإذا أراد أحدٌ الوقوف في الصفّ

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ .
(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٢٥٢ .
(٣) سورة المنافقون : الآية ٨.

المخالف لهذا ، فان أمير المؤمنين (ع) يقول في حقه : « *أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم بألسنتكم ، ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ، ولم ينكر منكراً ، قُلب فجُعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه* »[١] فلو لم يكن الانسان من أهل العقل والشرع ويرىٰ ما يراه الوحي والعقل صحيحاً فيراه صحيحاً كذلك ، وما رآه الوحي والعقل باطلاً فيراه باطلاً كذلك فهو انسان مقلوب .

المعروف انما سمي معروفاً لأنَّه معترفٌ به من قبل العقل والشرع ، والمنكر انّما سمي منكراً لأنَّه مرفوض من قبل العقل والشرع ولم يعترفا به ، فيقول (ع) هكذا انسان هو انسان مقلوب رأسه إلىٰ الأعلىٰ لكن قلبه إلىٰ الأسفل .

وانما يحشر بعض الناس يوم القيامة رؤوسهم إلىٰ الأسفل مثل الحيوانات والسحالي والديدان : « *وَلَو تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِم* »[٢] فلأنّ جميع سعيهم في الدنيا كان من أجل اشباع بطونهم .

قال أمير المؤمنين (ع) لأحد أصحابه : لا تجادل ذلك الشخص الأموي .

فهو قد عرف من المسائل الشرعية ما يبرّر بها ذنوبه ، فعرف مثلاً

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣٧٥ .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٢ .

الموارد التي يجوز الافطار فيها حتّىٰ يقول انّني أفطرت لأنني مُبتلٍ بمرض في معدتي ...

فكل مسألة فقهية لها مواردُ للاستثناء ، الصوم من الواجبات الاّ في بعض الحالات ، وإعطاء الزكاة والخمس من الواجبات الاّ بالصورة الفلانيّة، ويجب ان نصلّي من قيام الاّ في الحالة الفلانية ، والخلاصة أنَّه لا يوجد حكم من الأحكام الاّ وله موارد استثنائية ، الامام علي (ع) يقول لعمّار عن المغيرة بن شعبة : أنَّه تعلّم المسائل الشرعية من أجل موارده الاستثنائية ويبيع دينه لذلك ، فينبغي عليك تركه ، فهو يشّبه علىٰ نفسه عمداً : « ***دعه يا عمّار فانه لن يأخذ من الدين الاّ ما قرّبه من الدنيا ، وعلى عمدٍ لبَس على نفسه ، ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته*** »[1] .

وبعض الناس يشبّهون علىٰ أنفسهم عمداً والاّ فطريق السعادة مفتوح . ولهذا نرى الكثير من الشباب قد صلحوا ، وصلح أيضاً نظام الدولة الاسلاميّة وتحوّل إلىٰ الأفضل ، ولكن هنا بعض الناس الذين يتشابهون في سكونهم ونشاطهم ومعاملاتهم وذهابهم ومجيئهم ، ويتشابهون بأفكارهم وفي كلامهم ويحملون نظرة خاطئة بالنسبة إلىٰ الثورة الاسلامية ، فيمكن أن يقولوا ان جميع الناس يتحدّثون بكلامنا ويرون رأينا ، كلّا ليس جميع الناس ، بل أنتم ٥٠٠ نفر ، فيجب أن تخرجوا من جحوركم ، ولا تشبّهوا علىٰ

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤٠٥ .

أنفسكم عمداً، وانظروا ماذا يقول الناس.

عشرات الآلاف من الناس جاؤوا لزيارة مرقد الامام الراحل في طهران مشياً علىٰ الأقدام فمن كان هؤلاء ؟ ومن حفظ هذه الدولة سوىٰ الناس المضحّين في المدن ؟ فهؤلاء هم أصحاب هذه الدولة الحقيقيّون.

فعندما نرىٰ ان الناس تأتي من الأماكن البعيدة سيراً علىٰ الأقدام لزيارة مرقد الامام الخميني (قدّس سرّه) فذلك لأنَّ الامام (قده) شكّل النظام الاسلامي وضحّىٰ بروحه لإحياء طريق الحسين بن علي (ع).

لابدّ أن تمضي قرون عديدة لكي يُعرف المقام الشامخ للامام الراحل، فلو استثنينا الائمة المعصومين الذين (لا يقاس بهم أحد)، كان عزيزنا هذا الّذي خلَّف رحيله حرقةً في قلوبنا لا يمكننا التعويض عنها وجبرانها بهذه السرعة، وهو ليس بأقلّ من أيّ واحدٍ من أولاد الائمة ان لم يكن أكثر.

نحن نقرأ في زيارة أولاد الائمة: « أشهد انّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله وجاهدت في سبيل الله حقّ جهاده حتّىٰ أتاك اليقين » فاذا كنّا قد سمعنا بهذه المطالب ومحتوى هذه الزيارات لسائر أولاد الائمة، فنحن قد رأيناها بأعيننا لدىٰ الامام الراحل رحمة الله عليه.

لو قارنّا أحداث ما قبل الثورة الاسلاميّة وأحداث ما بعدها لرأينا ان جميع المراجع أفتوا ضدّ الكفر والظلم، وجميع المدرّسين في الحوزة العلميّة

ذكروا مطالب ضدّ الطغيان ، وجميع الخطباء قالوا كذلك ، أمَّا الشخص الّذي استطاع ان يحطّم الكفر ، واستطاع أن يـقلع نـظام الظـلم مـن جـذوره ، واستطاع أن يقول أنَّه يجب أن تُقطع أيادي الاستعمار ، فهو الامام الخميني كل هذا كان من أثره وهذا ما لا يستطيع الأشخاص العاديون القيام به .

ولذلك يمكن القول بكل إخلاص : أشهد انّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة .

يعتبر الامام الخميني (قده) من أفضل أنصار الامام الحسين بن علي (ع) لأنَّه يقول في وصيّته السياسيّة الالهيّة : عندما يـوصينا أهـل البـيت بزيارة عاشوراء في كل يوم وفي الصلاة علىٰ أهل البيت (عليهم السلام) دائماً واللعنة علىٰ أعدائهم ، فهو لطرد هذا اللون المنفور من التفكير ، والّا فليس الحديث الآن عن معاوية ويزيد ، فقد زال اسمهم وذكرهم ، وليس قبرهم الآن سوىٰ مزبلة لا أكثر ، بل الحديث الآن عـن فكـر وطـريق يـزيد ، والحديث عن يزيد العصر . إمرأة فرعون لم تقل : إلهي نجنّي من فرعون فقط، بل قالت : « رَبِّى نَجِّنِى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ »[1]

العقيدة هي الباقية علىٰ مدىٰ التاريخ ، وطريق سيّد الشهداء حـيّ الآن ، الدموع علىٰ الشهيد يصاحبها الشوق إلىٰ الشهـادة ، البكـاء عـلىٰ الشهيد يُحيي في الانسان دم الثورة ، الانسان الحسيني لا يظلم ، ولا يقبل

---

(١) سورة التحريم : الآية ١١ .

الظلم ، وعندما يحاول بعضُ الناس بأنْ يظلم أو يقبل بالظلم فذلك بسبب افتقارهم لخلق الحسين (ع) في أنفسهم .

يستحيل علىٰ الشيعي المخلص للحسين بن عليّ (ع) أن يفكّر بان يظلم أو يقبل الظلم ، الشخص الظالم هو أموي ، والشخص الّذي يقبل الظلم أموي أيضاً ، لأنَّ هؤلاء الأشخاص هم الذين يَظلمون عند الاستطاعة ، والاّ فسيقبلون بالظلم . لا يمكن أن يظلم الانسان أو يقبل بالظلم ولا يكون أموياً ، ولذا يُدعىٰ كلّ انسان يوم القيامة باسم امامه : « *يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم* »[1] فالشخص الظالم سيكون في صف الأمويين ، فاذا أردنا أن نعرف طريقنا هل هو طريق الامام الحسين (ع) أو طريق الأمويين ، فيجب أن نرىٰ في أنفسنا هل نشعر بالرغبة في الظلم والتسلّط أو قبول الظلم أو لا . فلو رأينا الميل إلىٰ هذه الخصلة القبيحة في أنفسنا فيجب أن نعيد النظر في أخلاقنا .

سيد الشهداء (ع) جمع أصحابه ليلة عاشوراء ، وتحدّث اليهم وأتمّ عليهم الحجّة وقال : انّ هؤلاء لا يبغون غيري وأنتم أوفياء جداً ، لكن ليس أمامنا سوىٰ الموت والشهادة ، لأنَّ الجيش الأموي قد غطّىٰ هذه الأرض ـ ومن المعلوم انّ حضور الناس في جيش الأمويين كان بسبب الاعلام السيّء ـ فانّ كل من يبقىٰ فسوف يستشهد ، حتّىٰ ان طفلي الرضيع سوف لا ينجو من القتل . فقال القاسم (ع) : يا عمّ ، هل ان هؤلاء سوف

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٧١ .

يهجمون علىٰ الخيام ؟ فقال الحسين (ع) : كلّا ما دمت حيّاً .

فقال القاسم : ان الطفل الرضيع لا يذهب إلىٰ ساحة القتال ، فلو لم يهجموا علىٰ الخيام فكيف يستشهد ؟ فقال (ع) : عندما يتفتت كبده من العطش فأقول لأهله أعطوني طفلي الرضيع لكي أسقيه ماءاً ، وفي تلك اللحظة يأتيه سهم ويسقيه من كأس الشهادة . فقال القاسم : يا عمّ هل أستشهد أنا أيضاً ؟ فقال (ع) : كيف ترى الموت ؟ فقال القاسم : « أحلىٰ من العسل » ، هكذا تكون الثورة العرفانية بأنَّ تكون الشهادة عنده أحلىٰ من العسل .

ثم قال (ع) : نعم ، أنت أيضاً تكون شهيداً[١] .

يقول الامام زين العابدين (ع) كما تقدّم سابقاً في الرواية : انّ حبيب بن مظاهر الّذي كان أحد أصحاب الامام الحسين (ع) المتقدّمين في السن قال للامام الحسين (ع) : هل انّ زين العابدين يستشهد أيضاً ؟ فقال : لا لأنَّه أبٌ لثمانية ائمة . وعندما سمع الامام (ع) لأصحابه بتركه ورفع البيعة عنهم ، كان العبّاس بن علي أول من أظهر وفاءه للامام وقال : من المستحيل أن نتركك يا بن رسول الله . بعد ذلك تحدّث كل واحد من الصحابة بهذا الكلام . فقال أبو عبد الله (ع) : الآن وحيث انكم غير مستعدّين لمفارقتي ، فاذهبوا بنسائكم وأطفالكم الى إحدىٰ القرىٰ القريبة . ولو فرضنا ان

---

(١) نفس المهموم (للقمي) : ص ٢٣٠ .

الأصحاب قالوا لنسائهم هذا الكلام فلعلّ النساء سيقلن أيضاً : كما انّكم غير مستعدّين لترك ابن رسول الله ، فنحن أيضاً لا نترك إبنة علي ، وبذلك شاركت نساء أصحاب الامام الحسين (ع) زينب الكبرىٰ (س) في جهادها .

ثم قال (ع) : اغسلوا ثيابكم وألبسوا غداً من نظيف الثياب حتّىٰ تكون غداً كفناً لكم ، فلا أحد يقوم بتغسيلكم [١] ، فبالرغم من ان الشهيد لا يُغسَّل ، إلّا أنَّه يُكفَّن [٢] ، ويكون لباسه كفنه ، وبعد ذلك ذهب كلّ واحد من الصحابة إلىٰ خيمته واشتغل بالعبادة والمناجاة مع الله تعالىٰ ، فمن راكع وساجد وذاكرٍ لله تعالىٰ يناجي ربّه حتّىٰ الصباح [٣] فكانوا مشغولين في الدعاء والوداع .

كان لسيّد الشهداء (ع) شوق كبير إلىٰ الصلاة والدعاء والمناجاة والذكر ويريد الآن أن يودّعها في هذه الليلة ، فعندما أصبح الصباح كان عمر بن سعد أوّل من رمىٰ بسهمٍ نحو خيام الحسين لكي يحصل علىٰ الجائزة [٤] . ثم تقاطرت السهام علىٰ الخيام مثل المطر ، فقال الامام الحسين (ع) قوموا رحمكم الله الآن أذنت لكم بالدفاع .

عندما كان أمير المؤمنين (ع) يقود الحرب ضدّ الأمويين ، فجأة

---

(١) الأخبار الطوال : ص ٢٢٩ ـ أمالي الصدوق : مجلس ٣٠ .

(٢) وسائل الشيعة : ج ٢ ، ص ٧٥٩ .

(٣) نفس المهموم (للقمي) : ص ٢٣٣ .

(٤) اللهوف : ص ١٨ ـ البحار : ج ٤٥ ، ص ١٠ ـ نفس المهموم : ص ٢٤٩ .

شاهدوا الامام (ع) يبكي. فقالوا: ممّ بكاؤك يا أمير المؤمنين؟ قال (ع): ان الحسين برز إلىٰ الميدان، فقالوا: نعم لقد ذهب ولكنّه رجع سالماً. فقال (ع): أنا لا أبكي عليه في هذا اليوم، فانّ ابني هذا سوف يبرز في أحد الأيام راكباً جواده إلىٰ الميدان، ولكن فرسه سيرجع بدون صاحبه ويحمحم ويقول في حمحمته: «**ويقول في حمحمته الظليمة الظليمة من أمةٍ قتلت ابن بنت نبيّها**»[1].

فالامام أمير المؤمنين (ع) بكىٰ أولاً علىٰ هذا الحال، وكذلك بكىٰ الامام صاحب الزمان (عج) لهذه الحالة أيضاً: وأسرع فرسك شارداً إلىٰ خيامك قاصداً محمحماً باكياً فلمّا رأين النساء جوادك مخزيّاً ونظرْنَ سرجك عليه ملوياً برزن من الخدور ناشرات الشعور علىٰ الخدود لاطمات وللوجوه سافرات وبالعويل داعيات وبعد العزّ مذلّلات وإلىٰ مصرعك مبادرات[2].

ويقول: يا جدّاه لو بكيت عليك صباحاً ومساءاً، ولو انتهت دموعي وبكيت بدلها دماً فلي العذر في ذلك، لأنني لا أتحمّل هذا المنظر أن يأتي فرسك بدونك إلىٰ الخيام، ونساء أهل البيت يلطمنَ علىٰ وجوههن ناشرات الشعور، ويتحركن ويتوجّهن عدّة أقدام نحو مقتلك برؤوس مكشوفة. لابدّ لي من صبرٍ عظيم حتّىٰ أرىٰ بنت علي (ع) واضعة يدها علىٰ

---

(١) مقتل أبي مخنف: ص ٩٧.

(٢) البحار: ج ٩٨، ص ٢٤٠ و٣٢٢.

رأسها ، لماذا وضعت ابنة علي يدها علىٰ رأسها ؟ ان وضعها يـديها عـلىٰ رأسها مصحوبٌ بطلب[١] .

من الآداب الاسلامية أن تُفتح أزرار المحتضر ، ولا تُوضع يـدٌ أو شيءٌ ثقيل علىٰ صدره حتّىٰ يسلّم المحتضر روحه بسهولة .

وهكذا كانت حالة سيد الشهداء الحسين بن علي في مقتله ، وفجأة رأىٰ ان صدره أصبح ثقيلاً جدّاً ، فقال (ع) : « من أنت ؟ لقد ارتقيت مرتقاً عظيماً طالما قبّله رسول الله »[٢]

بعض الناس رأىٰ النبي (ص) يفتح أزرار قميص الحسين بن علي (ع) ويقبّله من صدره حتّىٰ نحره كراراً ولكنّهم لم يعرفوا[٣] السّر في ذلك .

ولم تمض مدّة حتّىٰ سمعوا صوت التكبير يعلو ، فقالت نساء الحسين للامام السجاد (ع) : ماذا حـصل : فـقال (ع) : انـظروا هـذا رأس والدي الحسين علىٰ الرمح[٤]

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعـلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) البحار : ج ٤٥ ، ص ٦٠ ـ اللهوف : ص ١١٨ .

(٢) مقتل أبي مخنف : ص ٩١ .

(٣) معالي السبطين : ص ٥٦ .

(٤) اللهوف : ص ١١٢ ـ الصواعق المحرقة (ابن حجر) : ص ١٩٢ .



المحاضرة العاشرة :

الحماسة والعرفان مفردتان مهمتان ومتلازمتان وفي عرض واحد ولذا عند ترك احداهما ستترك الأخرىٰ ، كما هو الحال في القرآن والعترة فإنّهما متلازمان وفي عرض واحد، وحضور أحدهما يستلزم حضور الآخر، وترك أحدهما يستوجب ترك الآخر ، يعني ان مهجورية القرآن تستلزم مهجوريّة العترة الطاهرة ، كما أنَّ هجران العترة الطاهرة هو بنفسه هجران للقرآن الكريم . والاشخاص الذين كانوا في صدد اخراج القرآن والعترة من ساحة المجتمع هم الأمويون أولاً ، ومن بعدهم أتباعهم ، لأنّ بني أميّة غير مسلمين من الأساس .

يقول أمير المؤمنين (ع) عن الأمويين : « *ما أسلموا ولكن استسلموا* ،

وأسرّوا الكفر »[١] ، فهؤلاء كانوا كفّاراً إلىٰ زمان فتح مكة ، وبعد الفتح أصبحوا منافقين ، ومن أجل أن يصلوا إلىٰ أهدافهم المشؤومة سعوا إلىٰ تقوية النمط الجاهلي بين الناس ، واستعانوا بالسّلطة الحاكمة لتقوية الجاهلية، في بداية الأمر نفذوا إلىٰ الهيئة الحاكمة ، ثم بعد ذلك استلموا السلطة ، ثم انهم أرادوا إخراج الدين باسم الدين ، وقد نجحوا في ذلك إلىٰ حدٍّ ما ، واستمرّ هذا الحال حتّىٰ سنة ٦٠ ـ ٦١ للهجرة .

إنّ ارجاع القرآن الكريم والعترة إلىٰ الميدان السياسي والاجتماعي مرّة ثانية لم يكن ممكناً الّا بثورة سيد الشهداء التاريخية وببذل دمه وماله وأسر عائلته وأطفاله ، ولو أمكن تحقيق هذا الهدف بأقل من ذلك لما أقدم سيد الشهداء علىٰ هذا العمل أبداً .

ولا يعني قيام الامام الحسين بالثورة انه أشجع من أمير المؤمنين (ع)، إذ لا يوجد أي فرق بين الحسين بن علي (ع) وعلي بن أبي طالب ، فلو لم يكن أمير المؤمنين (ع) أشجع من الحسين بن علي فهو مساوٍ له ، فكيف قام الحسين بن علي (ع) بعمل لم يقم به أمير المؤمنين (ع) ؟ ولماذا قال الامام علي (ع) : « *... فنظرتُ فاذا ليس لي معينٌ الّا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، وأغضيتُ علىٰ القذىٰ ...* »[٢]

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ١٦ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٦ .

فهل من الصحيح أن نقول (معاذ الله) إنّ أمير المؤمنين (ع) لو اختار في حينه الشهادة هو وأهل بيته ، لأحييٰ بذلك الإسلام والقرآن والعترة ، ولكنّه مع ذلك امتنع من الاقدام ، وبخل بهم ؟ أو نقول بأنَّ استشهادهم وقتئذٍ لم يكن مؤثراً ، لأنّ الأمويين قد تمكّنوا من النفوذ في الهيئة الحاكمة بدرجة لو استشهد جميع أهل البيت (ع) لم يؤثر ذلك في رفع مهجوريّة الثقلين ؟

يوضّح الامام علي (ع) نفوذ المنافقين في الجهاز الحاكم بهذه الصورة وهي أنّ المنافقين كانوا يشكّلون رقماً كبيراً بين المسلمين في صدر الإسلام ، وهؤلاء كانوا مخالفين للنبي الأكرم (ص) مائة بالمائة ومشغولين بالتآمر علىٰ الإسلام دائماً .

فعلىٰ سبيل المثال في غزوة أحد تحرّك المسلمون من المدينة متوجّهين إلىٰ جبل أُحد بجيش يناهز الألف مقاتل ، ولكن ما إن خرج هذا الجيش من المدينة حتّىٰ رجع منهم أكثر من (٣٠٠) رجل ، أو انّهم لم يكونوا مستعدين للمشاركة في القتال ، مع انّ النبي (ص) كان علىٰ رأس الجيش في ذلك الوقت ، والامام علي (ع) حامل اللواء ، والوحي ينزل بالقرآن لتثبيت المسلمين ، حتّىٰ انّ النبي (ص) ورد ميدان الحرب بنفسه ومن ورائه جميع المسلمين وبدأت الحرب واحتدم القتال ، الّا انّ هؤلاء الثلاثمائة ونيّف لم يحضروا المعركة .

كان هؤلاء المنافقون وبهذا العدد يحوكون الدسائس ضدّ الإسـلام والنبي(ص) في صدر الإسلام، والدليل علىٰ ذلك موقفهم هذا من النبي (ص) في غزوة أحد ، وهكذا في الغزوات الأخرىٰ ، كانوا يسعون لاقامة علاقات مشبوهة مع المشركين ، وكذلك سعوا في مؤامرة اغتيال النبي (ص) في حادثة ليلة العقبة[١] .

وعندما يئسوا من نجاح مؤامراتهم السياسيّة والعسكـريّة ، قـاموا ببعض الأعمال القبيحة اجتماعياً وأخلاقياً ، وحادثة الإفك التي حدثت في صدر الإسلام نموذج من هذا القبيل ، فقد بلغ بعضهم من الرذيلة إلىٰ مستوىٰ أن اتّهموا ـ معاذ الله ـ إحـدىٰ زوجـات النـبي بـشرفها ليشـوّهوا سمـعة النبي (ص)[٢] ، ولم يكن هذا العـمل سـوىٰ دسـيسة أخـلاقية اجـتماعية للمنافقين . فهؤلاء عندما رأوا فشلهم في علاقاتهم السياسيّة ، ولم يفلحوا في تحزّباتهم العسكريّة ، كان آخـر أمـرهم اشـاعة الفـحشاء وإثـارة التهـم والافتراءات حول نساء النبي الأكرم (ص) .

والله عزّوجل يصرّح في القرآن الكريم بالفرق بين هاتين المسألتين ، فيقول : من الممكن أن تكون زوجة النبي كافرة ، ولكن كفرها لا يلوث ولا يضر الحرم الآمن لرسالة زوجها . إنَّ زوجة نوح كانت كافرة ، كما انّ زوجة

---

(١) الاصابة : ج ٢ ، ص ٢٧١ ـ البحار : ج ١٩ ـ السيرة الحلبيّة : ج ٢ ، ص ١٧ .
(٢) راجع تفسير نور الثقلين والميزان في تفسير سورة النور .

النبي لوط كانت كافرة أيضاً[١] ، ولم يمس ذلك الشرف الرفيع للرسالة والنبوّة ، ولكن من غير الممكن أن تكون زوجة النبي ملوّثة وغير عفيفة ، فانّ هذا يستلزم هتك حيثيّة النبي (ص) الاجتماعية . وقد ذكر القرآن الكريم هاتين المسألتين كلاًّ علىٰ حدة . [نعم] ، انّ مؤامرات المنافقين قد وصلت إلىٰ الحدّ الّذي قالوا فيه ـ معاذ الله ـ انّ إحدىٰ زوجات النبي الأكرم (ص) غير عفيفة .

والآيات الواردة في سورة النور نزلت لحفظ نزاهة بيت النبي (ص) ، لقد اعترض القرآن علىٰ المسلمين ، لماذا لم يقفوا أمام اشاعة هذه الفاحشة ؟![٢]

إذن ، كان المنافقون مستعدّين لعمل أيّ شيء في سبيل اجهاض الإسلام ، فمن جهة كانوا يرتبطون بروابط سياسيّة مع المشركين : «*فَتَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَة ...*»[٣] .

ويقولون لعلّ القرآن والنظام الاسلامي ينهزم ويرجع النظام الجاهلي ، فلماذا نقطع ارتباطنا مع الكفّار ؟

لقد فضح القرآن الكريم هذا السرّ بقوله للرسول الكريم (ص) :

---

(١) سورة التحريم : الآية ١٠ (فيها ذكر لأمرأتي نوح ولوط) .

(٢) سورة النور : الآيات ١١ و١٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٢ .

« فعَسَىٰ ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ » (١) .

فإنّ النظام السائد قد ينتهي أمره قريباً ويصبح في ذمّة التاريخ ببركة الفتح أو الأمر الالهي ويخلي مكانه للنظام الاسلامي الجديد الّذي سيستمر ويقوىٰ ، ويخيب بذلك أمر المنافقين .

وهكذا كان ، يعني أنَّ روابط المنافقين العسكرية والسياسيّة مع المشركين لم تنفعهم شيئاً وقد فضحهم القرآن الكريم ، ثم انهم قاموا بمحاولة اغتيال النبي (ص) ولم يفلحوا أيضاً ، وأخيراً قاموا بأقبح الأعمال وأشنعها وقد فضحهم القرآن الكريم حيث قال : إنَّ الذين حاولوا اتّهام بيت النبي والطعن بشرف أفراد عائلته الطاهرين كانوا من المنافقين الملعونين ، كما ورد ذلك في سورة النور :

« انّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » (٢)

وإذا أردنا أن نخرج بنتيجة من هذا التحليل فلابدّ أن نرىٰ ما هو حال المنافقين بعد رحلة الرسول (ص) الذين كانوا يشكّلون في ذلك الوقت ثلث المسلمين تقريباً ، وكانوا في صراع مستمرّ مع النبي (ص) ...

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٢٣ .

كيف زالت كل تلك المؤامرات السياسية والعسكرية والأخلاقية ضدّ الإسلام والمسلمين بمجرّد وفاة النبي (ص) وجلوس الامام علي (ع) في داره ؟

هل يمكن القول : بأنَّ وفاة النبي (ص) تزامنت مع موت جميع المنافقين وزوالهم ؟

أو نصدّق بأنَّ جميع المنافقين قد تابوا بعد وفاة رسول الله (ص) وأصبحوا مثل سلمان وأبي ذر ؟

أو يجب أن نقول : إنّ هؤلاء قد اتّحدوا مع الحكومة في ذلك الوقت ؟

فاذا كان الأول غير صحيح والثاني كذلك ، فلابدّ أن يكون الثالث هو الصحيح ، لأنّ هذا الجمع الكثير لم يتوبوا في وقت واحد ، ولم يموتوا سويّةً كذلك ، بل اتّفقوا مع الهيئة الحاكمة ... أي انّ معاوية وبني اميّة قاطبة قد انخرطوا في سلك الحكومة . والدليل علىٰ ذلك انّ الأمر لم يلبث طويلاً حتّىٰ نجد أنّ معاوية الّذي كان حاملاً لواء المشركين حتّىٰ آخر لحظة أصبح والياً علىٰ الشام .

لقد حكم معاوية أربعين سنة تقريباً ، عشرين سنة منها بعنوان والٍ وأمير علىٰ الشام ، وعشرين سنة أُخرىٰ كان بعنوان خليفة !

فكيف أصبح معاوية بهذا المستوىٰ ؟! كيف أصبح والياً رسميّاً علىٰ الشام وكانت له روابط مع المستشارين المسيحيين الذين كانوا يردون من

بلاد الروم ؟ لماذا انتخب بلاد الشام ؟ ولماذا كان قوّاد الجيش في الشام في ذلك الوقت من بني أميّة ؟ لماذا لم يكن للايرانيين المسلمين والمضحّين أي سمة ومنصب ؟ لماذا نجد أن اشخاصاً نظير سلمان الفارسي الّذي ذهب من ايران وصار أحد المسلمين المضحّين والمؤمنين لم يكن لديهم أيّ منصب حسّاس ؟ لماذا صارت قيادة الجيش الاسلامي بيد أعراب الجاهليّة ؟ كل ذلك من مؤامرات الأمويين الذين اتّصلوا بالسلطة المركزية للحكومة وانتفعوا من ذلك أيّما انتفاع .

وفي هذا الصدد يقول الامام علي(ع): « ***وانّما الناس مع الملوك والدنيا، إلّا من عصم الله*** »[(١)] .

هؤلاء قد اتّفقوا مع الحكومة ، والناس يتّبعون الحكومة في أفكارها ، وما ورد في ديوان سعدي : « الناس علىٰ دين ملوكهم » فانّ جذوره تستقي من كلام علي (ع) هذا .

والجيش الأموي يحتاج لأموال طائلة لتشكيل جيش مسلّح ومنظّم ومقتدر ، وهذه الأموال لم تكن موجودة في المدينة ولا في مكة . ولم يكن هذا الأمر ميسوراً الّا في الشام حيث يعيش الأثرياء المحتكرون ، بل يمكنهم الارتباط مع قياصرة الروم من جانب ، وتشكيل جيش قوي وجرّار بتلك الأموال من جانب آخر .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٠ .

ولذلك انتخب معاوية الشام لأنّه لا يستطيع مـواصـلة الحكـومة الجاهلية دون أن يكون له جيش بذلك المستوىٰ . إنّ طبع الجاهلية هو الغارة والنهب ، والتعصّب القومي ، وقد حفظوا الأصالة العـربيّة بهـذا التـعصّب القومي ، واستمرّوا علىٰ الغارة والنهب بواسطة الأموال الطائلة في الشام .

ومن أجل أن لا يستلم المسلمون المراكز الحسّاسة والأعمال المهمة ، فقد جذبوا إلىٰ حكومتهم سرجون المسيحي وغيره من المسيحيين من الروم ليمكنهم تشكيل قدرة عسكريّة كبيرة ، ولكي يتمكّنوا بهذا الجيش الجرّار من خنق أيّ تحرّك اسلامي في البلاد ، فعندما ثار االناس في خراسان سعىٰ الكثير إلىٰ اخماد الثورة فلم يستطيعوا الّا بواسطة الجيش الأموي الجـرّار الّذي تحرّك من الشام وتمكّن اخيراً من خنق الثورة . وهكذا حال الكثير من الأماكن في البلاد الاسلامية فعندما لا يتمكّن الأمراء من اخماد الثورة كان الجيش الأموي يتحرّك من الشام ليطفيء الثورة ، والآن أيضاً نجد العفالقة وآل سعود يمتلكون مثل هذا الجيش المتعصّب الجاهلي .

إنّ القرآن الكريم رفع الستار عن ذلك ، وفي نفس الوقت حاول أن لا يجرح عواطف العرب ، ولكنّه أراد أن يُفهم الآخرين قدرَهم ومنزلتهم . فمثلاً ينبغي أن نبارك للايرانيين أنَّ لهم طبيعة التوحيد أكثر من الآخرين ، انّ الله عزّ وجل قال في قرآنه الكريم مخـاطباً العـرب : « *وَلَـوْ نَـزَّلْنَاهُ عَـلَىٰ بَـعْضِ*

الأَعْجَمِينَ فقرأهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤمِنِينَ »[١] .

لقد أشار الله عزّ وجلّ في هذه الآية إلىٰ أنّ العرب متعصّبون لقوميّتهم أكثر من العجم ، فهذا مدح وثناء للأعاجم دون العرب ، وفي نفس الوقت لوّح للقدح بالعرب ، فيقول أنتم ايّها العرب متعصّبون إلىٰ درجة أنَّ كتاب الله لو أنزل بلسان غير عربي لم تكونوا لتؤمنوا به ، ولكن غيركم آمنوا به مع انه ليس بلسانهم .

المعيار لديكم هو كونه عربيّاً أو غير عربي ، ولكن الفرس مثلاً ليسوا كذلك ، فليس لديهم تعصّب فارسي ، بل أنَّ المسلمين الفرس لهم رغبة خاصّة بلغة العرب لأنّها لغة القرآن ، فهذا هجاء لطيف للعرب لكي يتركوا التعصّب العربي .

وقد استفاد الأمويون من هذه الخصلة إلىٰ حدٍّ كبير من أجل أن يحفظوا التعصّب القومي وطباع الغارة والنهب والسلب التي كانت لديهم في زمن الجاهليّة ، يجب أن يُبقوا الناس في حالة الجهل كي يستفيدوا من جهلهم ، ولذلك كان تعليم القراءة والكتابة ممنوعاً ، وبذلك أغلقوا أبواب تحصيل العلم والثقافة علىٰ الناس ، وليس الحال أنَّ الناس في ذلك الزمان لم يكونوا علىٰ استعداد لتحصيل العلوم .

انّ هشام بن عبد الملك وهو الخليفة العاشر للسلسلة الأموية

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٩٨ .

الفاسدة دعا لإبقاء الناس في حالة الجهل والجاهلية ، طبقاً لبرنامج مدروس ، فعندما كان يذكر الامام الباقر (ع) وهو الامام الخامس للشيعة كان يقول : هو باقر العلوم ووصي الأوصياء ووارث الأنبياء .

هذا من جهة ، ومن جهة أُخرىٰ عندما جاؤوا بالامام الباقر من المدينة إلىٰ الشام ، وقابله أهل الشام ولمسوا ما في ثقافة الحجاز من العلوم رأىٰ هشام بن عبد الملك أنَّ الناس متعطّشون إلىٰ الثقافة الاسلامية ويتوافدون علىٰ بيت الامام الباقر (ع) ، فأمر فوراً بارجاعه إلىٰ المدينة حتّىٰ لا يتعرّف الناس علىٰ العلوم الاسلامية . لأنّ الطواغيت لا يمكنهم أن يُبقوا الخُلق الجاهلي في نفوس الناس الّا أن يعيش الناس في حالة الجهل ، فلذلك قال النبي الأكرم (ص) كما انكم لا تستطيعون الحياة بدون الماء والهواء ، فلا يستطيع أن يقول أحد انه لا أتنفّس حتى الموت ، ولا أشرب الماء حتّىٰ الموت ، بل الواجب علىٰ الانسان أن يتنفّس ويشرب الماء حتّىٰ لا يموت ، وكذلك من الواجب أن يقتبس العلم ، وتكون له جلسات علمية ويقرأ الكتب ويستمع المحاضرات ويجب عليه أن يصير عالماً لكي يحيي روحه .

فهذه الثقافة الغنيّة قد اصبحت ببركة سيد الشهداء (ع) وعلىٰ يد ولده الامام الراحل (رض) قويّة في ايران الاسلامية إلىٰ درجة انه ورد عن النبي الأكرم (ص) انه قال : « *اطلبوا العلم ولو في الصين* »[(١)] واليوم نجد الكثير

---

(١) البحار : ج ١ ، ص ١٨٠ .

من طلّاب العلوم الصينيين يردون الى الحوزات العلميّة الايرانيّة ، يعني أنَّ الصينيين الآن يقولون : « اطلبوا العلم ولو في ايران » فنجد الطلّاب الصينيين متواجدين في مشهد وقم لتحصيل العلوم الاسلامية ، وهكذا سائر الطلّاب من الصين والباكستان الذين يتوافدون علىٰ مشهد وقم للدراسة وهذه هي حصيلة تصدير الثورة .

نرىٰ الآن كيف انّ الثورة الاسلامية غيّرت موضع العلم من مكان الىٰ آخر وبينهما فاصلة ألف فرسخ . هل كنّا نتصوّر انه سيأتي يوم يتوجّه فيه طلّاب العلوم الدينية من أقصىٰ نقاط الشرق إلىٰ الحوزة العلمية في مشهد وقم ؟

ان هذه الرابطة والعلاقة هي رابطة علميّة ومن نتائج الثورة الاسلامية ، بحيث أنَّ صوت الثورة وتصديرها قد جعل المسلمين في الصين عطاشىٰ اليها وانجذبوا نحو ايران .

عندما يوصي النبي الأكرم (ص) المسلمين بوجوب تحصيل العلم وأن يكونوا علماء ، ويعقدوا جلسات علميّة ... يجب علىٰ العلماء تشكيل هذه الجلسات العلميّة فيما يجب علىٰ الناس أن يشاركوا فيها . وما لم يكن الناس بالمستوىٰ المطلوب من الناحيّة الثقافيّة فحتى لو كان الامام المعصوم علي بن أبي طالب (ع) يقود المجتمع فانّ الأمويين سيتسلّطون عليهم ، غاية الأمر تغيّر الصورة والشكل في كلّ زمان من شكل لآخر .

عندما انتهت معركة النهروان بمقتل الخوارج قيل لعلي بن أبي طالب (ع) انّ الخوارج قد انتهوا ، فقال (ع) : «*كلّا والله ، انهم نطف في أصلاب الرجال ، وقرارات النساء ، كلّما نجم منهم قَرنٌ قُطع ، حتّىٰ يكون آخرهم لصوصاً سلّابين*»[1] فيتّضح للناس بأنَّ هؤلاء لصوصٌ مسلّحون ، كما أصبح معلوماً انّ المنافقين أي منظمة (خلق) هم لصوص مسلّحون .

إذن فالواجب يُحتم علينا أن نكون سياسيين وعلماء في مشكلات هذا الزمان وندرس مشاكل المجتمع في العصر الراهن بوعي ، فلا نخدع ولا ننخدع ، ولا نبقىٰ جهّالاً وأن لا نسيء استغلال جهل الناس ، فكما أنَّ الصلاة واجبة علينا ، فبعض العلوم واجب عيني وبعضها واجب كفائي . نظراً لقيام الأمويين بقطع الطريق أمام التقدّم الثقافي للناس .

ومن ذلك نفهم لماذا ترك الامام علي (ع) المدينة ومجاورة النبي (ص) وتوجّه إلىٰ الكوفة . ويتّضح أيضاً لماذا ترك الامام الحسين بن علي (ع) مجاورة النبي وتوجّه إلىٰ كربلاء . كل ذلك من أجل أن يكونا قريبين من الناس حتّىٰ يستضيء المجتمع من علومهما ، والّا فانّ أمير المؤمنين (ع) لم يكن مستعدّاً لترك المدينة المنوّرة لانّها تعتبر مركزاً لحكومة رسول الله(ص) في ذلك الوقت ، ولا يوجد مسجد بعد المسجد الحرام بعظمة وفضيلة مسجد النبي (ص) في جميع أقطار الأرض ، فلماذا ترك الامام امير المؤمنين (ع)

---

(١) نهج البلاغة .

المدينة وتوجّه إلىٰ الكوفة ؟[١] ما هي الفضيلة والميزة الموجودة في الكوفة دون المدينة ؟

عندما اتّخذ الامام علي (ع) الكوفة مركزاً له وسعىٰ أن يبني روابط مع أهل الشام كان ذلك لتثقيف الناس وتوجيههم ، ولجذب المجتمع الشامي ليتمكّن من أن يقلع الأمويين من جذورهم .

لقد قطع الأمويون ارتباط الناس في الشام بمركز الثقافة الاسلامية يعني المدينة وأمثالها ، وفضّلوا الارتباط مع الروم دون الكوفة والمدينة ، وعندما كان بعض أهل الشام يتوجّهون إلىٰ مكة كانوا يجعلون عليهم العيون ، ومقولة أنّ الحج يجب أن يُقتصر فيه علىٰ الطواف والسعي قد ورثه آل سعود من الأمويين حيث يقولون اليوم بأنّه لا معنىٰ للبراءة من المشركين ، في الوقت الّذي يخضع الحجاز بأجمعه لإدارة أمريكا .

يقول آل سعود انه ليس هناك مشرك في الحجاز لتقوموا بتظاهرات البراءة من المشركين في مكة ، في حين أنَّ الحجاز بأجمعه في قبضة أمريكا ، إنّ بيع السلاح ونهب النفط مؤامرة ، فعندما اغرىٰ الأمريكيون المشركون صداماً العفلقي بالحرب ضدّ ايران كان ذلك بتمويل آل سعود ، وقد أحرقوا المساجد والمصاحف وخرّبوا المراكز الدينيّة بهذا النفط ...

عندما كانت الصواريخ والطائرات تهدم المساجد في مدينة هويزة

---

(١) وسائل الشيعة : ج ٣ ، باب ١٥٢ ، احكام المساجد .

وسوسنجرد والمدن الأخرىٰ في ايران ، ألم يكن ذلك بنفط آل سعود ؟

إذن ، فلا يصحّ أن يقال انه لا يوجد أمريكيّ أو مشرك في الحجاز ولهذا نقوم بتظاهرات بالبراءة من المشركين .

لقد أوضح سيد الشهداء (ع) وبيّن السّر في نهضته المباركة ، وقال : كما أنَّ المهندس إذا أراد أن يشتري منجماً أو يستخرج معدناً فانّه يقوم باختباره ظاهراً وباطناً ، ويجرّب حالاته وأوضاعه ، ثم بعد ذلك يشتريه ، فأنا أيضاً اختبرت وتفحصت الأوضاع السياسيّة ونظرت إلىٰ أولها وآخرها وفكّرت كثيراً فيما أصنع ، فرأيت انّه لم يبقَ أمامي طريقٌ وحلٌّ سوىٰ أنْ أتحرّك أنا وجميع أفراد عائلتي ونقصد هذا الميدان ليُستشهد بعضُنا ، ويؤسر البعض الآخر ، لكي يفهم الناس الحقيقة ، وهكذا صنع الامام الحسين (ع) لإفهام الناس ، فقال (ع) : « ***لقد قلّبت الأمور فلم أجد الّا طريقاً واحداً*** »[1]

فعلىٰ هذا لا ينبغي لأحد أن يتصوّر بأنَّ الامام الحسين بن علي (ع) أشجع من علي بن أبي طالب (ع) ... يقول المرحوم كاشف الغطاء ان علي بن أبي طالب (ع) كان أشجع من الحسين (ع) لأنّ الحسين بن علي (ع) كان يحارب بسيفه فيقتل ويُقتل ، ولكن الامام علي (ع) بات أعزل علىٰ فراش النبي (ص) عندما هاجر (ص) من مكة إلىٰ المدينة ، في حين انّ أربعين سيفاً

---

(١) معالي السبطين : ص ٦٦ .

كان مصلتاً عليه لقتله ! وعندما علم هؤلاء المشركون أنَّ هذا النائم علىٰ الفراش ليس هو النبي (ص) تركوه وذهبوا (١) .

فكان هذا الفقيه الاسلامي المشهور يعتقد بأنَّ الامام علي أشجع من الامام الحسين (ع) ، والمرحوم كاشف الغطاء فقيه قل نظيره في عالم التشيّع بحيث أنَّ المرحوم صاحب الجواهر يقول في حقّه :

لم أرَ مثل هذا الفقيه المشهور في ذكائه وحدّة ذهنه .

كان الامام أمير المؤمنين (ع) يشكو من رجاله : « *يا أشباه الرجال ولا رجال ! حلوم الأطفال ، وعقول ربّات الحجال ، لوددت انّي لم أرَكم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً ، وأعقبت سدماً . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرَّعتموني نُغَب التهمام أنفاساً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتّىٰ لقد قالت قريش : إنَّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب* » (٢) .

ثم يقول : « *لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مراساً وأقدم وأعظم فيها مقاماً منّي ! لقد نهضتُ فيها وما بلغت العشرين ، وهانذا قد ذرَّفتُ على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع* » (٣) .

---

(١) بحار الأنوار : ج ١٩ ، ص ٥٥ .
(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ .
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ٢٧ .

انهم لن يتمكّنوا من القول بأنَّ عليّاً لم يكن قائداً عسكريّاً لأنَّه كان دائماً في الخط المتقدّم ، ولكنّهم استطاعوا القول انّ عليّاً مع انّه شجاع لكنّه لا يعرف الادارة العسكريّة ، والشجاعة غير الادارة العسكريّة . لقد رأينا في الدفاع المقدّس في طيلة ثماني سنوات انّ بعض المـجاهدين المـتطوّعين في القتال كانوا يتطوّعون لفرقة الهندسة العسكريّة وهي فـرقة مكـلّفة بـرفع الألغام ، وكنّا تارةً نتشرّف بزيارة الجبهات فنرىٰ انّ الفرقة المذكورة هي أفضل من سائر الفرق القتالية وكان أفرادها أشجع من الآخرين .

فالشجاع هو الّذي يعطي تمام وجوده ويقدّمه إلىٰ الله تعالىٰ ، كـان الآخرون يذهبون إلىٰ القتال وهم مسلّحون فيقتلون ويُقتلون ، ولكنّ أفراد هذه الفرقة كانوا أشجع الجميع واكثرهم مظلوميّة ، لأنّهم كانوا يبحثون عن الألغام بأيديهم من أجل ابطال مفعولها ، وفي بعض الأحيان يُقطَّعون إرباً إرباً بسبب انفجار الألغام ... فلا مثيل لأفراد هذه الفرقة الشجاعة الّا القليل من المجاهدين ، هؤلاء كانوا أصحاب شجاعة ، لكن القـيادة العسكـريّة شيء آخر ، فلا يصحّ أن يقال انّ كل واحد من أعضاء هذه الفرقة يصلح لقيادة الجيش ، لأنّ القيادة العسكريّة أمر تخصّصي .

وبذلك يتّضح لنا ما صنع الأمويّون ، وكيف انهم اتّهموا الامام علي بن أبي طالب(ع) بضعف القيادة العسكريّة، ولماذا قال علي بن أبي طالب(ع) انني أضنّ بأولادي علىٰ القتل ، ومن جهة أُخرىٰ نرىٰ انّ الحسن بن علي (ع)

يشير إلىٰ: انّ الحال سيؤدي بي إلىٰ أن أقتل أنا وأطفالي.

لانّ مصلحة الإسلام تكون تارةً بشرب السّم وكظم الغيظ كما فعل الامام الحسن (ع) والصبر وتجرّع المرّ هذا لا يعني المصالحة، وتقتضي المصلحة تارةً أُخرىٰ القيام بالثورة والتضحية بالموجود كما فعل الحسين بن علي (ع) ... فلا أحد يستطيع أن يثبت أن شجاعة الحسين بن علي (ع) أكثر من شجاعة الحسن بن علي (ع).

فالامام الحسن (ع) لو كان في عصر الحسين (ع) لصنع مثل ما صنع الحسين (ع) لكن مع وجود معاوية لم يرَ الامام الحسن (ع) حلّاً غير الصبر، وعندما مات معاوية قلّت الدسائس علىٰ الإسلام وحلَّ الصبيان محل الدهاة السياسيين، فعند ذلك أمكن فضحهم بسهولة.

وفي كلام الحسين بن علي (ع) اشارة الى انّني قد قلّبت الأمور رأساً علىٰ عقب فلم أجد حلّاً سوىٰ أن أُحطّم القدسيّة الأمويّة المزعومة بالقدسيّة العلويّة الصحيحة[1]. ولكن الذين يرون لأنفسهم القداسة المسمومة تراهم يصلّون صلاة الجمعة في يوم الأربعاء!! فعندما توجّه معاوية إلىٰ صفّين صلّىٰ صلاة الجمعة يوم الأربعاء وأطاعه في ذلك أهل الشام! لذلك كان معاوية يسعىٰ لإبقاء الناس جهّالاً، وعندما يقدم أحد معارضيه السياسيين إلىٰ الشام، يسعىٰ بأنْ لا يرتبط معه الناس برابطة ثقافية وعلميّة.

---

(١) مضمون الحديث.

ثم انه ومن أجل أن يخرج الامام علي بن أبي طالب (ع) من ميدان السياسة وليصبح بذلك القرآن مهجوراً، كتب رسالة خبيثة إلىٰ الامام علي (ع) ودعاه بها إلىٰ الإسلام والقرآن وتحدّث فيها عن عظمة القرآن والشهداء ودرجاتهم وشوّقه لذلك !!

فكتب الامام علي (ع) في جوابه يقول : « *أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله لدينه ، وتأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه ... وما أنت والفاضل والمفضول ، والسائس والمسوس ! وما للطلقاء وأبناء الطلقاء* » ويقول (ع) : « *فكنت في ذلك كناقل التمر إلىٰ هجَر أو داعي مسدِّدة إلىٰ النضال* »[1] وهَجَر منطقة في الأحساء كانت تصدِّر التمر ، ومنها رشيد الهجري أحد أصحاب الامام المعروفين . فالامام (ع) يريد أن يقول : أنت يا معاوية كمن جلب كميّة من التمر إلىٰ هَجر المشهورة بتصدير التمور ، أو كمن يدعو استاذه في الرماية إلىٰ المسابقة والمبارزة ، فأنا معلّم الرماية ، فكيف تدعوني إلىٰ المبارزة ؟! وأنت الّذي لا تعرف من السياسة شيئاً ، فكيف تعرف الفاضل من المفضول ، وتميّز السياسي من غيره ؟ وما علاقتك بهذه الأمور حتّىٰ تتحدّث عنها ؟ ومع انه ليس من اللائق أن يذكر الانسان فضائل أهل بيته إلّا انّي سأشير إلىٰ جانب منها ، فنحن في الدرجة القصوىٰ من الكرامة والشهادة ، فاعلم يا معاوية أن الشهداء الذين قاتلوا في جبهات القتال كثيرون ، ولكن عندما قتل أحدنا وهو عمّي حمزة أصبح سيد

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٢٨ .

الشهداء ، والكثير من المجاهدين تُقطع أيديهم في الحرب ولكن عندما قُطعت يدا أخي جعفر أعطي بدلهما جناحان يطير بهما في الجنة ولهذا يلقب بالطيار وذي الجناحين . *« فانّا صنائع ربّنا ، والناس بعدُ صنائع لنا »* فلا تقس أفراد بني اميّة بأهل البيت .. *« منّا النبي ومنكم المكذّب ، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ، ومنّا سيّد شباب أهل الجنّة ومنكم صبيةُ النار ، ومنّا خير نساء العالمين ، ومنكم حمّالة الحطب »*[1] وأسد الأحلاف إشارة إلىٰ أبي سفيان الّذي يُعتبر بمنزلة الأسد الّذي جمع الجموع وحلف وأقسم أن يسعىٰ لتحطيم القرآن وإزالته ...

بهذا الجواب أطفأ الامام مؤامرة معاوية ، ولكن الوضع استمر علىٰ هذا الحال إلىٰ استشهاد الامام علي (ع) ومن بعده الحسن بن علي (ع) وبقي ذلك التقديس الأموي واستمرّ يزداد يوماً بعد يوم ، وبذلك أصبح القرآن والعترة مهجورين وغريبين ، بحيث أنّه لم يبقَ ذكر للقرآن والعترة في مجالس الناس ، فلم يجد الحسين بن علي بدّاً من التضحية بنفسه وأهل بيته لإحياء الدين ، ولذلك توجّه من مكّة إلىٰ كربلاء فأحيىٰ بذلك الدين والقرآن والعترة .

لقد اتّضح الآن السبب في قول الامام الراحل انه وبعد شهادة امير المؤمنين (ع) كانت القوىٰ المضادّة للاسلام تسعىٰ لإخراج القرآن والعترة

---

(١) نهج البلاغة : كتاب ٢٨ .

من ميدان السياسة والمجتمع .. ونحن أيضاً ومن أجل أن نـرجـع القـرآن والعترة إلىٰ الساحة لابدّ وأن ندرس القرآن بعمق ونفهم بأن والي المسلمين يجب أن يكون عارفاً بالقرآن وعالماً بأحكامه ، وأن نفهم القرآن مجتمعين لا متفرّقين ، والّا فالوحدة الاسلامية والانسجام الحقيقي محال فالله عزّ وجلّ لا يدعونا إلىٰ الاتحاد والعيش سويّة فحسب ، بل يدعونا إلىٰ فهم القـرآن مجتمعين متّحدين : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا »[١] فليس المعنى انكم لابدّ وأن تكونوا مسلمين وكل واحد منكم يفهم القرآن ، بل معناه أن تفهموا القرآن متّحدين وتكونوا مسلمين معاً لا متفرّقين .

فاذا فهمنا القرآن بمجموعنا يمكن أن يتحمّل بعضنا البعض الآخر ، واذا كان هناك اختلاف في الآراء والأفكار في تحليلنا للمسائل الاسلاميّة فيمكن أن يتحمّل أحدنا الآخر ونتبادل الأفكار ووجهات النظر ، في حالة اقامة العزاء والمواكب ، وهذا يختلف عن اقامتنا للعزاء منفردين كلٌّ عـلىٰ حدة ، فبوحدتنا فقط يمكننا توجيه صفعة قويّة إلىٰ أفواه المرجفين ، ونكون شوكة في أعين الأعداء حتّىٰ ييأس المضادّون للثورة في الخارج والداخل .

لم يأمرنا الله تعالىٰ باقامة الأحكام الالهيّة فرادىٰ ، بـل دعـانا إلىٰ الصلاة جماعة ، وإلىٰ الصوم معاً ، وإلىٰ قراءة القرآن سويّة ، والأشـخاص الذين يخادعون أنفسهم ويقولون : انّ اقامة الصلاة والشـعائر الديـنيّة في

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

البيت وبشكل منفرد أفضل لحضور القلب ، هؤلاء تحت ولاية الشيطان ، هؤلاء المساكين لا يعلمون انهم يعبدون الشيطان طيلة عمرهم ، انّ إقدام هؤلاء الحفاة المشاركين في المواكب الحسينيّة ولطم الصدور علىٰ [مصيبة] أبي عبد الله الحسين (ع) أفضل من جباه هؤلاء المتحجّرين التي عليها آثار السجود .. هؤلاء لا يعلمون انهم يعبدون الشيطان ، أنىّٰ دعانا الله عزّ وجلّ أن نعبده فرادىٰ ؟! في كل مورد جاء الأمر بأنْ نعبده سويّة ، والاّ فلماذا قال رسول الله (ص) : « *لتحضرنّ المسجد أو لأحرقنّ عليكم منازلكم* »[١]

وبالرغم من أنَّ البعض استغل هذا الحديث ، فعندما رأوا علي بن أبي طالب (ع) مشغولاً بأمرٍ مهم ، جاؤوا وأرادوا إحراق بيته استناداً إلىٰ هذا الحديث الشريف !! فالتهديد بحرق باب بيت فاطمة وعلي كان بسبب قولهم انّ عليّاً لا يحضر إلىٰ المسجد ، ومع انّ علي بن أبي طالب (ع) كان معذوراً ، ولكنّهم اتّخذوا ذلك ذريعة ، فلا يتصوّر شخص انّ الصلاة في البيت عمل صحيح ، فالصلاة في البيت غير الصلاة في المساجد ، فيجب أن تكون المساجد مليئة بالمصلّين ، لأنّ كل ما لدينا هو من المساجد ، فلو ابتُليت احدىٰ العوائل لا سمح الله بولد منحرف فهذه العائلة سوف تتحمّل آلاماً كثيرة ، فمن الأفضل أن نقوّي روابطنا مع المسجد فهو مهد التربية للجميع

---

(١) وسائل الشيعة : ج ٥ ، ص ٣٧٦ ، حديث ٤ ، كتاب العلاقة ، باب كراهة ترك حضور الجماعة .

خصوصاً الشباب المراهقين .

لو فهمنا القرآن سويّةً لتحمّل بعضنا الآخر ، مثلاً لدينا الآن فقهاء كثيرون في مراكز الحوزات العلميّة ، ولدينا فقهاء كثيرون يختلفون في فهمهم لرواية واحدة فيفتون فتاوىٰ مختلفة ولكنّهم يتحمّلون بعضهم البعض ويسند بعضهم البعض الآخر ، فعندما يصلّي أحدهم خلف الآخر فانّه يرىٰ عمله صحيحاً ، لأنهم يتبادلون الآراء سويّة ، فتبادل الآراء والفهم الجماعي غير الفهم الفردي ، فالفهم الفردي يجرّ إلىٰ التنازع والفشل وزوال شوكة المسلمين ، حيث يقول تعالىٰ : « *وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ* »[1] فلذا نجد أنَّ القرآن الكريم يأمرنا بأنْ ندرك معارفه معاً ، يعني أن نصلّي جماعة ، ونخرج في مواكب العزاء مجتمعين ، وهذا الفهم المشترك والحفظ المشترك للمراكز الدينيّة له آثار جيّدة ويدعونا إلىٰ الوحدة .

الجميع يبكون علىٰ الحسين بن علي (ع) حتىّٰ انّ الامام أمير المؤمنين قال : « *لا يوم كيومك يا أبا عبد الله* »[2] وعندما جلس أبو عبد الله إلىٰ جانب الطشت الّذي كان الحسن بن علي (ع) يتقيّأ فيه كبده المبارك قال [الامام الحسن (ع)] أيضاً : « *لا يوم كيومك يا أبا عبد الله* » .

عند وفاة النبي الأكرم(ص) لم يغسله أحد سوىٰ علي بن أبي طالب(ع)

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٤٦ .

(٢) امالي الصدوق : مجلس ٣ ـ ٢٤ .

ولم يشترك في غسله أحد سوى الملائكة ، فكان أمير المؤمنين (ع) يقول : *« ولقد وُلِّيت غسله ـ صلى الله عليه وآله ـ والملائكة أعواني »*[١] ، فكان الملائكة يتوافدون للمشاركة بتغسيله (ص) ، ولما وصل الدور لتغسيل البدن المطهّر لأمير المؤمنين (ع) فقد غسله الامام الحسن بن علي (ع) في أتمّ الجلالة والعظمة وقد أعانه علىٰ ذلك الحسين والعباس ابنا علي (ع) ، لأنّ غسل الامام المعصوم لا يكون الّا بيد الامام الّذي بعده[٢] ، وتمّت كل تلك المراسم بجلالة وتعظيم من غسلهم وتكفينهم إلىٰ الصلاة عليهم ودفنهم كما هو معلوم ، ولكن جميعهم كانوا يقولون وحقّ لهم أن يقولوا : **« لا يوم كيومك يا أبا عبد الله »** .

فالله عزّ وجلّ وحده الّذي يعلم ما جرىٰ في عصر يوم عاشوراء علىٰ عائلة الحسين بن علي (ع) ، ولذلك أمر الامام الحسين (ع) ليلة عاشوراء بأنْ يقرّبوا بين الخيام ويحفروا الخندق حولها ، وكان إلىٰ الشمال الشرقي من كربلاء قصب قد نما إلىٰ جانب نهر الفرات ، فقال (ع) : خذوا من هذا القصب واجعلوه في الخندق واشعلوا فيه النار حتّىٰ لا يتمكّن العدو أن يهاجمنا من الخلف ، فهذا العدو ـ كما أعلم ـ لا يتورّع عن الهجوم من خلف

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٧ ـ بحار الأنوار : ج ٢٢ ، ص ٥١٣ ـ ح ٢٧ ، ص ٢٨٩ .
(٢) أصول الكافي : ج ١ ، ص ٢٨٤ (باب ان الامام لا يغسله الّا الامام) .

الخيام[١] ، ولذلك فانهم حفروا حول الخيام خندقاً وأشعلوا فيه النار ، فبقيت فتحة ضيّقة أمام الخيام مفتوحة لذهاب وإياب الأصحاب الىٰ ساحة القتال ، وكانت جميع اطراف الخيام محاطة بالخندق .

وعندما حلّ عصر يوم عاشوراء أغار أعداء البشريّة والدين علىٰ الخيام وأحرقوها عبر هذا الممرّ المفتوح ، فكيف هرب أطفال أبي عبد الله الحسين (ع) من هذا الطريق ؟ الله يعلم ذلك ... لو كان هناك طريق مفتوح خلف الخيام لاستطاعوا الفرار منه ، ولكنّه لا يوجد غير هذا الطريق ، فسألوا زينب الكبرى، وزينب(ع) سألت بدورها الامام زين العابدين (ع): يا ابن أخي ماذا نصنع ؟ فقال (ع) : « *عليكنّ بالفرار* »[٢] ولكن من أيّ طريق يمكنهم الفرار ؟!

ولهذا قال الامام صاحب الزمان (ع) : لو بكيت عليك بدل الدموع دماً ، ولو بكيت ليلي ونهاري لكان ذلك قليلاً بحقّك[٣] ، وفي هذا المقطع من الحادثة سلب بعض الأعداء الأقراط من آذان الأطفال ولذلك أمرت زينب الكبرىٰ (ع) أن يلقوا بما عندهم من الحلي كي لا يتبعهم الأعداء ، وهذا كان من أصعب المواقف علىٰ زينب الكبرىٰ .

---

(١) أمالي الصدوق :المجلس ٣٠ـ نفس المهموم : ص ٢٣٧ .
(٢) روضة الصفا : ج ٣، ص ١٧٠ ـ معالي السبطين : ج ٢ ، ص ٥٢ .
(٣) زيارة الناحية .

ما أعظم الذات المقدّسة لزينب الكبرىٰ حيث يوصيها امام زمانها الحسين بن علي (ع) في آخر وداع له منها : « *اذكريني في نافلة الليل* »[١] الله العالم، فجميع المسؤوليّات كانت علىٰ عاتق زينب(س) لأنّ زين العابدين(ع) كان بحسب الظاهر مريضاً ولا مسؤولية عليه ، لأنّه لو كان سالماً لقتلوه لا محالة .

كان الطريق أمام الخيام ضيّقاً جدّاً ، ولم يسع لفرار الأطفال ، حيث انّ بعض الأطفال ماتوا في ليلة الحادي عشر من المحرّم من شدّة الخوف والألم ، ولم يلبثوا طويلاً حتّىٰ هجم الأعداء علىٰ الخيام ونهبوها ، ولم يُبقوا لمبيت الأطفال والعائلة سوىٰ خيمة واحدة نصف محترقة .

وفي ليلة الحادي عشر أو ليلة أُخرىٰ رأوا زينب الكبرى (س) تصلّي صلاة الليل من جلوس ، فقيل لها يا بنت أمير المؤمنين انّ الصلاة من قيام أفضل ، فقالت : نعم ، ولكن قد ضعُفت ركبتاي عن القيام !!

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ علي بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) زينب الكبرىٰ (تأليف نقدي) : ص ٦٢ .



المحاضرة الحادية عشرة :

انّ الفضائل الروحيّة والأخلاق العالية لا تتنافىٰ مع الثورة والحرب والدفاع ، بل هي متناسبة ومنسجمة معها أيضاً ، وقد تقدّم في المحاضرات السابقة اثبات هذا الانسجام من عدّة طرق ، ولعلّ صعوبة الجهاد والدفاع علىٰ الانسان لكون طبيعة المجتمع لا تتلاءم والحرب . لكن من أجـل أن يتقبّل الانسان هذا المعنىٰ ويتحرّك وراء الجهاد والدفاع ، لابدّ له من دوافع كافية لذلك .

إنّ البعض يعطي الجهاد والدفاع والحماسة صبغة دنـيويّة ، فـتارةً يَعِدون المقاتلين والمدافـعين بـالانتصار للـحصول عـلىٰ التراب والمـاء ، ويقولون انّ أرضكم سوف تتسع بانتصاركم علىٰ العـدو ، أو انّ وطـنكم

سوف يسلم بذلك، وتارةً يعدونهم بالجوائز وأمثال ذلك، وتارةً يستعملون اسلوب التهديد مع المقاتلين وانّه اذا لم تقاتلوا عدوّكم وتدافعوا عن وطنكم سوف تخسرون أرضكم وتفقدون أولادكم ... وهذا الوعد والوعيد دليل علىٰ انّ هذا الجهاد والدفاع ليس له صبغة عرفانيّة، فلا يوجد في هذا الوعد والوعيد روح الحماسة العرفانيّة.

أمّا لو جئنا إلىٰ الثورة والدفاع والحرب في ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) لوجدناها ممتزجة مع العرفان والزهد، فلا يوجد في مضامين كتب أهل البيت (عليهم السلام) أيّ وعد بالوصول إلىٰ أمور ماديّة ولا وعيد علىٰ فراقها، وقد نجد بعض الوعد والوعيد الدنيوي في كلمات القادة الإلهيين، ولكنّ الخط الحاكم علىٰ هذه الخطب والكلمات والروايات هو عدم استخدام الوعد والوعيد الماديين، فعندما يرسل أمير المؤمنين (ع) القوّات إلىٰ جبهات القتال أو يأمر بإرسالهم، نجد في خطبته (ع) اسلوب التشويق إلىٰ الزهد والعرفان أو الدعوة إلىٰ ترك الدنيا واحياء روح الشوق إلىٰ لقاء الله وأمثال ذلك.

ففي البداية ومن أجل شحذ الهمم وتهيئة القوّات يخطب الامام (ع) بالناس خطبة توحيديّة، ثم يخطب فيهم خطبة يتحدّث فيها عن العرفان والزهد، فنجد انّ كلام الامام (ع) في صدر الخطبة الّذي يتحدّث فيه عن الله تعالىٰ مليء بالعرفان، وما يقوله للناس وللقوّات كلّه موعظة وحثّ علىٰ

الزهد ، وذلك العرفان وهذا الزهد يختلطان مع الحماسة أيضاً ، فهو (ع) لم يقل : اذهبوا وقاتلوا لكي تغنموا وتزداد أرضكم ، ولم يقل : لو لم تقاتلوا ستفقدون ارضكم ومياهكم وأموالكم ، بل يقول (ع) : إذا ذهبتم إلىٰ القتال وجاهدتم فسوف تحظون بلقاء الله .

انّ نوع أوامر الامام (ع) عبارة عن نصائح في الزهد ، بحيث أنّه (ع) عندما كان يرسل الكتب إلىٰ عمّاله في الحكومة الاسلاميّة ، أو يرسل الرسائل إلىٰ المجاهدين المرابطين لحماية ثغور المسلمين ، كان يشوّقهم للجهاد والدفاع ، فتارةً يقول : « *من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات* »[1] والسّر في أنَّ المصيبة الدنيويّة صعبة علىٰ الانسان هو انّ الانسان يفقد بها محبوبه المادي ، ولكنّ الزهد ينزّه الانسان عن محبّة الدنيا .

فالامام علي (ع) يوضح معنىٰ الزهد بهذه الصورة فيقول : انّك إذا تعلّقت بشيء من أمور الدنيا ومتاعها فانّك في الحقيقة قد أحببت شيئاً معرضاً زائلاً عنك ولا يبادلك المحبّة وسوف يفضحك .

إذن ، فلماذا تتعلّق بشيء يسعىٰ لطردك واذلالك بكل قواه : « *زهدك في راغب فيك نقصان حظٍّ ، ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس* »[2] أنت عزيز فلا تذلَّنّ نفسك ، إنَّ الملائكة راغبة فيك والجنّة منتظرة قدومك ، والأنبياء

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم ٣١ .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ٤٥١ .

والأولياء مشتاقون للقائك ، فلماذا لا ترغب فيهم ؟ انّ عدم رغبتك في الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين والصدّيقين والجنّة وجنّة اللقاء تسبب حرمانك ، هؤلاء لهم علاقة ورغبة فيك ، فلماذا لا نقابلهم بذلك ؟ وزهدك هذا وعدم رغبتك فيمن يحبّك دليل علىٰ نقصان حظّك ، وفي المقابل تجد انّ الدنيا تعاديك بكلّ قواها وتحاول الاضرار بك وتحطيمك ولكنّك مع ذلك متعلّق بها ، فرغبتك في الدنيا التي تسعىٰ لتحطيمك بمنتهىٰ القساوة يؤدّي الى ذلّتك ، فلماذا تحبّ شيئاً يسعىٰ للفتك بك بكلّ ما أوتي من قوّة ؟ وهل تترك الدنيا الانسان هادئ البال ؟ ولذلك اتركها قبل أن تتركك . هكذا يخاطب الامام (ع) عمّاله والمجاهدين في الأمصار الاسلاميّة[1] .

الدنيا مصيدة الشيطان وهي ليست السماوات والأرض ، وهذه أيضاً ليست من الدنيا في شيء ، بل هي آيات الهيّة ، فلا الماء قبيح أومرفوض ، ولا التراب ولا الجبل ولا السهل أو الصحراء ، فالله عزّ وجلّ هو الّذي خلق هذه المخلوقات وهي مخلوقات شريفة جداً ، ولكنّ المناصب الاعتباريّة واحترام الناس ، أو انني أملك من المال كذا وكذا .. أو انّ لي منزلة اجتماعية واتصدّر بذلك المجالس ، وامضائي معروف للجميع ، أو لي جاه عند الناس ... فهذه الأوهام هي الدنيا ، والّا فانّ الأرض غير الدنيا ، فمن اهتمّ بالأرض والزراعة لكي يسدّ حاجة المجتمع الاسلامي بانتاجه فعمله هذا من عمل

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم ٤٥١ .

الآخرة لا الدنيا ، ولكنّ الوهم بأنَّ هذا المال هو مالي ، وأنـا أفـضل مـن الشخص الفلاني ، وأعلىٰ منه ولي تأليفات أكثر مـنه ، ومـا إلىٰ ذلك مـن الوساوس القبيحة ... كلّ هذا هو الدنيا .

الدنيا ليست أمراً عدميّاً ، فانّ نفس هذه العناوين الاعتباريّة هـي مصيدة الشيطان ، وبما انها مصيدة للشيطان ، وهو قويّ وغويّ وفي نفس الوقت من أهل الضلالة ، فلذلك يجب أن نقول : «*أعوذ بالله القويّ من الشيطان الغويّ*» وابليس الغويّ هذا يسعىٰ بهذه المصيدة لتحطيم الانسان ، فالصيّاد الّذي يُلقي شباكه في الماء يبذل كلّ مساعيه لهدر حياة السمك ، فليس من السهل أن يقع الانسان في فخّ الدنيا ويتمكّن من الافلات حيث يشـاء ، لانّها لا تتركه حتّىٰ تذلّه وتذهب بكرامته واحترامه ومنزلته بين الناس ، وتجعله حطاماً لا اكثر .

والله عزّ وجلّ أنذر البشر وحذّرهم بأنَّ الشيطان لا يهتمّ بمقدار ما عندكم من المال ، ولا يسعىٰ بأنْ تكونوا بدون أموال أو بدون منزل ، أنَّـه يريد تحطيم حيثيّتكم وسمعتكم ، انظروا ماذا صنع بآدم وحوّاء[١] ... إن جلَّ سعيه أن يذهب بسمعةِ الانسان . احذروا يا بني آدم من فتنة ابليس الّذي سعىٰ إلىٰ إزالة شرف آدم وحوّاء ، فلا يوجد للشيطان عمل سوىٰ القضاء

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٧ « يا بني آدم لا يـفتننّكم الشـيطان كـما أخـرج أبويكم من الجنّة ... انّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » .

علىٰ حيثيّة الانسان وشرفه، وعندما يصبح الانسان بدون حيثيّة وشرف فانّه لا يستطيع عمل شيء بعد ذلك، ويتبدّل إلىٰ قُمامة.

الشيطان يسعىٰ للحصول علىٰ نقطة ضعف فينا، وعندما يجدها ويفهم انّ هناك خصلة سيّئة في باطن الانسان يسعىٰ إلىٰ إثارة رغباته الكامنة، وعندئذٍ تزول سمعته واحترامه بين الناس، فلا يكون لهذا الانسان في المجتمع أيّ عمل ايجابي ... وهكذا هو حال الدنيا، ولا يوجد انسان قد عَرف الدنيا وعرّفها كالامام علي (ع).

انّ النبي الأكرم (ص) هو معلّمنا جميعاً وله منزلته الخاصة في الأمّة الاسلامية، ولكن لا يوجد شخص عارفٌ بالدنيا وقادر علىٰ تعريفها للناس بعد النبي كالامام علي (ع).

يقول (ع): انّكم رغبتم في شيء يسعىٰ للقضاء علىٰ سمعتكم واحترامكم بجميع صُوَرِه، وهذا هو الدنيا.

يقول في كلام آخر: *«أيّها الناس متاع الدنيا حطامٌ مُوبِئ، فتجنّبوا مرعاه، قُلعَتُها أحظىٰ من طُمأنينتها، وبُلغتها أزكىٰ من ثروتها»*[1] لقد وضعتم علىٰ أعينكم نظّارة خضراء ولهذا ترون الدنيا خضراء لطيفة، فينبغي عليكم رفع هذه النظّارة عن أعينكم لكي تروا الدنيا على حقيقتها، فهي حطامٌ لا أكثر.

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٦٧.

(والحطام يطلق علىٰ بقايا نباتات الحنطة المتيبسة بعد الحصاد ـ التبن ـ لأنّها تتحطّم بسرعة) .

إذن ، الدنيا ليست خضراء ، بل أنَّ التعلّق بالدنيا عبارة عن نظّارة خضراء ... الدنيا صفراء دائماً وتعيش فصل الخريف ، فلا ربيع ولا خضرة .

وفي فصل الخريف تأتي الأغنام والمواشي لتأكل هذا الحطام ... والامام علي(ع) يبيّن انّ هذا الحطام يورث المرض ويلوّث النفوس، ويقول: لا تأكلوا من هذا الوباء ، فلو أردتم مرتعاً ينبغي عليكم أن تجدوا مكاناً آخر غير الدنيا ، لأنّها لا تصلح لأن تكون كذلك .

فهي أولاً : ليست خضراء بل صفراء ، وثانياً : انّها ليست يانعة بل حطامٌ ، وثالثاً : مريضة ومعدية .

إذن ، فالانسان الّذي يتعلّق ويرغب في الدنيا انسان مجنون ، واذا فهم شخص هذا الكلام من تعاليم القادة الالهيين خصوصاً أهل بيت العصمة والقرآن ، فانّه لابدّ وأن يسعىٰ لحفظ ماء وجهه في المجتمع ليل نهار ، ويعمل بنشاط في المجالات الاقتصاديّة لتقويّة النظام الاقتصادي الاسلامي ، وعمله هذا يكون عملاً أخرويّاً ، لا من أجل نفسه وورثته ، بل من أجل حلّ مشكلة التضخّم في اقتصاد المسلمين ، ومن أجل تماسك النظام الاسلامي في المجال الاقتصادي ، والّا لو كانت له أهداف أُخرىٰ فستظهر آثارها السيّئة عليه فيما بعد ، وإن كان لا يعلم بذلك فعلاً ... وكما قال الامام

علي (ع) مخاطباً الدنيا : « ***والله لو كنتِ شخصاً مرئياً ، وقالباً حسيّاً ، لأقمتُ عليكِ حدود الله في عبادٍ غررتهم بالأماني*** »(١) ومع ذلك فقد جلدها الامام (ع) بالسياط بأنْ فضحها أمام الناس وأذلّها .

إذن ، الدنيا مرتع مليء بالأمراض ، ولا يرغب أيّ حيوان الأكل منه، ولهذا فانّ الانسان الطالب للدنيا يكون أقبح وأرذل من أيّ حيوان ، فما هو هذا الانسان ؟ يتوقف تارةً عن الحركة ، وأُخرىٰ ينزل إلىٰ مستوىٰ الحيوان .

وتارةً إلىٰ مرتبة أدنىٰ من ذلك : « ***كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ*** »(٢) .

فيصل بذلك إلىٰ حدّ النبات ، وتارة ينزل مستواه إلىٰ أدنىٰ من ذلك فيصل إلىٰ حدّ الحجر ، بحيث أنّه يسمع المواعظ والنصائح مدّة طويلة ولا يتأثّر بها ، وقد ينزل إلىٰ أدنىٰ من هذه المرحلة ويكون أشد من الحجر ! لأنّ الحجر قد ينبع منه الماء في بعض الأحيان ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « ***فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً*** »(٣) وكما انّ للانسان في حالة نزوله وتسافله دركات : ١ ـ الركود ٢ ـ الحيوانيّة ٣ ـ أسفل من الحيوان ٤ ـ الوصول إلىٰ مرحلة النبات ٥ ـ الوصول إلىٰ المرحلة الحجريّة ٦ ـ أشدّ من الحجر ... فكذلك له درجات في التكامل أيضاً ، فالانسان المؤمن يمكنه الوصول

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٤٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٧٤ .

الى درجة يصلي فيها عليه الله عزّ وجلّ وملائكته ليل نهار : « ***هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ*** »[١] .

هل هذا المقام قليل للانسان بحيث انّ الملائكة يقولون : « اللهم صلّ علىٰ فلان » ؟

إذن ، للانسان بُعد واسع في كلا الطرفين .

وعصارة المطالب التي يخاطب بها الامام علي (ع) المجاهدين انّ المقاتل ينبغي أن يكون زهده زهد العارفين لا زهد الخائفين ، وهذا يُستشف من كلمات الامام علي (ع) فلا يوجد في كلامه وعود ولا وعيد ماديان ، فلا يقول : انّك إذا حاربت فسوف تتّسع أرضك ويزداد نفعك ، ولم يقل انّك إذا لم تحارب فسوف يأخذون أرضك ، وقد يقول هذا الكلام لضعاف المجاهدين والمقاتلين ، ولكنّ الخطّ العام الحاكم علىٰ كلمات الامام (ع) هو ما ذكرناه .

إذن ، الدنيا ليست اكثر من مرتع موبوء ، واقترابنا منها يمنعنا من ادراك قبحها ، لأنّ حاسّة الشمّ عندنا ستكون حينئذٍ معطلة ، لكن لو تجنّبناها قليلاً لرأينا قبحها « ***أزهد في الدنيا يبصّرك الله عوراتها*** »[٢] فعندما تبتعد عنها قليلاً سوف تدرك كم هي منتنة .

ثم يقول الامام علي (ع) انّ أولياء الله : « ***كأنّهم يرون ما لا يرىٰ الناس***

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٣ .

(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم رقم ٣٩١ .

ويسمعون *ما لا يسمعون*»[١] ففي البداية يذكر مرحلة (كأنّ) ثم تأتي بعد ذلك (إنَّ وأنَّ)، ففي البداية شبّه (ع) أولياء الله كأنّهم يرون ما لا يرىٰ الناس، أو يسمعون ما لا يسمع الناس، ثمّ يتقدّم خطوة الى الأمام فيترك (كأنّ) ويتقدّم إلىٰ (إنَّ) يعني إنّ أولياء الله يرون حتماً ما لا يراه الآخرون ويسمعون حتماً ما لا يسمعون.

كان أولياء الله في ليلة عاشوراء كأنّهم يرون ما لا يرىٰ الآخرون، وعندما أدّوا امتحانهم كاملاً، كشف لهم الحسين بن علي (ع) أماكنهم في الجنّة[٢]، ولو لم يتحملّ الانسان تعب وألم (كأنَّ) فانّه لا يصل إلىٰ مرحلة (إنَّ) ولا يُعطىٰ له هذه المنزلة، فأمير المؤمنين علي (ع) يصف الدنيا في مكان آخر من خطابه بأنها مكان لـ« صفّ النعال » فلو أردتم أن تفهموا قدر الدنيا فاعلموا انّها تعتبر مكاناً لصفّ النعال، وهو المكان المعدّ لوضع الأحذية وصفّها خارج الغرفة، فالامام يشبّه الدنيا ومحلّها من عالم الوجود بأنها مكان لصفّ النعال في العالم.

ويقول أيضاً: *« من هوان الدنيا علىٰ الله أنّه لا يُعصىٰ الّا فيها، ولا يُنال ما عنده الّا بتركها »*[٣].

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٢٢.

(٢) نفس المهموم: ص ٢٥٢، ط قم ١٤٠٥ هـ ق.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٨٥.

فلو تعالينا عنها فلا نجد أيّ مكان آخر يُعصىٰ الله فيه غيرها ، لا في الملكوت ولا في الجبروت ، فكيف بما فوق ذلك ؟!

فالله تعالىٰ يُعصىٰ في هذه الدنيا وعالم الطبيعة فقط ، ولا يمكن أن يصل الانسان إلىٰ ما (عند الله) الّا بتركها ، يعني أنّه لا يبقىٰ منها شيء ، ولا يدوم لها شيء *« ما عندكم ينفد وما عند الله باق »*[1] .

والقسم المهم من نصائح الامام علي بن أبي طالب (ع) العرفانيّة من خطبه ورسائله كان للمقاتلين من أجل تشجيعهم علىٰ القتال ، وإفهامهم حقيقة الدنيا وكيفيّتها ، ولذا لم يتحدّث (ع) اطلاقاً عن الغنائم المادّيّة في الحرب ، ولو خسروا منها شيئاً لم يعتبره الامام خسارة ، فهذا العرفان هو الّذي ينسجم مع الشجاعة والحماسة .

والامام الراحل (رضوان الله تعالىٰ عليه) يدعونا في وصيّته السياسيّة الالهيّة إلىٰ قراءة المناجاة الشعبانيّة والصحيفة السجاديّة ودعاء عرفة والصحيفة الفاطميّة ، وفي نفس الوقت يدعونا أيضاً إلىٰ تقوية روح الصمود والثورة ضدّ الشرق والغرب كما يظهر ذلك من جميع وصيّته . كما انّ سيّد الشهداء وأمير المؤمنين (عليهما السلام) كانا كذلك ، فهؤلاء يقولون لنا : *« الناس من خوف الذّل في الذّل »*[2] فما دمتم في طلب الدنيا فأنتم أذلّة ، ولو

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٦ .

(٢) مستدرك نهج البلاغة .

تركتم هذه الدنيا لأصبحتم أسياداً ، فلا تقولوا بعد ذلك : لقد قمنا بالثورة فماذا حصلنا ؟ انّنا قمنا بالثورة من أجل اجراء القانون الالهي ، وهذا الأمر طبعاً لا يخلو من أخطاء واشتباهات ، والسرّ في ذلك انّ بعض الناس الصلحاء لا يقدرون أو لا يريدون أن يكونوا في مقام ومنصب ، أمّا انهم لا يستطيعون ادارة الأمور اصلاً ، أو انّهم يبتعدون عنها بأعذار مختلفة ... ونجد انّ امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة يتضجّر ويئنّ منهم .

إنّ كتب الامام علي (ع) في نهج البلاغة يمكن أن تُقسّم إلىٰ ثلاثة أقسام :

الأول : الكتب والرسائل التي أرسلها الامام (ع) لعمّاله نظير مالك الأشتر الّذي خدم الإسلام خدمات جليلة ، ومن جملتها أنّه ربّىٰ ابنه ابراهيم بن مالك الأشتر ، وابراهيم هذا استطاع أن يقدّم لأهل البيت خدمات كثيرة في زمن المختار ، فقد استطاع هو وأمثاله بعد حادثة كربلاء أن ينتقموا من زياد بن أبيه وابن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وآخرين ... وهكذا نجد انّ بعض الناس يكون منبعاً للفضيلة والثواب ، فما أعظم توفيقهم ! فهذا الأب يخدم أمير المؤمنين (ع) تلك الخدمة ، وابنه يخدم ابن أمير المؤمنين (ع) .

إنّ قتل ابن زياد وشمر وعمر بن سعد يعتبر تشفيّاً لأهل البيت (عليهم السلام) بحيث حينما وصل نبأ قتل ابن زياد وعمر بن سعد وشمر

(لعنهم الله) إلىٰ الامام السجاد (ع) ارتاح لسماع ذلك النبأ[١] .

فعلىٰ هذا يكون القسم الأول من هذه الكتب والرسائل ما يختص بعمّال الامام (ع) من الفقهاء والعلماء والفضلاء والولاة وأصحاب الفكر السياسي النيّر .

القسم الثاني من هذه الرسائل : هي التي أُرسلت إلىٰ أصحاب الامام (ع) المخلصين ، ولكنّهم لم يكونوا يتمتعون بالقدرة الاداريّة ، مثل كميل الّذي كان من أصحاب السرّ للامام (ع) ، بحيث انّ الآخرين كانوا يطلبون من الامام (ع) أن يخصّص لهم وقتاً ليحدّثهم ويحدّثوه ، ولكنّه بالنسبة إلىٰ كميل نجده (ع) يأخذ بيده ويذهب معه إلىٰ الصحراء ويتنفّس الصعداء ويعلّمه تلك الكلمات والمطالب العرفانيّة والسامية الواردة في نهج البلاغة[٢] ، وفي نفس الوقت عندما أعطىٰ (ع) منطقة هيت إلىٰ كميل هذا لم يستطع ادارتها ، فكتب له الامام كتاباً معاتباً إيّاه علىٰ ذلك وقال له : « *أمّا بعد ، فانّ تضييع المرء ما ولّي ، وتكلّفه ما كفي ، لعجز حاضر ، ورأي متبرّ ... فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك علىٰ أوليائك ، غير شديد المنكب ، ولا مهيب الجانب ...* »[٣] .

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٦ ، ص ٥٢ ـ ارشاد المفيد ـ كشف الغمة ـ مقتل المقرم .
(٢) نهج البلاغة : قصار الحكم ١٤٧ .
(٣) نهج البلاغة : الكتاب ٦١ .

القسم الثالث من الرسائل : هي التي أُرسلت إلىٰ أشخاص غير صالحين أمثال زياد بن أبيه[١] .

لقد كان زياد بن أبيه من أسوأ الناس ، قلّ نظيره في عصره وزمانه ، وكان زياد هذا نائباً لأحد الأمراء الرسميّين للأمير (ع) وبالرغم من انّ الامام (ع) لم يعيّنه مباشرةً ، وقد عيّنه ابن عباس الّذي كان والياً علىٰ البصرة والأهواز وكرمان ، فمع عدم وجود الأفراد الصالحين أو مع وجودهم وعدم قبولهم للمنصب وصل الأمر إلىٰ زياد بن أبيه ليتولىٰ هذا المنصب . ومع انّ الامام (ع) لم يكتب في البداية كتاباً لزياد بن أبيه مباشرة ولكن بما انّ بعض المتنسكين المتحجّرين قد أصبح من الخوارج ، أو أنّه لم يعد يهتم بما يحصل للمسلمين ، ومنهم من وقع في حبائل السياسيين وغيّر من منهجه ، فلذا وصل إلىٰ المناصب السياسيّة للحكومة العلويّة زياد ابن أبيه وأمثاله .

وفي المقابل لو كان للامام علي (ع) وهو القائل :

« *ووالله لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الّذي فعلت* » من سرقة بيت المال « *ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفرا منّي بارادة ...* »[٢] أقول لو كان لهذا الامام أصحابٌ لائقين بالمقدار الكافي لما أعطىٰ الضوء الأخضر لزياد بن أبيه ولما انتصر الأمويون تدريجياً .

---

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٢٠ ، ٢١ ، ٤٤ .
(٢) نهج البلاغة : الكتاب ٤١ .

فعندما لا يكون هناك افرادٌ لهم القابليّة والاستعداد علىٰ الادارة في الحكومة الاسلاميّة أو انّهم يعتزلون الساحة السياسيّة والمجتمع ويتصوّرون انّ هذه فضيلة فسيؤدي الأمر إلىٰ الاختلال في الادارة، وتكون النتيجة استيلاء الظلم المنظّم الّذي هو أفضل من الهرج والمرج، لأنَّه لابدّ من تولّي شخص لإدارة زمام الدولة[١]، ففي ذلك الوقت تصل النوبة إلىٰ أمثال زياد بن أبيه، حتّىٰ لو كان قائد النظام الاسلامي هو الامام علي (ع).

ومن ذلك يتّضح ضرورة حضور الناس في الميادين العلميّة وتحصيلهم للعلوم المختلفة من أجل ادارة الدولة الاسلامية ولا سيّما الشباب الذين يجب عليهم السعي بجديّة مع التعمّق والالتزام الديني في طلب العلوم التخصّصيّة في شتىٰ الفروع العلميّة، ولو أصبحت لديهم القابلية علىٰ الادارة فينبغي عليهم السعي لاحياء هذه القابلية والاستعداد حتّىٰ يتمكّنوا بالعلم والالتزام الديني أن يديروا زاوية من زوايا المجتمع الاسلامي، والاّ فانّ المجتمع سوف يفقد المناعة اللاّزمة لو لم يكن له والٍ جيّد حتّىٰ لو كان القائد مثل علي (ع).

وعلىٰ كل حال، نجد أنَّ الامام علي (ع) يطرح دائماً مسائل الزهد في الدنيا حين بعثه للقوّات والمقاتلين وكذلك لأجل تعاون الولاة معه (ع) في

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠ (خطبة خاطب بها الخوارج وقال فيها لا حكم الاّ لله ... وانّه لابدّ للناس من أمير بر ...).

البلاد ، أمّا غير الامام (ع) من الحكّام فانّهم يستخدمون اسلوب الوعد والوعيد لتقوية روح القتال لدىٰ المقاتل فإمّا ، أن يعدّوه بقولهم حارب واغنم ، وإمّا أن يهدّدوه بقولهم لو لم تقاتل فانّك ستخسر . بينما نجد انّ هذا المعنىٰ لا يشكّل المحور الأصلي لأحاديث الامام علي (ع) ، لأنَّه لم يكن يرغّب الناس بالدنيا أبداً ، بل كان يريد دعوة الناس للعرفان والزهد حتّىٰ انّهم لو انتصروا سوف يحلّون مشاكل الآخرين ، ولهذا كانت تعاليم هذا الامام مثمرة لكثير من الناس ... يقول (ع) أنَّه ليس في الحرب غنيمة ، ونحن لا نذهب إلىٰ القتال حتى نكسب شيئاً ماديّاً ونؤمّن بذلك حياتنا ، بل نتوجّه إلىٰ القتال كي نتمكّن أن نخفف عن كاهل الفقراء .

إذن ، فالحرب والعرفان والحماسة مفردات متلازمة في الإسلام ... وهكذا كانت سيرة المقاتلين الحقيقيّين مثل سيرة امير المؤمنين (ع) والامام المجتبىٰ (ع) وسيّد الشهداء .

وفي ضمن هذا المطلب يتّضح انّ الامام الراحل (قدّس سرّه) وهو ذلك الرجل الصامد كيف كان ينشد الأشعار الغزليّة وفي نفس الوقت كان يناجي ربّه ، وكيف كان يصلّي صلاة الليل وهو في حالة المرض وكان محافظاً علىٰ حالة التورك أثناء تشهده ، وحتّىٰ حينما كان ممدّداً علىٰ فراش المرض والمغذي في يده كان مواظباً علىٰ مستحبّات الصلاة أيضاً ، فيده متّصلة بالمغذّي من جانب ، ومن جانب آخر يؤدّي المستحبّات !

فلو اطّلع الناس علىٰ الامام الراحل عن قربٍ وعرفوه لاتّضح لهم لماذا لم تبرد حرارة فراقه ، ولفهموا السبب في عدم انقطاع عـويل الأمّـة ، فبنفس المقدار الّذي أحرق فراق الامام قلوب اصدقائه ومحبّيه ، أفرح بذلك قلوب أعدائه .

نحن لم نجد من علماء الإسـلام مـن تـعرّض للاهـانة والدعـايات المغرضة من قبل أعداء الإسلام مثله الّا القليل ، ولم يوجد أحد بعظمته ، وكذلك لم يوجد أحد مثل الامام أمير المؤمنين (ع) ولن يوجد أبداً ، ولا نجد في الظروف الحاليّة ومنذ عشر سنوات مضت والىٰ الآن اذاعة بيد أعـداء الإسلام الّا وتحدّثت ضدّه ، وكم من الكتب التي نشرها آل سعود بعنوان (جاء دور المجوس) حيث نسبوا فيها ثورة الشعب المسـلم في ايـران إلىٰ المجوسيّة .

ولو انّ الامام الراحل (قدّس سرّه) كان مـهتمّاً بحـياته ومـعيشته الخاصة ، لم يكن الوهابيّون ضدّه ، ولم يتّخذ ملك المغرب وملك الأردن وهو البائع المتجوّل ـ (علىٰ حد تعبير الامام (ره)) ـ موقعاً ضدّه ..

عندما سألوا ذلك العالم الجليل أن يعرّف لهم الامام علي (ع) : قال : يكفي في شخصيّة علي (ع) انّ بعض الناس رفعوه إلىٰ حدّ الالوهيّة وبعضهم أنزلوه إلىٰ حدّ الكفر والشرك ... وهكذا عندما يصل الشخص إلىٰ المـرتبة القصوىٰ من الكمال تكون النتيجة انّ بعض الناس سيكونون من مـريديه

وبعضهم ضدّه.

لقد أدرك الامام (ره) جيّداً جميع أبعاد الدين وأحياها، فعندما كان يقال انّنا نريد الإسلام من دون علماء الدين والروحانيّين قام الامام بإحياء الروحانيّة. وعندما أصبحت المساجد فارغة في صدر الثورة الاسلامية جاء الامام وأحيىٰ المساجد وقال: المسجد خندق ومتراس.

وعندما كانت الأحزاب اليساريّة والمنافقة وأمثالها تنظر إلىٰ مواكب العزاء بوجهة نظر أُخرىٰ ويقولون ما فائدة البكاء؟ جاء الامام وأحيىٰ البكاء علىٰ الحسين بن علي (ع)، لأنّ البكاء مثمر، وشجّع علىٰ إقامة مواكب العزاء، كل هذه البركات كانت بواسطة الوجود المقدّس لنائب الامام صاحب الزمان(عج)، رحم الله تلك الروح المطهّرة برحمته وروحه وريحانه، ورزقه الله تعالىٰ وجميع المؤمنين والصالحين والصدّيقين والشهداء جنّة اللّقاء.

وبذلك نفهم انّ الزهد الحقيقي منسجم مع الحماسة، والعرفان متلائم معها أيضاً، والعبادة تتناسب معها [كذلك]، والمناجاة الشعبانيّة لا تستنكر الحرب، ودعاء عرفة لا يقاوم الدفاع، والصحيفة السجاديّة والصحيفة الفاطميّة لا تقاتلان القتال.

عندما اقترب وقت الغروب في كربلاء ليلة الحادي عشر من محرّم سعىٰ الجيش الأموي في ايصال رؤوس الشهداء إلىٰ دار الامارة في الكوفة

بأسرع وقت من أجل الحصول علىٰ الجائزة ، ولذلك قسّموا الرؤوس بينهم ، ومن جهة أُخرىٰ نهبوا ما كان علىٰ بدن سيّد الشهداء ، وحتّىٰ الثوب العتيق الّذي لبسه الامام تحت ثيابه فقد تمزّق بحوافر الخيل . وعندما وزّعوا الرؤوس ، لم يكن يعرفها من هؤلاء الثلاثين ألفاً الّا القليل ، وأمّا البقيّة ، يعني الأكثريّة القاطبة ، فلم يأتوا لطلب الجائزة بل هم من الخوارج الذين قالوا بتكفير أمير المؤمنين (ع) وجاؤوا من أجل الحصول علىٰ الثواب والجنّة !

إنّ الاشخاص الذين كانت لهم اليد الطولىٰ في حادثة كربلاء جاؤوا من الشام نظير عمر بن سعد أو ابن زياد والشمر وأمثالهم ، هؤلاء أدركوا مؤامرة كربلاء ، وكذلك سرجون الرومي المسيحي الّذي كان في البلاط الأموي وبقي فيه حتّىٰ موت معاوية . وقد أوصىٰ معاوية الى يزيد بأنْ يتّخذه مشاوراً له لمساعدته في ادارة الحكم ، وكان استلام ابن زياد لزمام المسؤوليّة في حادثة كربلاء من دسائس سرجون هذا ، وهو الذي أشار علىٰ يزيد وأوصاه أن يولّي ابن زياد علىٰ الكوفة ، وقال له : انّك لو جعلت ابن زياد قائداً علىٰ الجيش لانتهىٰ الأمر لصالحك ، وكان لهذه العلاقة القويّة بين الأمويّين والروميّين أثر كبير في وقوع فاجعة كربلاء .. وقد وصلوا إلىٰ غرضهم المشؤوم ، وهؤلاء هم الذين كانوا علىٰ علم بمجريات الأمور السياسيّة ، أمّا البقيّة فهم من أهل الكوفة والقرىٰ المحيطة بها الذين يشكّلون طائفة الخوارج .

فهؤلاء ومن أجل الحصول علىٰ الجنّة قتلوا أفضل النـاس ! ولذلك عندما طلب منهم سيّد الشهداء المهلة وقال : امهلونا هذه اللـيلة للـصلاة والعبادة ، قالوا له إنّ صلاتك غير مقبولة ، وعندما دعاهم الامام (ع) في ظهر عاشوراء إلىٰ ايقاف القتال حتّىٰ يصلي ، قالوا انّ صلاتك غير مقبولة . وقد أغار هؤلاء علىٰ الخيام من أجل الحصول علىٰ الثواب .. وهذه مـن آثـار التبليغ الأموي السيّئ ، فقد استمرّ مدّة طويلة حتّىٰ اقتنع الناس بصحة هذه القضايا ، ولذلك نجد انّ أهل الشام كانوا فرحين ويهنّئ بعضهم البعض الآخر لمقتل سيّد الشهداء وأصحابه ! وقد لبسوا الثياب الجـديدة ، وقـالوا إنّـه خارجي ، وكل من كان كذلك فدمه مهدور .. بهذه المؤامرة أوجدوا حادثة كربلاء .

ولقد قال سيّد الشهداء (ع) : إنّي سأغسل آثار الإعـلام المسـموم بدمي وأحيي به الحق[١] ، وهكذا صنع . وقال لعائلته : استعدّوا لتـحمّل مشقّة الأسر الثقيلة والله عزّ وجلّ سوف يعوّضكم عـن ذلك ، وفي ليـلة الحادي عشر من المحرّم لم يبق لأهل البيت سوىٰ خـيمة واحـدة نـصف محترقة ، وبعد أنْ انتهىٰ هجوم الأعداء رجـع الجـميع بأمـر الإمـام زيـن العابدين (ع) واجتمعوا في مكان واحد ، وعلموا بأنّ بعض الأطفال قد قتل أثناء فراره من المخيّم .

---

(١) مفهوم الحديث .

ومن جهة أُخرىٰ كانت خيمة (دار الحرب) ـ وقد خصّصت للأجساد المطهّرة للشهداء ـ إلىٰ جانب الخيام ، والله عزّ وجلّ وحده هو العالم كيف استطاعت هذه النسوة الأسيرات الصبر والتحمّل وهنّ يشاهدن جثث الشهداء ، لقد حُمِلَ جميع الشهداء إلىٰ خيمة (دار الحرب) باستثناء بعض الأجساد مثل الجسد المطهّر لسيّد الشهداء أو العباس بن علي وآخرين . فلم يُؤتَ بها إلىٰ الخيام ، ولكن من جهة أُخرىٰ لم يبقَ طاقة لهؤلاء العيال والأطفال للبكاء علىٰ هؤلاء الشهداء .

وفي الليلة الحادية عشرة من المحرّم جاؤوا بالرأس المطهّر للحسين بن علي (ع) إلىٰ الكوفة ، وهنا قيل انّ فاطمة الزهراء (س) تجلّت في عالم المثال لتلك المرأة المؤمنة ، فعلمت أنّ هذا الرأس رأس ابن رسول الله (ص) ![1]

إنّ حادثة كربلاء لم يقم بها أشخاص عاديّون ، ولا يمكن أن تحصل من أيّ انسان ، فقد ورد في أحوال سكينة (س) أنّها : «*كان الغالب عليها الاستغراق في الله*»[2] وكأن شيئاً لم يحدث في كربلاء ولم يستشهد الحسين(ع).

فلم تكن سكينة متأثّرة بذلك أبداً ، بل كان الغالب علىٰ حالها هو العرفان ، كانت غارقة في جمال الله وجلاله ، وقد جاءت إلىٰ جسد والدها المقطوع الرأس في تلك الحالة الاستغراقيّة ، فلم تكن لتبكي علىٰ المسائل

---

(١) راجع نفس المهموم : ص ٣٨٣ .

(٢) كتاب سكينة للمقرم : ص ٣٣ .

الدنيويّة أبداً، كما كان سيّد الشهداء (ع) نفسه كذلك، وكذلك كانت زينب الكبرىٰ وزين العابدين (ع). قد يبكي بعض الناس ويتألّم للقضايا الدنيويّة، ولكنّ هؤلاء ـ يعني الطراز الأوّل من الأسرىٰ ـ لم يكونوا كذلك.

فكما انّ الطراز الأوّل من الشهداء كانوا ثلّة خاصة، فكذلك كان الطراز الأوّل من الأسرىٰ ثلّة خاصّة، فعندما جاؤوا بهم إلىٰ الكوفة لم يُظهر أحد منهم الذلّة ولم يطلبوا الترحّم[1]، بل صرخوا بالناس، وعندما استهزأ ابن زياد بزينب (س) قالت في جوابه: *« هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم »*[2].

فالله عزّ وجلّ لا يسلّم دينه بيد أيّ شخص كان، فهو عزّ وجلّ يأمر نبيّه الأكرم في القرآن الكريم بأنْ يقول للناس: *« قُل لَوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ »*[3] أي انّكم لو لم تتوجّهوا لصدّ أعداء الدين وبقيتم في بيوتكم، فسوف يتوجّه إلىٰ القتال رجال لا يعرفون الخوف لإدارة الخط المتقدّم في جبهات القتال، وهذا وعد صريح في القرآن الكريم يؤكّد علىٰ أنّ القلوب بيد الله تعالىٰ، فحينما يكون الدين في خطر ولا تبرزون من بيوتكم لمواجهته فسوف يتوجّه هؤلاء الرجال الشجعان لصدّه.

---

(١) الاحتجاج (الطبرسي): ص ٦٦ ـ مثير الأحزان.

(٢) ارشاد المفيد: ص ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

زينب الكبرىٰ (س) قالت أيضاً لابن زياد انّ شهداء كربلاء هم من هذه الفئة ، فلا ينقصنا شيء ولم نفقد شيئاً ، فهؤلاء الشهداء استقبلوا الشهادة وكانت عليهم قضاءً وقدراً الهيّاً ، وستُبعثون جميعاً يوم القيامة وسيكونون هم أهل الحق وأنت المُدان .

وهذا حديث المطلع علىٰ قضاء الله المحتوم ، أنَّه حديث من يتكلّم عن القدرة الالهيّة ، فمع انّها (س) كانت مقيّدة الّا انّه لم يشغلها شيء سوىٰ ذكر جمال الحق وجلاله ، ولم يكن حديثها أبداً عن ذلّتها ومسكنتها وطلب الرحمة لها، بل كان حديثاً ثوريّاً ، واقتضت المصلحة وقتئذٍ إظهار المعجزات، فتارةً تظهر لها فاطمة الزهراء (س) إلىٰ جانب التنّور في الكوفة ، وتارةً يظهر لها أبو عبد الله (ع) في سوق الكوفة .

والامام (ع) لم يكن ليريد حل القضيّة بالمعجزة ما دام حيّاً ، ولكنْ بعد شهادته ظهرت عدّة معجزات ، ولم يبصرها الجميع طبعاً ، بل أبصرها مَنْ كانت له عين باصرة وأذن واعية ، فلذلك لم يسمع تلاوة القرآن من الرأس الشريف إلّا فئة خاصّة ، سمعوه يتلو هذه الآية : ﴿ *أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا* ﴾[1] .

لقد سمع أهل البيت ذلك ، وكذلك سمعته طائفة خاصّة من الناس ليكون معذرة إلىٰ ربّكم ، ومن المحتمل ان عامّة الناس لم تسمع شيئاً .

---

(١) ارشاد المفيد : ص ٢٢٨ .

وعلىٰ كلّ حال ، فبعد شهادة الامام الحسين (ع) أصبحت الأرضيّة صالحة لظهور المعجزات ، ولذلك لا نجد دليلاً قاطعاً علىٰ انكار ما ورد من المعجزات ومن ذلك انّ بعض الحكّام أجرىٰ الماء علىٰ القبر الطاهر للحسين(ع) ولكنّ الماء وصل إلىٰ قبره ورجع ، أو انّهم أرادوا حرث القبر الشريف فكانت الثيران التي تتولّىٰ حرث الأرض تصل إلىٰ القبر وتقف عنده لأنّ هذه الموجودات تعتبر مظهراً لقدرة الحق ، فتارةً يسمح للخيل بالهجوم علىٰ صدر الحسين (ع) ورضّ أضلاعه بحوافرها ، وتارةً لا يسمح للثيران بحرث قبره الشريف ، لأنّه قد آثر وبذل دمه وضحّىٰ بحياته ، وبعد ذلك جاء دور المكافأة بالاعجاز الالهي .

والله أدرىٰ كيف سحقت الخيل صدر الحسين (ع)[١] ، والله أعلم كيف جاءت زينب الكبرىٰ إلىٰ بدن الحسين وقلبته علىٰ ظهره وقالت : اللّهم تقبّل منّا هذا القربان[٢] .

السلام علىٰ الحسين وعلىٰ عليّ بن الحسين وعلىٰ أولاد الحسين وعلىٰ أصحاب الحسين .

---

(١) نفس المهموم : ص ٣٨١ ـ مثير الأحزان ـ مقتل الخوارزمي : ج ٢ ، ص ٣٤ .
(٢) الكبريت الأحمر : ج ٢ ، ص ١٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثانية عشرة :

« الثورة تحتاج إلىٰ القاعدة الفكريّة »

الثورة العقائديّة لابدّ لها من أساس فكري ، ومن ذلك قول القرآن الكريم :

« *يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* »[1] أي انّكم تفتقدون إلىٰ الأساس التوحيدي لإقامة كتابكم السماوي ، ولهذه الآية معنى آخر أيضاً ، وهذا الكلام بالرغم من أنَّه وارد في أهل الكتاب الّا انّ

(١) سورة المائدة : ٦٨ .

مضمونه يشمل المسلمين أيضاً ، فاذا أراد المسلمون اقامة حكم القرآن فيجب عليهم أن يقوموا أوّلاً لكي يتمكّنوا من إقامة الدين . والانسان القائم يحتاج أيضاً إلىٰ الأساس والركيزة الثابتة . والّا فلو لم يكن مستقرّاً (علىٰ شيء) فهو غير قائم ، ومن هو غير قائم ليست له القدرة علىٰ إقامة شيء آخر .

فعندما نجد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) قد أقاموا القرآن ، ونقول لهم مخاطبين : « *أشهد انّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة* »[1] فهو من أجل انّهم كانوا (علىٰ شيء) ، أي كانت لديهم ركيزة فكريّة ثابتة ومستقرّة ، وهذا هو الأصل الأوّل ، ولو أراد أحد أن تكون ثورته عقائديّة ، فلابدّ له من الأساس الفكري العميق ليستقر ويثبت عليه هو وأصحابه ، وإلّا فلا يمكنه القيام بثورة .

فيجب أن نرىٰ ماذا صنع الامام الراحل ؟ وما هو الأساس الفكري المتين والحصن الحصين الذي اتّخذه هو وأصحابه والتجأوا اليه ..

لقد كانت بداية ثورته من الحوزة العلميّة في قم ، لأنّ ركيزته الفكريّة نشأت من الفقه ، وقد بحث في قوانين الفقه الاسلامي وخرج بنتيجة ؛ وفي البداية احترم وقدّر المتاعب العظيمة لِعلماء الإسلام الماضين ، ثم جعل منها ركيزته الأساسيّة ، فينبغي أن نستوضح الأدوار التاريخيّة للعلماء الماضين .

لقد مرّت سنين متمادية كانت العلاقة بين الفقيه والناس هي العلاقة

---

(١) مفاتيح الجنان ـ زيارة الامام الحسين (ع) .

بين المحدّث والمستمع ، وكان ذلك علىٰ أساس من التفكّر الأخباري ، والجمود ومنع الاجتهاد ، فالرابطة الوحيدة التي كانت تربط الفقيه مع المجتمع هي نقل الحديث ومعناه ، لأنّ الفقيه لم يكن له حق الاستنباط ..! ثمّ تحطّم هذا التحجّر الفكري الجامد علىٰ يد الأصوليّين خصوصاً الأستاذ الأكبر المرحوم وحيد البهبهاني (رض) ، ورجع الاجتهاد إلىٰ الحياة من جديد ، فأصبحت الرابطة بين الفقيه والناس هي الرابطة بين مرجع التقليد والمقلِّد، فكان الناس يستفيدون من الاستنباطات الفكريّة لمرجع تقليدهم، وكان المرجع يُظهر للناس استنباطاته واجتهاداته الفكريّة الفقهيّة ، فكان حكم الفقيه نافذاً تقريباً في هذا المحور وكانت فتاواه واجبة التطبيق .

ثم مرّت سنوات علىٰ هذا الحال حتّىٰ طُرحت مسألة ولاية الفقيه تدريجيّاً وخرجت من بطون الكتب الفقهيّة بصورة رسميّة ، بعد أن كانت لها جذور في كُتب العلماء ، ولكنّها لم تكن بهذه الدرجة التي وصلت اليها الآن من القوّة والظهور ، فهي وجدت الآن مكانها الأصيل ونبتت في محلّها الحقيقي حتّىٰ انّها جعلت سائر المسائل الفرعيّة تحت ظلالها ، ولم تكن من قبلُ بهذا المستوىٰ ، يعني انّ أمثال المرحوم النراقي عندما كان يطرح مسألة ولاية الفقيه كان يطرحها في محور الفقه ، فكانت احدىٰ المسائل الفقهيّة تحت عنوان ولاية الفقيه ـ ولذلك وبما انّ هذه المسألة خرجت من علم الكلام واستقرّت في خصوص الفقه ـ حتّي لو نمت وترعرعت بالأدلّة الفقهيّة ـ لكن

بما انّها فقدت مكانها الأصلي ـ فلم تكن تنمو بالمستوىٰ المطلوب كـ« ***أصلها ثابت وفرعها في السماء*** »[1] ولكن هذا المعنىٰ أصبح عمليّاً خلال مدّة طويلة.

أمّا العمل الّذي قام به الامام الراحل في محور الفقه هو أنّه أخذ بيد ولاية الفقيه وأخرجها من الفقه وأرجعها إلىٰ محلّها الأصلي وهو علم الكلام، ثمّ استدلّ عليها بالبراهين العقليّة والكلاميّة فنضجت هذه المسألة وتفتّحت، ثمّ انّها بعد اكتمالها غطّت جميع المسائل الفقهيّة بظلالها، وانتجت ثماراً كثيرةً.

فعندما نقول انّ هذه الثورة مستمرة حتّىٰ قيام صاحبها الأصلي والأصيل الامام صاحب الزمان، أرواح من سواه فداه، فهو من أجل انّ الإسلام الأصيل قد عُرف بين الناس، وقد برز الدين ليكون أساساً فكريّاً واعتقاديّاً للسائرين في طريق الثورة ضدّ الظلم بصورة واضحة، وقد وجد الناس طريقهم من خلاله، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل حفظه، وتوضّحت مزاياه وثماره بذلك الايثار وتلك التضحية، ولذلك نجد انّ مؤشرات بقائه وديمومته واضحة لدينا.

إنّ المراجع المحترمين والأساتذة والمدرّسين في الحوزة العلميّة وطلّابها كانوا دائماً من المدافعين ولهم نشاط فاعل علىٰ الساحة السياسيّة،

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٤.

ولكنّ ذلك الفضل الالهي الخاص كان من نصيب الامام الراحل ، فهو عطاء خاص لا يناله أيّ شخص كان ، بل [الله] ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[(١)] .

إنّ امير المؤمنين (ع) اقتبس هذا الحديث من رسول الله (ص) وقال :

« لو انّ رسول الله (ص) أعطانا ثوبه الّذي عرج فيه لعرجنا كذلك حتّىٰ يصل الدين إلىٰ درجة انّ أرجاء العالم تكون تحت الشجرة الطيّبة التي (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فيتنعّمون ، وهذا الفضل لا يناله أحد من الناس الّا من ارتضىٰ الله ... » .

وبذلك يتّضح الأساس الفكري والثقافي لثورة الامام الراحل .

قبل أن يقوم العدو بإخراج الفقيه من الساحة السياسيّة للمجتمع أخرج الفقه من الميدان ، وقبل أن يخرج الولي من الميدان السياسي أخرج الولاية ، وقبل أن يعزل الائمة عن المجتمع عزل الإمامة ، فقال الأجانب الدهاة ـ وقبل الأصدقاء البسطاء ـ بأنَّ الإمامة منصب ينتخبه الناس وتعيينه بيد الناس ، بعد ذلك أصبح الامام علي (ع) جليس الدار لأنّه لم يكسب أصواتاً كافية ... ففي البداية تمكّنوا من عزل الإمامة ثمّ بعد ذلك عزلوا (الامام) . فقال أحدهم : « منّا أمير ومنكم أمير » ! وقال آخر : الامامة أمر اجتماعي ومنصب يُعيّن من قبل الناس وليست منصباً الهيّاً . وعندما أصبحت الامامة بيد الناس صار نصب الامام أو انتخابه يتقرر في السقيفة

---

(١) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

أيضاً . في البداية أنزلوا الامامة من العرش إلىٰ الدنيا والعالم السفلي ، ومن النص إلىٰ السقيفة ، فجعلوا الامامة أسيرة في السقيفة ، ثمّ جعلوا الامام علياً(ع) جليس الدار .

فمن كان يريد اخراج الفقيه من الساحة فانّه يسجن الفقه أولاً وينكر الولاية في بداية الأمر ، ثم يقول انّ الفقيه ليس له حقّ التدخّل في الأمور السياسيّة .. فأولاً يحصر الولاية ثم يعزل الولي ، ولذلك أصرّ الامام الراحل علىٰ أن يكون الفقه بأسلوب صاحب الجواهر ، لأنّ صاحب الجواهر هو القائل : *« انّ الشخص الّذي ينكر ولاية الفقيه لم يذق بعد طعم الفقه »*[(١)] .

ويقصد بطعم الفقه تلك المسألة الكلاميّة ، فالاستدلال والبرهان الّذي أقامه المرحوم صاحب الجواهر حول ولاية الفقيه في كتابه (جواهر الكلام) كانت له صبغة كلاميّة ، وأساساً كان مسألة كلاميّة طُرحت في الفقه ، فيقول :

« المراد من قولهم (ع) انّي جعلته عليكم حاكماً وقاضياً وحجّة وخليفة ونحو ذلك ممّا يظهر منه ارادة نظم زمان الغيبة لشيعتهم في كثير من الأمور الراجعة اليهم ، ولذا جزم فيما سمعته من الراسم بتفويضهم (عليهم السلام) لهم في ذلك »[(٢)] .

---

(١) جواهر الكلام : ج ٢١ ، ص ٣٩٧ .
(٢) جواهر الكلام : ج ٢١ ، ص ٣٩٧ .

وبالأخير كأنّه ما ذاق من طعم الفقه شيئاً .

والخلاصة: فانّ الامام الراحل ـ ومن أجل القيام وتشكيل الحكومة ـ قام بما يلي :

أوّلاً : ركز الأسس الكلاميّة لهذه المسألة .

وثانياً : بنىٰ عليه الأساس الفقهي .

ثالثاً : قسّم شرائط الولاية والقيادة إلىٰ شرائط حصولية وشرائط تحصيلية .

رابعاً : هيّأ الشرائط التحصيليّة للولاية بتحمّله السجن والنفي والتهمة والافتراء .

خامساً : جعل الرابطة بين المرجع والناس رابطة بين الامام والأمّة .

سادساً : جعل الفقيه إماماً نائباً عن الامام المعصوم .

سابعاً : عرّف الأمامة بأنّها الثقل الأصغر .

ثامناً : قد ضحّىٰ بالثقل الأصغر فداءً للثقل الأكبر .

وقال بعد حادثة الفيضيّة : يجب علينا مواصلة هذا الطريق ولو بلغ ما بلغ وليكن ما يكون .. لأنّ قيامه وثورته كانت علىٰ أساس من الفقه والفكر و « علىٰ شيء » ، واستمرّ علىٰ هذه المقولة إلىٰ آخر لحظة . واستطاع أن ينتشل المجتمع من أسفل سافلين ويوصله إلىٰ أعلىٰ علّيّين ، وطبعاً كانت هذه الثورة معجزة للقرآن والعترة .

أوصىٰ الرسول الأكرم (ص) المسلمين في آخر عمره الشريف

بالثقلين وقال : « *إنّي تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي ...* »[١] وكذلك أوصىٰ أمير المؤمنين (ع) في أواخر عمره بالثقلين وقال : « *أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين* »[٢] لقد جلس (ع) مجلس النبي ، فكانت وصيّته مثل وصيّة النبي (ص) ، وامام الأمة (ره) أيضاً جلس مجلس الائمة المعصومين ، فأوصىٰ في وصيّته الإلهيّة السياسيّة المجتمع الاسلامي بالثقلين .

حوتْ مقدّمة وصيّته التي كانت بمنزلة نص الحديث الشريف جميع المطالب المهمّة ، وبقيّة الوصيّة كانت بمنزلة شرح لحديث الثقلين ، وشرح القرآن أو الروايات .. فعندما دعا الناس إلىٰ الحضور المستمر في الساحة السياسيّة للأمّة الاسلاميّة ، انطلق في دعوته تلك من دعوة القرآن والعترة لنا إلىٰ ذلك الأمر ، وعندما دعا الجميع إلىٰ الوحدة فمردّ ذلك هو انّ القرآن والعترة دَعَوا المجتمع إلىٰ الوحدة ، واذا كان الامام قد كلّف الناس بحفظ النظام فذلك في الحقيقة شرحٌ لكلام القرآن والعترة .. وهكذا سائر المسائل التي ذكرها في وصيّته من مبدأ لا شرقيّة ولا غربية ، وحماية المحرومين والمستضعفين وبيان مبدأ التناقض والصراع بين الفقر والغنىٰ والمسائل الأخرىٰ تبيّن شرح ذلك المتن .

---

(١) أمالي الصدوق : ج ١ ، ص ٢٦٠ ـ عيون أخبار الرضا : ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) نهج البلاغة : خطبة ١٤٩ .

وقال في آخر وصيّته : إنّي أرحل عنكم بقلب مليء بالأمل والفرح للقاء الله تعالىٰ .. وهذا أيضاً تعلّمه الامام الراحل من النبي وأمير المؤمنين (عليهما السلام) ، فعندما قيل لرسول الله (ص) : متىٰ تموت ؟ قال : « دنا الأجل »[١] .

ولعلّهم قالوا له وسألوه إلىٰ أين سيكون رحيلك ؟ قال : « والمنقلب إلىٰ الله وإلىٰ سدرة المنتهىٰ وجنّة المأوىٰ والعرش الأعلىٰ والكأس الأوفىٰ والعيش الأهنا » .

تارة نسمع امام الأمة يقول عن المناجاة الشعبانيّة انّها تؤثر أثراً عجيباً ، وتارةً يفسّر معنىٰ الآية الأخيرة من سورة الفجر : « *فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي* » ويقول انّ الدخول في زمرة عباد الله الخاصّين والورود إلىٰ جنّة اللقاء نصيب الأوحدي من الناس من الصالحين والسالكين ، وبما انّ أيدينا قاصرة عن نيل معاني الكثير من الآيات ، فنقول عنها : انّها مجاز في الكلمة أو مجاز في الأسناد ، ولكن من سلك جميع هذه المراحل وذاق طعمها فانّه يجد لها معنى آخر .

والآية الشريفة : « *يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ* »[٢] من الآيات العظيمة في القرآن الكريم ، وعبارة *(وإليه تُقلبون)* أقوىٰ بكثير

---

(١) بحار الأنوار : ج ٢٢ ، ص ٤٥٥ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية ٢١ .

وأغنىٰ من عبارة الآية الشريفة : « *إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* »[١] فهناك معنى خاص في الرجوع ، ومعنى آخر أسمىٰ للانقلاب .. فلم يقل رسول الله (ص) : « انّني أرجع إلىٰ الله والمرجع إلىٰ الله » ، بل قال : « *والمنقلب إلىٰ الله* »[٢] ، فانّني متوجّه ومسافر إلىٰ هذه الجهة ، فهل تعلمون إلىٰ أين ذهابي ؟ انّني متوجّه وذاهب إلىٰ عرش الله تعالىٰ ، وسوف يسقيني من كأسه الأوفىٰ : « *وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً* »[٣] وسوف أعيش عيشة هانئة وأتجاوز بسفري هذا سدرة المنتهىٰ و...

ولكنّه (ص) كان في نفس الحال يتوجّع ويئنّ ، فقيل له : لقد غُفر لك لقوله تعالىٰ : « *لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ* »[٤] فلماذا هذا الأنين والبكاء ؟! فقال (ص) : « *أفلا أكون عبداً شكوراً* »[٥] .

فمادام الانسان في ثياب العبوديّة فيجب عليه أن يضجّ ويئنّ ، فليس لديه سلاح سوىٰ الدموع والبكاء (وسلاحه البكاء)[٦] ، ولكنّه عندما يرىٰ تحقّق الوعد الالهي فسيقول : انّني ذاهب إلىٰ عرش ربّي . هذا هو كلام

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٦ .
(٢) بحار الأنوار : ج ٢٢ ، ص ٤٥٥ .
(٣) سورة الانسان : الآية ٢١ .
(٤) سورة الفتح : الآية ٢ .
(٥) مناقب ابن شهر آشوب : ج ٣ ، ص ٢٨٩ ـ بحار الأنوار : ج ٤٦ ، ص ٧٩ .
(٦) مفاتيح الجنان ـ دعاء كميل .

رسول الله (ص) .

وعندما ضرب أمير المؤمنين (ع) تلك الضربة رأىٰ (ع) انّ أُمّ كلثوم تبكي . فقال (ع) : ما يبكيك يا بنيّة ؟ فقالت : ذكرت يا أبة انّك تفارقنا الساعة فبكيت[1] ، فقال لها : يا بنيّة لا تبكين فو الله لو ترين ما يرىٰ أبوك ما بكيتِ ، قال الراوي (حبيب) : فقلت له : وما الّذي ترىٰ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا حبيب ! أرىٰ ملائكة السماء والنبيّين بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلىٰ أن يتلقّوني .

الامام الراحل قال أيضاً : انّني أرحل عنكم بقلب مطمئن ومليء بالأمل .

وقال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (ع) :

« *يا علي إذا أنا متّ فغسّلني وحنّطني ، وخذ بمجامع كفني وأقعدني وسلني ما شئت واكتب ما قلت* »[2] .

فقال (ع) : إنّه ليس من السهل تغسيلك يا رسول الله فانّك ثقيل جدّاً .

فكيف علم أمير المؤمنين (ع) انّ رسول الله ثقيل ؟! في حادثة تحطيم

---

(١) بحار الأنوار : ج ٤٢ ، ص ٢٠١ .
(٢) أصول الكافي : ج ١ ، باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ـ بصائر الدرجات : ص ٢٨٣ .

الأصنام وانزالها من علىٰ الكعبة صعد رسول الله (ص) علىٰ سبيل التجربة علىٰ أكتاف علي (ع)، فقال علي (ع): «***فذهبت لأنهض فرأىٰ منّي ضعفاً***».

فكيف لا يستطيع علي (ع) أن يحمل النبي (ص) علىٰ أكتافه وقد قلع باب خيبر ؟! لأنّ النبي (ص) له حساب آخر، فالشخص الذي يصعد علىٰ أكتاف النبي يشعر بالرفعة[1]، كما شعر بها علي (ع) أثناء فتح مكّة.

فقال (ع): يا رسول الله أنت ثقيل جدّاً فكيف أستطيع أن أقـلّبك أثناء الغسل من جانب إلىٰ آخر ؟ فقال (ص): لا عليك، انّ الملائكة سوف تأتي لمساعدتك، وسترىٰ انّ بدني يتقلّب لوحده، فلا حاجة لتـقليبك، وهكذا حصل !

وقال (ص) أيضاً: عندما تنتهي من تـغسيلي وتكـفيني أجـلسني واسأل منّي ما أردت واكتب كلّما أجبتك عليه ..

قيل للامام الصادق (ع): هل عمل أمير المؤمنين (ع) بهذه الوصيّة أم لا ؟ فقال: أجل، إنَّه عمل بها.

وقال علي (ع) أثناء غسله لبدن رسول الله المبارك: «***بأبي أنت وأمّي ... خُصّصتَ حتّىٰ صرت مسلياً عن سواك، وعَمّمتَ حتّى صار الناس فـيك سواء***» أي يا رسول الله انّ فراقك كان إلىٰ درجة انّنا نسينا به جميع المصائب السابقة، فأنت سببُ تسليتنا عن جميع المصائب المـاضية، فـلم يـبقَ في

---

(١) المناقب (للخوارزمي): ص١٢٣ ـ ارشاد القلوب (ديلمي): ج ٢، ص ٢٢٩.

أذهاننا شيء من تلك المصائب .

ونحن أيضاً لدينا شهداء كثيرون ، وشخصيّات كثيرة قد رحلوا أمثال شهداء المحراب وشهداء الحزب الجمهوري وشهداء رئاسة الوزراء وشهداء الجبهات وشهداء آخرين ، ورأيناهم جميعاً قد خُضّبوا بدمائهم وذهبوا إلىٰ الله تعالىٰ ، ولكنّ رحيل الامام (رضوان الله تعالىٰ عليه) قد أنسانا جميع تلك المصائب ، وبالرغم من انّنا نسعىٰ كاملاً إلىٰ السيطرة علىٰ مشاعرنا ونتحدّث بشكل طبيعي ، ولكن صدّقوني انّ المسألة صعبة ، وقد صمّمنا في الكثير من المواقف أن لا نبكي ، ولكن تأخذنا العبرة .

يقول أمير المؤمنين (ع) : انّ مصيبتك يا رسول الله ثقيلة إلىٰ درجة انّنا نسينا جميع المصائب الأُخرىٰ ، ثمّ قال : يا رسول الله كلّنا شركاء في هذا المأتم ، وجميع الناس قلوبهم حرّىٰ ، فبموتك قد فقدنا شيئاً لا نفقده بموت الآخرين وهو « لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من النبوّة والأنباء وأخبار السماء » ففي زمن حياتك كان لدينا الوحي التشريعي والأحكام القرآنية ، ولكن القرآن لا ينزل بعدك ، ولا تنزل الملائكة بالأحكام الشرعية ، وهذه المصيبة لا تطاق ... ثم خاطب أمير المؤمنين (ع) بدن رسول الله الطاهر : « يا رسول الله ، اذكرنا عند ربك » أنت الآن ضيف الله ، وقد نلت لقاءه ، فاذكرنا عند ربك واذكر له حالنا .

لقد اشترك الملايين في مراسم تشييع الامام الراحل (ره) ، وطلبوا

إليه نفس ذلك الطلب قائلين : أيها الامام العزيز ، ويا ابن رسول الله (ص) اذكرنا عند لقائك بربّك .

لقد جاء هذا العدد الهائل من الناس لكي يحصلوا علىٰ متاع من الامام الراحل (ع) لا انّهم يعطونه شيئاً ، لقد جاء هؤلاء حتى يستفيضوا لا أن يُفيضوا . فكلّ من جاء لزيارة مرقد الامام كان علىٰ هذا الحال .

فرسول الله (ص) يقول لعلي (ع) : يجب عليك أن تتكفّل تغسيلي لوحدك ، فابن عباس مكلّف بجلب الماء فقط ، والغسل بعهدتك أنت فقط ، وعندما جاء الدور لتجهيز أمير المؤمنين (ع) ، أخذ الامام الحسن والامام الحسين (عليهما السلام) علىٰ عاتقهما تغسيله ، وكان قمر بني هاشم العباس بن علي يجلب الماء ، لأنّ بدن الامام المعصوم لا يغسّله الاّ امام معصوم آخر[1] ، ولمّا وصل الدور لتغسيل الامام الحسن (ع) ، أخذ الحسين بن علي (ع) علىٰ عاتقه أمر تغسيله ، وكان العبّاس بن علي يجلب الماء .

أما « *لا يوم كيومك يا أبا عبد الله* »[2] فعندما وصل الدور لتجهيز الحسين بن علي (ع) ، قال الامام علي بن الحسين (ع) لبني أسد : اجمعوا جميع الشهداء وضعوهم إلىٰ رجلي أبي عبدالله في الحائر الحسيني ، لقد ساعده بنو أسد في دفن سائر الشهداء ، ولكن عندما وصل الدور لدفن بدن سيد

---

(١) أصول الكافي : ج ١ (باب انّ الامام لا يغسله الاّ امام) .

(٢) أمالي الصدوق : المجلس ٢٤ ، الحديث ٣ .

الشهداء (ع) قام الامام السجّاد (ع) شخصيّاً بدفن جسده الشريف ، فلو سأله أحد من الحضّار : كيف دفنتَ بدن أبيك لوحدك ؟ لقال : **« انّ معي من يعينني »**[١] .

فعلي بن الحسين (ع) بهذا الوضع الخاص دفن الجسد الطاهر لأبي عبد الله (ع) في قبره !

أحد آداب الدفن هو انّ الميّت عندما يُنزل إلىٰ قبره يُفتح كفنه من جهة وجهه ويوضع خدّه علىٰ التراب ، ويقال : **« اللهم عفوك عفوك »**[٢] وهذا أحد آداب الدفن .. ولكن كيف عمل بذلك الامام السجاد (ع) وهذا الجسد المطهّر مقطوع الرأس ؟!

وعندما انتهىٰ الامام السجاد من الدفن ، كتب بإصبع الولاية علىٰ القبر الطاهر لوالده :

« هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الّذي قُتل عطشاناً »[٣] .

ألا لعنة الله علىٰ القوم الظالمين ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون .

« انتهىٰ »

---

(١) مقتل المقرم : ص ٣٢٠ .

(٢) وسائل الشيعة : ج ٢ ، باب ٢ (باب صلاة الجنازة) .

(٣) الكبريت الأحمر ـ مقتل المقرم : ص ٣٢٠ .

الفهرست

المقدمة

المحاضرة الأولىٰ

تكن في تاريخ أو زمان معيّن ـ موطن الشهود جميل وعذب ـ ماذا يعني الدلال ؟ ـ السر وراء التشييع المليوني لجنازة الامام الراحل قدّس سره ـ بأيّ قلم كُتبت صحيفة الميثاق ؟ ـ السؤال كلمة واحدة والجواب كذلك . (٤٣ ـ ٦٢)

المحاضرة الثّانية

القادة الالهيون مظهر الاسماء الحسنىٰ للحق ـ دعاء عرفة مليء بالعشق والعرفان ـ الذات الكاذبة تحل محل الذات الحقيقية ـ الحماسة السلبية والايجابية ـ الأشخاص الذين يناجيهم الله تعالى ـ تعليق الحكم على الوصف مُشعر بالعلية ـ الحسين بن علي (ع) ذو روح صامدة في مقابل الباطل ـ المنزل الأوّل للسالكين هو اليقظة ـ خصوصيّات من ينتظر الامام صاحب الزمان (ع) . (٦٣ ـ ٨٢)

المحاضرة الثّالثة

يد ورجل الانسان تشهدان يوم القيامة ـ شهادة الجاني على نفسه ـ ما هو مقام الاحسان ؟ ـ كيف يفهم الامام (ع) انّه وصل الى مقام الامامة ؟ الشخص العادل في نظر الفقه غير العادل في نظر الفلسفة ـ العارف يرىٰ العالم بمنظار أوسع ـ الخلافة مقام الانسان الكامل ـ الامام علي (ع) عين الميزان ـ نفخة الصور الأولىٰ والثّانية ـ شجاعة الزهراء (ع) في مسجد المدينة . (٨٣ ـ ١٠٣)

المحاضرة الرّابعة

يستحيل أن يكون الشجاع الحقيقي غير عارف ـ تعريف العرفان من وجهة نظر

المحاضرة الخامسة

المحاضرة السادسة

المحاضرة السّابعة

العرفاء لا يغضبون من أجل الأمور الشخصيّة ـ الحرب من أفضل مظاهر العبادة ـ عندما يتحدّث العارف عن الحرب يكون بدافع الحبّ لله ـ لا يوجد في السير الى الله تأوّه ـ أفضل الناس من عشق العبادة ـ الزهراء (ع) تستوضح حكومة عصرها ـ أراد أبرهة تخريب القبلة ـ خطبة الامام زين العابدين (ع) في مسجد دمشق ـ لقد سجنوا الامام زين العابدين وأهل البيت (ع) في الكوفة . (١٦٩ ـ ١٩١)

المحاضرة الثّامنة

الله تعالى جمال محض وأفعاله جميلة كذلك ـ هدفنا هو احياء المجتمع ـ الشيطان يستعمل اسلوبين في التّهديد ـ الهدف من الجهاد في القرآن الكريم هو اعلاء كلمة الله ـ لا يستطيع الانسان أن يكبح جماح قلبه ـ لا يوجد همّ وحزن في الجنّة ـ قلب الحسين (ع) مليء بحبّ الله تعالى ـ المؤمن يرىٰ النّبي (ص) والائمة (ع) حال احتضاره . (١٩٣ ـ ٢١٤)

المحاضرة التّاسعة

من لا يسلك الطريق الى الله مختاراً يُساق جبراً ـ مكان اصحاب النّار ضيّق جداً ـ الزاهد المحض لا يكون ثورياً ولا كربلائياً ـ كل قوّة تقف مقابل اهداف كربلاء ستهزم ـ الأرض الابراهيميّة لم تكن مِلكاً لأحد ـ المغيرة بن شعبة والمتاجرة

المحاضرة العاشرة

المحاضرة الحادية عشر

المحاضرة الثّانية عشر

الراحل (رض) ينبع من الفقه ـ العدوّ يحاول ازاحة الفقه من المجتمع قبل ازاحة الفقيه ـ المنكر لولاية الفقيه لم يذق طعم الفقه ـ القرآن والعترة يدعوان المجتمع إلىٰ الوحدة ـ مصيبة وفاة الرّسول (ص) أنست باقي المصائب الأخرىٰ ـ أحد آداب الدفن فتح الكفن عن وجه الميّت . (٢٩١ ـ ٣٠٥)

* * * * *